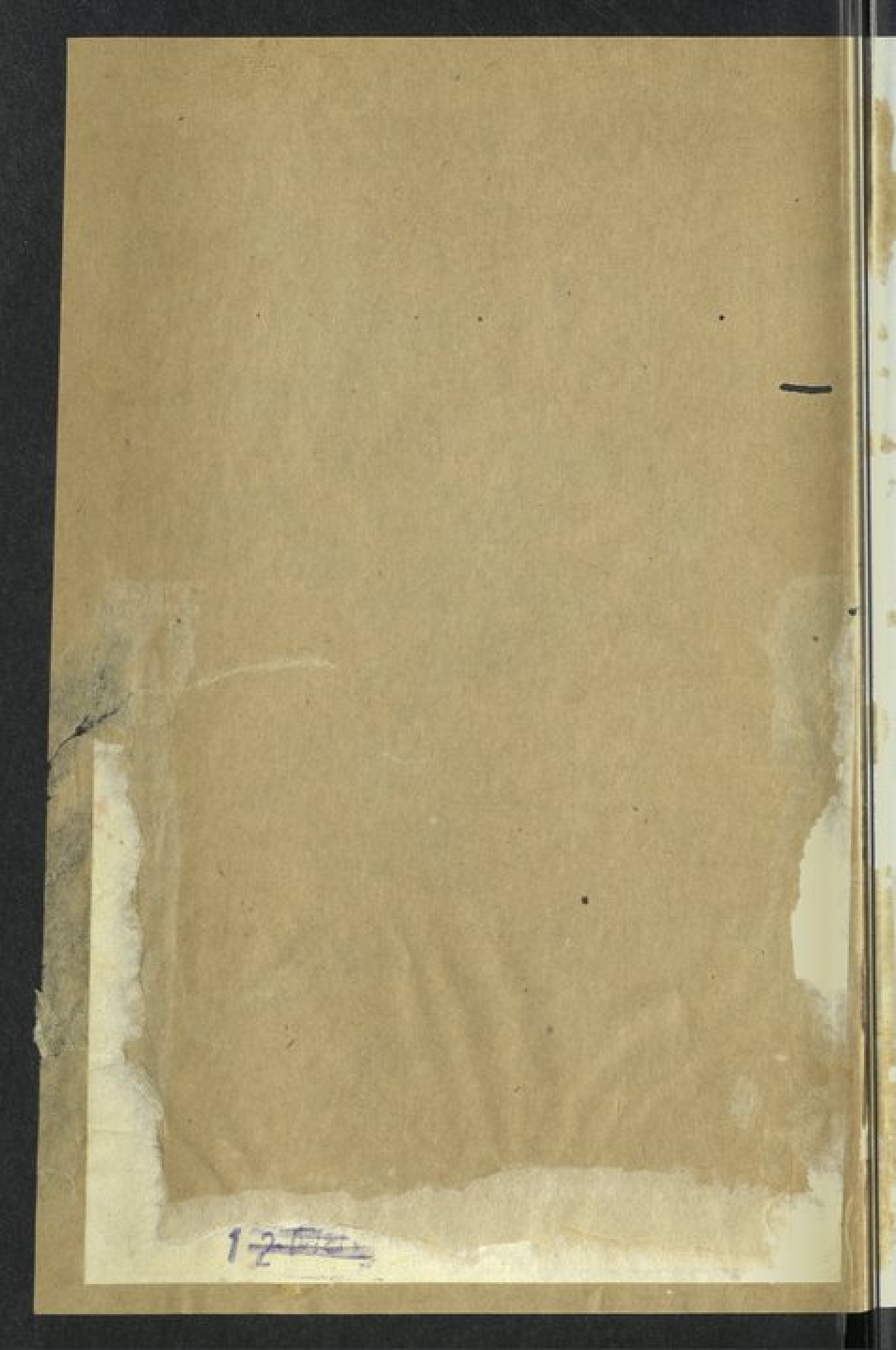

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY



Cox, July 1955

الكواكب الدرية

في

تاريخ ظهور البابية والبهائية

تأليف

حضرة العلامة البحاثة ميرزا عبد الحسين آواره

الجزء الاول

ترجمه عن الفارسية

احمد فائق رشد

نشره

﴿حفيد العلامة المرحوم الشيخ سليم العطار الدمشقي﴾

عزت العطار

الطبعة الاولى

١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م



المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع أنبيائه والمرسلين . وبعد . فليس من الخفي ان التاريخ أشرف فنون الادب وأوفرها فائدة ، وأجزلها عائدة ، ولا سيما تاريخ ماحدث في العصور الحديثة التي تجددت بها نهضة الفكر بعد سباته الطويل وظل معظم أنبائها عرضة للنسيان بمرور الزمان ، نخص من ذلك تاريخ ظهور « البابية » و « البهائية » الذى كان له من الشأن فى هذا الشرق ما كان ، فانه على كثرة ما كتب الكاتبون فيه لم يفه أحدهم حقه من البحث والتحقيق والعناية والتمحيص ، إن لم نقل إنا أكثر المؤلفين في موضوعه لم يخرجوا عن احدى فئتين : فئة معارضة مقاومة تعتوره اقلامها بالنقد وقد تتجاوز فيه حدود المناقشة . وفئة وقفت اسلات اقلامها على الدفاع عنه فشغلها الرد على كل نقد عما كان يجب من البحث والاستقصاء .

على ان ذلك لم يكن امراً إداً ولا حادثاً مستغرباً في حوادث التاريخ وفلسفته فان من أنعم النظر فى ما اشتملت عليه صحيفة الاجيال الخالية والعصور الغابرة يتضح له بكل جلاء ان ما كتب

عنها في خلالها جاء اكثره مقتصراً على سرد الحوادث اليومية او السنوية عاريا على الغالب من الملاحظات والاستنتاجات التى لايستطيع الجولان بها واعمال الفكر في استنباطها، أما من جاء بعد حدوثها واطلع على بقايا آثارها منسقة — ولو بعض التنسيق — مرتبة ولو بعض الترتيب ، فانه يكتب ما يكتب أو يملى مايمليه وامامه صورة تمثل له هيكل تلك الحوادث معراة مجردة ، بادية المبادىء والخواتيم ، فيبني عليها نظرياته ومطالعاته ويضيف اليها ماتيسر له العثور عليه ، فيبرز بحثه ناضجا مستوفيا يفيد المطالع ويخلد ذكر مافيه من نبأ أو عبرة .

من هذا نعلم ان اشتغال المؤلفين والمؤرخين عن تاريخ الامر البهائى بفرع من فروعه منذ ظهوره الى اليوم ، كان امراً طبيعيا بالقياس على سواه من وقائع الدهور والازمنة . أما بعد أن أصبح الناس في كل قطر ومصر يتطلبون تاريخا صحيحا لانبائه يقفون منه على سيرة رجاله ودعاته والمنتسبين اليه وماعانوه فى بدء قيامهم من المصاعب والمتاعب وما اعترضهم من الاحن والمحن ، وكيف استقبل العالم الاسلامي وغيره دعوتهم ، الى آخر ماهنالك مما لاتأتي به الصفحات القليلة ولايغني فيه الاجمال عن التفصيل والايجاز عن الاسهاب ، فقد بات من الواجب المحتوم على المولع

باثبات الحقائق التاريخية وتدوينها ممن امكنهم الوقوف على المصادر الكافية في هذا الموضوع ، أن يضع فيه كتابا ممتعا شاملا مستوعبا يحصى كل مايتعلق به ويرجع اليه غير مغادر شاردة ولا واردة إلا اقتنصها ودوّنها .

ولقد بقى تاريخ هذا الظهور منتظراً من يعنى به ويشمر عن ساعد الجد لجمع متفرقاته ، وتأليف شتاته ، حتى تسنى لاحد كبار العلماء ، من الفرس ، الاستاذ « ميرزا عبدالحسين آوراه » البحاثة المنقب ، أن يهتم به ويجعله هدفه وغرضه ، فساح واجتمع بمن تهيأ له أن يقابلهم من بقايا الشيوخ الذين أدركوا احد الظهورين (البابي والبهائي) واستنطق الآثار عمن سكنوا تلك الديار واطلع على ماحفظته الخزائن من اوراق منثورة مبعثرة واسفار محفوظة مدخرة ، وصرف في عمله هذا اربعة وعشرين عاما لم يستقر له فيها قرار ، ولم يسكن في بلد الا ترحل عنه بعد ان استقصى ماتعنيه معرفته من خبر او أثر . ثم وضع هذا الكتاب النفيس فى مجلدين ضخمين باللغة الفارسية فكان له عند الناطقين بها من الاقبال عليه والوثوق عما جاء فيه شأن رفيع وحسبك ان طبعته الاولى لم تكد تنجز حتى نفدت في اقل من عام .

ولما كان حضرة الفاضل « احمد فائق بك رشد » سكرتير

دولة البرنس محمـد على باشـا سابقا ، ممن احكموا لغة الفرس ، واضطلعوا فيها أيما اضطلاع ، حدا به حادي العناية بتـاريخ هذا الفريق من الناس الى ترجمة الكتاب وتذييله بما حدث بعد وضع المؤلف لكتابه من حوادث الامر البهائى وتاريخه الى يومنا هذا فكان عمله مشكوراً ، وسعيه بالثناء مذكوراً .

ورأيت أن ينالنى نصيب من هذه الخدمة الخالصة للتاريخ والعلم فأزمعت نشرهذه الترجمة العربية التى سماها معربها « الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية » وذلك لان الاصل الفارسى هو « الـكواكب الدرية في مآثر البهائيـة » وماسماه به المعرب أقرب الى الحقيقة ، لان الـكتاب تاريخ وبحث لا كتاب مآثر ومناقب . وأملى ان يصادف عمـلى تنشيطا ممن يطلعون على هذا المجلد « الاول » يشجعنى على الاستمرار فى نشر بقية الـكتاب ، ولا يفوتنى هنا ان اشير الى ماقام به حضرة « ميرزا ابو القاسم أصفهاني » من المؤازرة المادية في مشروعى . والله الموفق لما يرضاه

عزت العطار

كلمة المعرب

كان قيام الحركة البهائية في العالم مطابقاً في نظامه وأوضاعه ونشأته ، كل المطابقة ، لقيام سائر الحركات الدينية الاولى كالبوذية والمسيحية والاسلامية وغيرها . وقد حلت بذويها ومؤسسيها أصناف المحن ، واصيبوا بما أصيب به سواهم من الناهضين بالأديان الغابرة ، قتلا وضرباً وزجاً في السجون ونفياً وتعذيباً وقذفاً وطعناً وتنكيلا ، واحتمل معتنقوها والقائمون بأعباء نشرها وترويج تشريعها وتعليمها وإعلاء كلمتها واسماع صوتها وتبليغ دعوتها ما احتمله سلفهم من أفانين المقاومة والمشاكسة والتصدى ، واستشهد الكثير منهم ونهبت أموالهم وقتلت أولادهم وأذيقوا من مرارات العذاب ألواناً واستهدفوا لاشكال الاضطهادات والارهاقات ، شأن كل تجديد وتنظيم جديد ، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

فمثل الحركة البهائية في نشوئها وارتقائها وبدوّها واستوائها ، مثل الحركة الاسلامية ، مثلا ، ولدت في مهد معين هو جزء محدود ونقطة محصورة من هذه البسيطة ، ثم تدرجت في ادوار النمو والنشوء ، وأخذت فى الارتفاع والاتساع ونفذت في سائر البقاع

والاصقاع ، حتى بلغت أقاصي المعمور من الديار والبلدان . وانا اليوم لنسمع صدى هذا النداء وتموجه في كل الممالك شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً ففي اليابان والهند والصين وبرما وتركستان وروسيا وقفقاسيا وايران والعراق والاناضول وسوريا وبلاد العرب وفلسطين والاستانة والمانيا وفرنسا وانجلترا وايطاليا ومصر وتونس وكندا واميريكا واوستراليا ونيوزيلاندا وغيرهامن بلاد هذا الكون ، تتجاوب اصداء هذه الحركة وتمتد وتسمو فروعها.

ولم يكن في استطاعة دولة من الدول الطاغية العاتية والممالك المتجبرة الغاشمة ولا في وسع جموع الملل المتعصبة المتحزبة صد تيارها ولا الوقوف في مجرى ارتقائها وانتشارها ، كما استحال على جميع الدول والملل تأخير سير المسيحية والاسلامية أو تعطيل سريانهما ونفوذهما عن التكامل والامتداد ، بل كانت عاقبة سعي الجبارين والجائرين والمندفعين في مسالك التحمس والحمية والمحادة والمشادة ان خابت ظنونهم وعادوا بالخذلان والفشل والوبال ، وحاقت بهم فعال مكرهم ومكائدهم ، وتحطمت عروش الاستبداد والتعصب ، واندكت معالمها وعفت مراسمها كما وقع فى القرون الاولى ، وفضلا عن ذلك كانت تلك المقاومات والمشاكسات من أسباب رقى هذه الدعوات ونفوق اسواق

الاصلاح والتجديد ، وارتفاع أصواتها ونباهة شأنها ، وامسى أولئك المقاومون من الايدي العاملة في ترويجها وإنمائها ، وان في ذلك لعبرا وبصائر لاولى التفكير والاعتبار .

جهل الناس قليلا أو تجاهلوا حقيقة هذه الحركة ، وأغفلوا شأنها وجانبوا الاكتراث بها والانتباه لها أيام كانت فئتها قليلة خافتة الصوت ضعيفة الشوكة ، وكان الفتور والجمود مستولين على الافئدة والقلوب ، والجهل قوى السيطرة والسلطان والافكار مستعدة للاغترار بما ينسجه أولو المصالح والغايات بأيدي الاوهام والتخيلات ، من الترهات والمفتريات ، والآذان مفتحة لسماع دسائس الماكرين وأراجيف المحتالين والدجالين ، والزمان مهادن لغواة الضغط والاحباط والتثبيط . وبالجملة حينما كان الهدى خاملا والعمى شاملا .

أما اليوم وقد حصحص الحق ، وظهرت ووضحت الحقيقة لكل ذي عينين ، وتقلص ظل سلطان أهل الغواية والجمود ، وطبق صيت تلك الحركة البهية الخافقين ، وكثر الملتفون حول رايتها التى هي رمز الامن والسلام ، والمؤتمرون بأوامرها المقدسة المبتنية على الحقائق والقاضية باستحكام حلقات الحب الخالص وتمام الوئام ، فقد استيقظ أهل العلم والفضل من كل أمة ولا سيما الامة

العربية الكريمة وأعربوا عن لاعج الشوق ومتأجج التوق للاطلاع على تفاصيل تلك الحركة وأنباء بدئها ومسيرها .

وهذا الشوق الآخذ في الاضطرام يوماً فيوماً ليس الا أثراً من الآثار التي تنم عن ان دولة التعصب والوقفة والجمود بدأت تدول من الصدور ، وحرية الافكار والعقائد شرعت تنتشر وتنتصر وتقع موقعها من الافئدة والقلوب . وان تباشير النجاح قد زفت مواكبها واطلت على العالم كواكبها . ولا بدع فقد اصبحنا نسمع نحارير الكتاب يتطلبون تاريخ هذه الحركة ويعالجون العثور على الاسفار المسطورة بتشريح تعاليمها ومبادئها يريدون وجهة البحث والتحقيق والتوسع في الدراية والاطلاع .

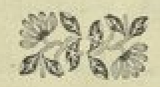
ولا أنكر على القارىء المحترم اني ابثث شطراً من الدهر معتنياً جد الاعتناء بالبحث والتنقيب عن حلقات سلسلة هذه الحركة وحوادثها ووقائعها ، شديد الولوع بجمعها من المصادر الموثوق بها ومن التآليف الفارسية الموالية والمعادية لها ومن تصانيف الغرب على تباين مشارب مؤرخيه ، لاضع منها تاريخاً حافلا يروى غليل الطالبين المتعطشين ، ويغدو مرجعا للباحثين وهادياً للمسترشدين فبينما أنا أغالب وأطارد أمواج مصاعب هذا المشروع الخطير اذ وفد على هذه البلد (القاهرة) حضرة العلامة البحاثة ميرزا

عبد الحسين (آواره) وشرع في طبع تاريخ له مسهب في هذا الغرض جمع حوادثه من جميع البلاد الايرانية وغير الايرانية بعد أن ساح وتجول في أرجائها وأصقاعها ، وأسماه (الكواكب الدرية) وتكرم عليّ باهداء نسخة منه وقد أنجز طبعه فطالعته بشغف وابتهاج لايمكنني التعبير عنهما ، وإثر انتهائي من استقرائه وتصفحه الفيته تاريخاً حافلا شاملا غزير المادة جامعاً لحوادث عصر كامل ، فلم تعقنى العوائق ولا استوقفتنى الموانع عن السعي في تعريبه والشروع في نشر ذلك التعريب ، متوكلا على جناب الاقدس ، قاصداً بذلك المبادرة الى اسعاف الطالبين والاسراع بارواء غلة عطاش المؤرخين من منهله المعين والشروع بايصال الراغبين الى ماتصبو اليه نفوسهم من الاحاطة بحقائق اخبار هذا الامر المبين ، مرجئا ما كنت في صدد اخراجه الى فرصة أخرى . ولم يمنعني ماانا عليه من الضعف ومايحدق بي من المشاغل الفكرية والمصاعب والمتاعب ، عن السير في هذا السبيل ، اذ تضمحل قيمة الموانع أمامّ نظرى وتتذلل مصاعبها وتتبدد غياهبها كلما لاحت لفكري ثمرات هذا العمل وحسنات هذا الصنيع وما ينتجه من نفع لابناء الناطقين بالضاد الذين اتوق حق التوق الى منفعتهم وخدمتهم ، ومن احراز الفضيلة وجميل المنقبة بخدمة هذا الامر الذى اورثنى

السعادة العظمى إثر وقوفي على تعاليمه وإيماني وايقاني بمبادئه وقوانينه ، تلكم التعاليم التي من شأنها السير بالخليقة في مناهج الراحة والاطمئنان ، ومن ثمارها رفع راية الصلح والسلام بين الامم والدول المتنازعة المتطاحنة على الحطام ، وغايتها ان تصبح كرتنا هذه الصغيرة مرآة تنعكس فيها تجليات الملكوت الاعلى ، ومهبطا لاملاك الرحموت الاكبر الاسمى ، وجنة تترنم بلابلها بأنغام النعمة المثلى .

والثناء والبهاء على كل ذي روح طاهرة ، يهب الى خدمة وحدة العالم مضحيا بما اوتي من قوة ، في سبيل التأليف بين الملل والامم ، وغرس بذور الحب الخالص بين الملاء ، والسلام على من اتبع الهدى .

احمد فائق رشد



مقدمة المؤلف :

بسم الله الرحمن الرحيم

ان من أفضل وأجل العلوم وأنفع وأرفع الفنون التى وفق الانسان لوضعها وابرازها في العالم واختص دون سائر الاكوان بمزية تحصيلها ، هو علم التاريخ .

فالتاريخ هو مسرح آداب الامم الغابرة وأخلاقها ، والمنار الوحيد للاقوام الآتية فى مسيرها ونجاحها ، وهو كنز لصفات السابقين ، وسفينة نجاة وحياة للاحقين ، وهو الجامع لحوادث الدهور ، والمهذب للجمهور ، بل هو المقلب للقلوب والكشاف عن أسرار المحاسن والعيوب وهو المهذب للاخلاق والمذهب للاوراق ، بما سجلت أقلام الكاتبين فى صحفه من أعمال الصالح والطالح التى هي تبصرة أهل العرفان ومعتبر لهم ومرشد نحو كمالات الامكان .

من ذلك يتبين ان التاريخ مرآة العالم ، ولكن يجب أن تكون هذه المرآة في غاية الجلاء والنظافة ، سليمة عن الاصداء والاوساخ ، نقية بريّة عن الاكاذيب والاغراض ، كي تتجلى من خلال عكوسها حقائق الامور ، ويبدو منها للعيان تمام

المقصود وكمال المطلوب ، دون زيادة ما ولا نقص ، فلا تخفى ولا تستتر خاف حجب الاغراض تلك النقوش والرسوم البديعة التي صنعتها يد القدرة في كل الازمان ، على صفحات الايام ، خصتها بجمال ساحر ونفع باهر فلا يحرم العالم من إستجلاء الحقيقة في كافة الشئون والاحوال لاسيما تلك الحقيقة (العليا) التي هي الدواء الوحيد لامراض العالم الجمة .

ولا يخفى على أولى الحجى انه اذا تلوثت صحائف التاريخ بالاكاذيب والظنون ، أصبحت النتيجة منه عكس المطلوب ، ونقيض الغرض المنشود ، فبدلا من أن يكون مفيداً لكمال التربية والترقي يمسى مجلبة للجهل والتدلي ، وتتبدل الغاية السامية التي هي إنارة الافكار وإماطة الحجب عن البصائر والابصار ، بالجهل والعمي والسقوط في ظلمات الاوهام .

أجل . لقد قيل في الامثال (من صنف فقد استهدف) ولكن هناك فرق بين المؤرخ الذى يتحيز لفئة من الفئات لحاجة في نفسه ، كأن يطمع في انعام ، أو منصب أو وسام ، فيقع في شرك حكم أهل العلم ونقدهم ، وبين المؤرخ الذى يكتب بروح أدبية حرة ، بلا ميل الى غرض شخصي ويستهدف للطعن والقدح ، ممن لايروقهم اظهار الحقيقة ونشرها ، فكل تاريخ كتب من غير أن يكون مؤلفه متحيزاً لفكرة ما ، بل كل مقصده بيان الحوادث التاريخية كما هي ، يكون بلا مرية أقرب الى الاجلال والاعتبار ،

وأبعد عن السقوط والاحتقار .

ولنضرب لذلك مثلا برجلين من المؤرخين الأولين وهما : هيرودت وكزنوفون اليونيان . هذان الفاضلان ولدا في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانا متدانيين زمانا ، اذ لم يكن ما بينهما الا نحو من أربعين عاماً فقط ، فبالرغم من ان كزنوفون كان من جملة الطلاب فى مدرسة سقراط وتلقى علومه بها ، وكان أرقى تحصيلا من هيرودت باتقانه جميع العلوم ، واسمى مقاماً في الدولة ، فان كتبه التاريخية لم تحرز المقام الذي احرزته كتب هيرودت ، ولم يكن لتلك من نباهة الشأن مالهذه ، وماذاك الا لان هيرودت كان مؤرخاً صادقاً ، لم يكتب كتبه الا بروح أدبية خالصة لاتثبت إلا الوقائع الحقيقية ، وأما كزنوفون فانه كان من ذوي المناصب العليا في الدولة . ومن ارباب الشأن والكلمة في الامور السياسية . حتى سماه معاصروه بصاحب السيف والقلم . لذا لم يرقه التنازل عن مقامه الشخصي والحط من كرامة دولته الى أن يسجل في تاريخه الحقائق . فذالكم هو السبب الوحيد الذى جعل تصانيف هيرودت . ذات المقام الاول فى نظر المؤرخين عموما . ومن هذا نجد ان الاقلام الحاملة لافكار الاحرار ، والموحى اليها من روح الحق والصدق والاخلاص ، لاتلد الاالمواليد الصالحة السليمة الجديرة بالبقاء والفلاح والنجاح . ولن يبلغ قط ماقد تلده السيوف والرماح منزلة بنات البنان والبيان

سبب تأليف هذا الكتاب

في سنة ١٣٢٤ من الهجرة تقابلت بمدينة اصفهان مع احد علماء الفرنسيين ، المعدودين من الدرجة الثانية في الفلسفة والمعرفة ان لم نقل انهم من الدرجة الاولى وكانت سيدتان امريكيتان ترافقانه . احداهما فاضلة نادرة المثال ذات اختصاص في التأليف والتصنيف والبحث عن الحقائق . والاخرى لاتقل علما وفضلا عن صاحبتها . وكان ذلك بعد رجوعهم من زيارة ظل السلطان[1] فاجتمعوا بمجلس ضم لفيفا من الفضلاء . وكانت احاديثهم تدور حول مواضيع شتى . وفي الآخرة انتهى بهم الحديث الى البحث في تاريخ البلاد الايرانية وما نجم بها اخيراً من الحوادث والوقائع . فطفق حضرته يشرح الموضوع بالفارسية الفصحى مبديا اسفه الشديد على ماحصل من التفريط والسهو في اكثر الامور العظام التي لم تؤرخ كما ينبغي بحيث يظل الطالب للحقيقة التاريخية هائما في وادي التيه والحيرة .

فسألته ماذا يعني بالقبيل الذي يشير اليه فقال انه يريد احدى تلك الوقائع الحديثة التي كان بدؤها بأرض ايران اي ظهور الديانة البابية والبهائية . المحتوية على مهمات الوقائع . والتي لكل واقعة منها مايعود بجملة فوائد جمة على مجموعة تجارب العالم الانساني .

---

(١) حاكم اصفهان ابن ناصر الدين شاه

وبمعرفته بايقاني المير الجزيل . ومع هذا لم يكتب للآن تاريخ صحيح كامل عن هذا الامر يعد سالماًمن الاغراض جامعاًلجميع الوقائع من المبتدأ الى وقتنا هذا . بل نرى معظم أهل ايران لا اطلاع لهم ولا علم بهذه المسألة .

فاجاب احد الحضور بأن هذا الامر عار عن الأهمية ، لذا لم يعره مؤرخو الايرانيين جانب الالتفات والنظر . فقال حضرته : انه في غاية العجب من فكرة كهذه . وكيف لا يستحق الامر البهائي الاهتمام مع أن نصف الامة الايرانية ظلت مشتغلة به ماينوف عن نصف قرن مابين مهتم بالرد والطعن عليه . وآخر مشغول ليل نهار في تقريره وتأييده وتعضيده . بله رجال الحكومة الذين كانت أفكارهم ولم تزل معنية به .

والا فما معنى تلك الفظائع الجسيمة التي ألحقت بالبهائيين مناوأة لهم من مثل القتل والنهب والاحكام التي تصدوا لها ووقعت عليهم افلا يكفى كل ذلك في أن يعطى هذا الامر حقه من الاهتمام وتستيقظ افراد الامة الايرانية من رقدتها ويتاح لها الوقوف على كيفية ظهوره وبروزه الى عالم الوجود ، وتميز بين سبيلي الرشد والغي .

بينما نرى في أكثر البلاد الاوربية عندما يقوم رجل مستلفتا بعض الانظار الى امور طفيفة عادية لايؤبه لها ان التاريخ يسجل اسمه والناس يهتمون بالاطلاع على تاريخ حياته فكيف يصح ان يقال — والحالة هذه — ان أمراً كهذا (أي الامر البهائي الذي استرعى أسماع الجم الغفير من العلماء والفلاسفة الغربيين) يستحق

ان يكون في ايران مبهماً منسيا ينظر اليه بعدم الا كتراث والاهتمام.

فاجبته بأن الامر على خلاف ما يظن حضرته . فان فريقاً من مؤرخة الايرانيين قاموا وكتبوا عن هذه الحركة الشيء الكثير مثل صاحب ناسخ التواريخ وصاحب روضة الصفا . وها هي كتبهم منتشرة بانحاء ايران متداولة بين الناس . ولكن ربما لم تساعدكم الفرص لرؤية هذه الاسفار والاطلاع عليها .

فقال : ليس الامر على ماقد يتوهم من اني لا اطلاع لي على الكتب التاريخية الفارسية بل طالعتها ودرستها ورأيت أن كل ما كتبوه عن هذا الامر هو تاريخ حوادث السنين السبع لهذه الحركة اعني من ابتداء قيام الباب الى يوم شهادته والسبب في ذلك ان المؤرخين وقع في خيالهم أنه بعد شهادة الباب سيسدل ستار النسيان على هذا النداء وتنطفيء ناره ويغطيه الظلام ، لذلك لم يكتبوا شيئاً عما ظهر من الحوادث بعد تلك الشهادة .

على ان حوادث هذا الامر العظام لم تكن إلا بعد هذه الشهادة نفسها ، كقيام بهاء الله وسجنه ونفيه ، واتباع الكثير من كل الامم والملل لحضرته ، واستشهاد الشهداء منهم ، وجلائل الاعمال التي أقدم عليها دعاة هذا الامر ، وسجنهم وعذابهم ، ثم قيام عبد البهاء الابن الارشد لبهاء الله واقدامه الغريب العجيب على نشر الامر ، وما فاض عن قلمه من الآيات والمعجزات ، والحلول لمعضلات العلم والاجتماع ، والآلاف من الحوادث الجديرة

بالتدوين والاثبات على صفحات التاريخ لما لهـا من الاثر الكبير الخطير في انقلاب العالم العظيم. وأما ماسطره أمير الشعراء في كتابه روضة الصفا، ولسان الملك في كتابه ناسخ التواريخ فهو ابتر ناقص محروم من مزية التاريخ لانه اذا تمعن الناظر في الاخبار المروية في هذين الكتابين يرى انهما عبارة عن مجموعة من الطعن واللعن والسب والقدح والاستهزاء المصوغ في قالب السجع والقافية وهي أشبه بالاشعار الزجلية الهزلية منها بالامور التاريخية، وان كانت نشرت باسم التاريخ، مع أنني لا أقصد بهذا لقول تنديداً ولا تشهيرا بل جل ماهناك من القصد هو تقرير حقيقة واحدة وهي ان أفق ايران المدني كان في ذلك العهد مظلماً جدا والسياسة في تلك الحكومة دقيقة خطرة، ولم يكن هناك فواصل بين القوى الادبية والسياسية، والدينية والمدنية، بل كانت بأجمعها مرتبطة محتشدة في مركز واحد، وكانت أقلام الكتاب والمؤرخين في غاية الاضطراب والوجل من صنوف ودرجات التهم التي كانت تأخذ المذنب والبري والصغير والكبير بلا استثناء، فمن اجل هـذا اضطروا الى كتم الحقائق، ونشر كل ماينطبق على إرادة السلطان وميل علماء الوقت وما يوافق عقائد الجمهور والرؤساء الروحانيين وتقديس افكارهم ونبذ كل الآراء الجديدة دينية كانت أم مدنية واعتبارها لغوا وهذيانا ؛فلهذه الاسباب لايمكن الاعتماد بوجه من الوجوه على ماكتبه أولئك المؤرخة، وجل مايمكن

استنتاجه من هاتيكم الكتب هو نقيض ماظنه هذا الفاضل (وأشار الى القائل بان الحركة البهائية عديمة الاهمية) اعني ان تلك الحركة كانت في آن واحد غاية في الاهمية وغاية في الغموض والابهام لما حام حولها من المفتريات والاكاذيب التي انتهت بسفك الدماء والخراب والدمار حتى اضطر المؤرخون لاثبات وقائعها على صفحات تواريخهم (على تلك الصورة) وذلك لامرين أحدهما حفظ التاريخ والآخر ارضاء السلطان المستبد والرؤساء الروحانيين والعلماء المستقلين بالرأى والخوف منهم . فلما وصل بنا الحديث الى هذه النقطة قلت له : ان بياناتكم تدل على ان بحثكم مقصور على تاريخ هذا الامر فقط لذا لم تعولوا على تلك الكتب واني أرشدكم الى مختصر طبع في مدينة بومباي يدعى (مقالة سائح) كتب خصيصاً في تاريخ ظهور هذا الامر باسلوب بديع . فاجابني بانه أطلع على هذا الكتاب أيضاً فرآه على غاية من حسن الانشاء واداء المطلوب مسطراً بكمال الصدق محرر الوقائع بكل نزاهة وانصاف دون تحزب ولا تطرف .

ولكنه من حيث الحوادث ناقص غير واف ، لانه لا يحتوي على أكثر من تاريخ عشرين عاماً خلت من مبدأ ظهور هذا الامر ، ويختم بواقعة الكتاب الذي أرسله حضرة بهاء الله الى ناصر الدين شاه وقتل الرسول الذي حمله اليه ، وها هو قد مضى إثر هذا الحادث ما يناهز الاربعين من الاعوام ولم يكتب شيء ولا سمع قول عما وقع في أثناء هذه البرهة الطويلة ، بينما ان المدة التي كنا

فيها باوروبا كانت الصحف اليومية بها توافينا بانباء الحوادث العديدة التي لو جمعت لتكون منها عدة مجلدات . ولكننا الآن قد قدمنا ايران فاذا باكثر الناس يجهلون هذه الحوادث ولم يبق عالقاً باذهانهم سوى عديد التهم والمفتريات والاوهام والترهات التي كانت الايدي العاملة في ظهور الفتن اليومية الجديدة التي ينجم عنها قتل الافراد والجماعات ونهب أموالهم وامتعتهم . وفي آخر الحديث اعتذرت لحضرته بان السبب الاعظم في ذلك هو ان القلم واللسان اسيران في ايران. فقبل حضرته هذه المعذرة وانفض المجلس.

من ذلك اليوم أشتعلت فيّ نار الشوق الى درس جميع الاخبار المختصة بهذا الامر وجمعها وأخذت أحرر كل ماأقف عليه أثناء تجولى بداخل البلاد الايرانية وخارجها حتى تيسر لى بمحادثات ومجالسات جرت لى مع كثيرين من أقوام مختلفة وقبائل شتى ان اجمع (نوتاً . مذكرات) في حوادث هذا الامر وتاريخه فصرفت حينئذ جل الهمة في تصحيحها وتهذيبها وترتيبها ترتيباً تاريخياً .

واني اشكر الله عز وجل على ان وفقني لا لتزام دائرة العدل والانصاف في جميع المذاكرات والمباحثات التي جرت بيني وبين من لاقيتهم من منكرين لهذا الامر أومقبلين عليه وفي جميع المحانى وما بذلته من التنقيبات اذ لم ادون الا ما اعتقدته حقا وصوابا حبا في الصدق والاخلاص . فها انا ازف بتأييده تعالى هذا السفر الى طلاب الحقيقة كتذكار مني اليهم ، ولقد سميته « الكواكب الدريه في

مآثر البهائيه » وقسمته الى خمسة أقسام : المقدمة وثلاثة فصول والخاتمة وجعلت لكل فصل خمسة وصول . ولما كان تحرير كتاب من هذا النوع وتأليفه في عصر مثل هذا ومملكة كمملكة ايران يعد من الصعوبة بمكان عظيم فاني وطيد الامل بان القراء المحترمين والافاضل المؤرخين سيغضون الطرف عما جاء فيه من النواقص والهفوات التي سيكملها أرباب الاطلاع في المستقبل وان يسدلوا على مايبدو لهم من الخطاء استار المعذرة والسلام .

نبذة

في عقائد وآراء خلافية لها علاقة بظهور حضرة الباب

لما كان مقصدنا الاصلي من هذا التاريخ ، هو ان يقف بنو الانسان على الحقائق التاريخية المختصة بهذا الظهور ، دون اجهاد فكر ولا مشقة مطالعة ، مع تمهيد السبل وحل المشكلات التي ربما تقف عثرة في سبيل ترجمته الى لغة أخرى ، لذا ضربنا صفحا عن غريب الالفاظ والسجع والقافية ، والصيغ المغلقة ، والجمل المطولة ، والخيالات الشعرية ، وآثرنا أقرب الطرق في الانشاء . فالذي نتوقعه من أرباب الاقلام هو التغاضي عما جابه من الاساليب البسيطة التي نقصد من استعمالها ان يتسنى المطالع حصر فكره في المعنى الذي نرمي اليه .

ومن البين انه اذا لم يكن مبتغانا من نشر هذا الكتاب الا احاطة الجمهور بأمر هذا الظهور ، فاننا نرى أنفسنا في أضطرار الى تقديم نبذة في العقائد والآراء الخلافية الاسلامية ، السائدة بين فرق هذه الامة العظيمة وشعبها ، لاسيما بعد ان تبين لنا أنه لامرقاة للوصول الى معرفة نقط هذا الامر الحقيقية ، الا برد تلك العقائد والخلافيات ذات العلاقة بهذا الامر . فلنكتف إذن باجمال تلك الاختلافات وسردها فنقول :

كل مطلع على حقائق الامور ، يعلم أن الشريعة المقدسة الاسلامية ، التي ينبوعها القرآن ، قد وضعت احكامها وآدابها في الاصل والبداية على غاية المتانة والاتقان التام . ولكن بعد تمام دورة تدبيرها وتأسيسها ، طرأ عليها اختلافات كثيرة متنوعة امتصت رونقها وبهجتها ، وسلبتها خاصة الرقي والنمو ، وكانت السبب الوحيد في الجمود ووقوف دولاب حركتها ، ثم سقوطها في وهدة الهبوط والانحلال شيئاً فشيئاً .

وبديهي ان اس الاختلافات وأصلها ، هو تباين المشارب في فهم الشريعة وماجاءت به من مناهجها، كالاختلاف في تفسير القرآن وتأويله ، وبالجملة في تعرّف المهام الدينية اصولا كانت أو فروعاً.

وهذه مسألة متسعة الدائرة ، ذات اجزاء وأقسام ، ومن أهم اجزائها موضوع التخالف على تأويل الآيات المتشابهات من آى القرآن . واذا كان الانقسام والتباين في غير المتشابهات أمراً مقضياً ، وحكما حتما ضروريا ، فكم بالحرى وقوع التفاوت والانشقاق في المتشابهات أنفسها . لذا وقع الاختلاف في تلك الآيات ، وأخذت كل فئة تسلك مسلكا ، وتبتدع لها رأيا في فهم تلك المغلقات يباين ماتنتهجه سائر الفئات ، الى ان تفاقم الشر وانقسمت وحدة الامة وتمزق شملها ، وجاء علماء الشيعة فأوصدوا هذا الباب كل الايصاد في وجه الامة ، وكادوا يحسبون فهم تلك المختومات من عداد المحال ، وشرعوا طريقا آخر في المناقشات

الدينية ، فاعتبروا الأحاديث والأخبار وقسما من الاجتهاديات والقياسيات ، ميزانا للمسائل المذهبيـة تعرض عليه لنقدها ثم اثباتها أو ردّها .

وفات الكل ماالهذه الآيات من الشأن والصفة ، وغاب عن افكارهم انها مختومات مكنونات بامر من الله عزّ اسمه ، قضى بان لاتتبين حقائقها ولا يفض ختمها الا في ميقات معلوم وميعاد محتوم مرهونة به ، وأنها تظل مكتومة مختومة حتى ذلك اليوم وقد جاءنا الفرقان بذلك في أفصح بيان .

ومن المحقق أنه اذا اعتبرت أمة من الامم آيات من كتابها السماوي معميات لاحل لها ، واعترفت بعدم فهمها او أجازت التعبير عنها باية عبارة كانت ، فمن الضروري الذي لامناص منه نشوء الانقسامات العديدة من ذلك .

ومن هذه المسألة تولد الاختلاف على الامامة والخلافة ، وظهر ذلك في صدر الاسلام عندما صعد حضرة الرسول الى الرفيق الاعلى توّاً ، ونبغ من ذلك مانبغ من التفرق والتحزب ، والتمزق والتعصب ، وكان من العداء ماافتتح بالقيـل والقال ، والمراء والجدال ، وانتهى بالعدوان والقتال ، وسفك الدماء بين السنية والشيعة .

ولم ينحصر هذا الخلاف (في الخلافة) فما بين الخلفاء الاولين وأتباعهم ، وما اقتصر على الظهور بين السنية والشيعة ، بل امتد

الخلاف فيما بين كل طائفة من هاتين الطائفتين . وتشعب وولد فرقا كثيرة العدد في كل نحلة من النحلتين . ومن ذلك الخلاف فيمن هو احرى بالتقدم من الأئمة على غيره .

وكان نشوء الاختلاف والانقسام بين الشيعة والسنية على السواء . إلا ان الاختلافات التي ظهرت بين أهل السنة لم تكن إلا اختلافات جزئية في الفقه والفروع والاحكام التفصيلية العملية . اما اختلافات الشيعة فانها كانت في مسائل كثيرة رئيسية وأهمها مسألة الخلافة والامامة .

وهذه الاختلافات التي كانت تدور حول إمامة كل إمام ، وتتجدد وتقوى بقيام كل واحد منهم ، ولدت اختلافات في كيفية ظهور المنتظر . فبما ان الاختلافات في الامامة ترتبط بمسألة شخص المنتظر لذا نرى من الواجب ايراد بعض الايضاحات عنها :

أول ماظهر من الاختلاف (الشيعى) في الامامة كان في القرن الأول للاسلام ، وذلك في إمامة محمد بن الحنفية ابن علي .

ولا يخفى على المطلع أن أهل السنة حصروا خلافة الرسول في أربعة رجال : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وقفلوا بالاخير منهم باب الخلافة ، واسندوا المسائل الروحية والفقهية الى المجتهدين من علماء الأمة ، والامور السياسية والزمنية الى الملوك والسلاطين .

أما غيرهم وهم شيعة آل البيت ، الذين لم يرتضوا بالخلافة الثلاثة الاولين ، فاعتقادهم منحصر في القول بامامة ثلاثة اشخاص وهم

علي وولداه الحسن والحسين .

وبعد شهادة الحسين ، وقع الخلاف بينهم فمنهم من بايع علي ابن الحسين كامام رابع ، ومنهم من اتبع محمد بن الحنفية ، واعتبروه امامهم ، وعرفوا باسم (الطائفة الكيسانية) وبعد وفاة ابن الحنفية اتسعت دائرة الخلاف بين الفريقين ، فان الطائفة الكيسانية اعتقدت عدم موته وأنه غائب في جبل رضوى . وزعمت أنه الامام الحي الغائب ، وهو القائم والمهدي المنتظر الذي سيظهر في آخر الزمان ، ويقوم لنصرة الدين ، وأنه غائب في الجبل المذكور ، يقتات بالماء والعسل الذي يأتيه من عند الله ، ولابد من ظهوره في آخر دورة الاسلام .

ولقد قال في هذا المعنى السيد اسماعيل الحميري الذي هو أحد علماء هذه الطائفة العظام هذه الابيات :

علي والثلاثة من بنيه ... فهم اسباطنا والاولياء
فسبط سبط ايمان وبر ... وسبط قد حوته كربلاء
وسبط لايذوق الموت حتى ... يقود الجيش يقدمه اللواء
يغيب - فلا يرى - عنا زماناً ... برضوى عنده عسل وماء

وأما الذين اعتقدوا بامامة علي بن الحسين فخالفوهم في ذلك . وبعد وفاة علي بن الحسين هذا اعترف هؤلاء بامامة ابنه محمد بن علي الباقر . وكثير منهم كان يعتقد أنه القائم والمهدي المنتظر . ولكن حضرته كان ينفي عن نفسه هذه المرتبة . ولما سأله الحكم

ابن ابي نعيم عن ذلك قال : (ان الامام سيظهر وسنه أقل من أربعين وأقرب عهداً مني بالابن) ويوجد شرح هذا الحديث في كتب الشيعة خصوصاً كتاب أصول الكافي .

وبعد الباقر جلس على منصة الامامة ابنه جعفر الصادق ، وفي عهده اسند كثير من تابعيه له مقام المهدوية ، ولكنه نفى ذلك بأقوال تضارع أقوال والده ، وكان يقول عن القائم انه : (أحدث سناً مني)

ثم بعد وفاة الصادق وقع الخلاف على الامامة . ففريق اعتبروا ابنه الاكبر اسماعيل إماما ، رغم وفاته قبل والده ، استناداً على أنه المنصوص عليه بمقام الامامة من أبيه الصادق ، ولذا لم ترقهم امامة غيره لفقدانه ذلك النص . وفريق آخر قبلوا إمامة الباقي من أبناء الصادق في قيد الحياة (وهو موسى) اعتماداً على أن الوصاية انتقلت اليه بعد وفاة اخيه .

وكان من اعتقاد أتباع اسماعيل (الذين عرفوا فيما بعد بالاسماعيلية) أن الامام المعصوم هو اسماعيل وأنه المهدي والمنتظر الوارد ذكره في الاخبار والآثار جميعها . ولم يزل ببلاد الهند وجهات أخرى بقية باقية من هذه الطائفة (الاسماعيلية)

ومن اعتقاد هؤلاء أيضاً انحصار الامامه في أئمة سبعة ، وفي هذا الموضوع ألفوا الكتب والاسفار ، واستدلوا بالحديث النبوي القائل (اوصيائي سبعة) وزعموا أن أيام الاسبوع السبعة والسيارات

السبع والسموات السبع والارضين السبع الواردة في الفرقان والسبع المثاني (كل ذلك) رمز الى الأئمة السبعة .

فقد عرفت اذن كيف نشأت (الاسماعيلية) وما كان من أمر اعتقادها .

أما الذين ارتضوا خلافة موسى بن جعفر فقد اختلفوا بعد وفاته ، وانقسموا الى فريقين ، فريق اعتقدوا بأن الامام موسى ابن جعفر لم يمت ، بل هو غائب ، وأنه سيظهر في آخر الزمان . وصادفت هذه العقيدة انتشاراً ، حتى عرف أصحابها باسم (الواقفية) وفريق آخر اعتقدوا بامامة (الرضى علي بن موسى) ومنشأ هذا الانقسام وعلته أنه في مدة وجود موسى ابن جعفر سجينا في سجن هارون الرشيد العباسي ، كانت أموال تجمع من المؤمنين ، وتسلم لايدي النواب عنه . ولكن بعد وفاة موسى بن جعفر اشتعلت نار الحرص في قلوب النواب ، وشق عليهم تسليم الاموال الى ابنه (الرضى) لذا اخذوا يشيعون بين الناس أن الامام موسى لم يمت ، وأنه غائب ، وسوف يظهر في آخر الزمان ، حتى اعتقدت فئة بذلك وانتشرت عقيدتهم . وأما غير هذه الفئة من سائر الشيعة ، فقد اعتقدوا بامامة (علي بن موسى الرضى) وكانوا يسألونه عن المنتظر وكيفية ظهوره ، فكان يجيبهم باجوبة موافقة لمقتضى الحال ، ومنها قوله (لايجيء المنتظر كما يريد الناس)

ثم بعد ارتحال الرضى هذا انشقت الشيعة الى فرقتين : فرقة

قالت بانسداد باب الامامة ، ورفض امامة من ظهر بعده من الائمة . وهذه الفرقة ذات شعب وطوائف شتى نذكرمنها الدراويش وكان لهذه الطوائف ورؤسائها شأن عظيم في القرون الوسطى وأعظم أولئك الرؤساء (صفى على شاه) و (الحاج ملا سلطان على الكونا بادى)

ومن جملة العقائد التي اتبعوها ، والتقاليد التي وضعوها ، القول بان الرؤساء يكتمون أس الاعتقاد عن أتباعهم . ومنها قولهم ان العالم لم يكن في زمن من الازمان خالياً عن إمام او حجة بين الناس . وهذا اعتقاد يخالفهم فيه الشيعة اذ يجوزون الغيبوبة والخلو .

واذا سأل اولئك العرفاء سائل عن اعتقاداتهم ، اخفوا أمرهم وأخذوا يتنصلون من المحاورة بقولهم : (ان المناقشة لم تكن في زمن ما عادة للدراويش) وقد يتراءى من ذلك ان هناك شبهاً بين هؤلاء وبين الطائفة الساكنة بسوريا ولبنان المعروفة (بالدروز) فكل من له المام باحوال هذه الطائفة ، عسى أن يكون قريباً من معرفة أسرار صوفية ايران . وللصوفية المذكورين رأي خاص في قيام المنتظر وظهوره .

أما الفرقة الاخرى من الفرقتين اللتين انشقت اليهما الشيعة بعد وفاة (الرضى) فهم الذين قبلوا امامة محمد الجواد بن على ، وعلى بن محمد ، والحسن بن على العسكري ، واعتقدوا بمهدوية محمد بن

الحسن العسكري ، الغائب الحي الى اليوم ، وهؤلاء يسمون (بالشيعة الاثنى عشرية)

فمن ذلك يتراءى أن هناك مشاكلة بين هذه الفرقة، وطائفتي الواقفية والكيسانية ، بيد ان هاتين الطائفتين لا تحتاجان الى اثبات وجود موسى بن جعفر ومحمد بن الحنفية ، وأما الفرقة الاثناعشرية ، فتحتاج الى اثبات وجود ذلك الشخص الذي يسمونه (محمد بن الحسن العسكري) ويدعون أنه المهدي . وفي الحقيقة ونفس الامر لم يكن القول بوجود شخص كهذا الا فرية واختلاقاً ، وذلك انه لما توفى الامام الحسن العسكري لم يكن له خلف ولا ذرية ، فاستولى المتوكل العباسي بعد وفاته على امواله جميعها ووزعها ، وبعث بالقوابل الى حرمه للكشف على نسائه وتبين حملهن من عدمه ، فتحقق بعد الكشف انه لا يوجد بينهن حامل . وشاعت الاخبار وذاعت ان الحسن مات عقيماً . ولكن هذا الخبر لما لم يرق أعين زمرة من شيعته ، أشاعوا نقيضه ، وهو أن الامام الحسن له ولد صغير السن كان يخفيه والده عن أعين الناس خوفاً عليه من الاعداء ، وهو الآن في الغيبة الصغرى ، وعلى أثر تلك الاشاعة قام أربعة رجال الواحد بعد الآخر وادعوا النيابة عن الامام الغائب ، وعرفوا باسم (النواب الاربعة)

ولما لم يرض ذلك الشيع الآخرون ، قام أحد مشاهير الفقهاء ، وهو محمد بن علي الشلمغاني وشن الغارة على هذه الفكرة ، وانكر

وجود عقب أو ذرية للامام الحسن ، ووافقه على ذلك شقيق الامام وهو جعفر وأعلن للناس أن أخاه مات بلا خلف ولا عقب .

فقام وانبرى لهما (حسين بن روح) احد النواب الاربعة ، وأخذ يلعن الشلمغاني على رؤوس المنابر ، ولقب جعفراً بالكذاب وأصر على صحة قضية ابن الامام الحسن وغيابه في السرداب ، ولبث يجمع الاموال باسم سهم الامام الغائب وظل يروي عنه الاخبار التي كان يسردها ويعزوها اليه في كل يوم ، الى ان رسخت هذه العقيدة في قلوب الشيعة . وخصوصاً الذين يقطنون بلاد الهند والجهات النائية من الاقاليم الايرانية . وأما سكان الجهات القريبة فانهم لم يعرفوا شيئا عن هذه العقائد ، ولا سيما أهل السنة ، فانهم يعدونها من الامور الوهمية الخرافية ، كما قال بذلك احد علمائهم المعروف بابن حجر :

ما حان للسرداب ان يلد الذي سميتموه بزعمكم انسانا
فعلى عقولكم العفاء فانكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

وفي نهاية الامر وخاتمة الدهر وقعت طوائف الشيعة في هوّة الذلة والخسران والمسكنة والهوان بسبب الانقسامات والاختلافات واذعانهم لسلطة الاهواء والاوهام ، ومن جسيم مقت الغير لهم أمسوا متشوقين بكل تلهف لوقوع أمر خارق للعادة ، ومنتظرين بغاية الشغف والتعطش لقيام المهدي ليكون لهم من قيامه باب للفرج والخلاص .

وأما أهل السنة فان مشغلتهم السياسية كانت غالبة عليهم ، وكادوا يتناسون قضية المهدي ومجيئه ، ولم يعلقوا أهمية على خبر ظهوره ، على اننا نراهم متفقين مع الشيعة في اس العقيدة ، ونجدهم في كل زمان وآن موافقين على ضرورة ظهوره وقيامه باحترامهم لما جاء بالاسفار الاسلامية من أخبار ظهوره ومن اخبار رجعة المسيح ، بيد انهم يخالفون فرق الشيعة جميعها كل المخالفة في كيفية ذلك الظهور وتلك الرجعة ، ولا يعتقدون بان المنتظر يصح ان يكون شخصا ولد منذ الف سنة وغاب في سرداب أو بئر تلك المدة ثم يخرج منه في آخر الزمان.

بل اعتقادهم على انه في آخر دورة الاسلام (اي في العصر الذي يضعف التمسك فيه بأساسات الديانة الاسلامية وترفع الاحكام ويبطل عملها وتتفرق كلمة الامة ويحصل الكثير من تلك العلامات التي تتفق مع معتقدات الشيعة) في هذا الميقات يبعث الله شخصاً من السلالة الطاهرة النبوية يلقب المهدي ، ثم من بعده يظهر المسيح وتوضع أحكام دين الله على أساسات محكمة متينة ويصبح الدين حياً قويماً ركينا ، وقوياً رصينا .

وهناك شرذمة تعتقد بنزول المسيح دون المهدي . فلنعد الآن الى ما كنا بصدده من الكلام على الاثني عشرية فنقول :

ان العقيدة بغيبة ابن الامام الحسن العسكري عن الانظار تأصلت في قلوب الشيعة شيئاً فشيئا حتى دخلت سنة الستين بعد

المائتين الهجرية وهي السنة التي مات فيها النائب الرابع من اولئكم النواب الاربعة وهو محمد بن عثمان السمري ، وفي هذه السنة عند ما كان ذلك النائب راقداً على فراش الاحتضار تقرر سد باب النيابة ، وأشيع بين الناس أن غيبة الامام الكبرى تبتدئ من الآن ، ولن يتاح لاحد بعد الآن التشرف بلقائه . وهكذا أسدل الستار على الغيبة الصغرى ، ورسخ وتأصل الاعتقاد بالغيبة الكبرى عند الشيعة ، وقام الكثير من علمائهم لاثبات هذا المطلب ، وأخذ الخلف بجاري السلف في هذا الميدان ، الى ان جاءت القرون الوسطى للاسلام فانبرى لتأييد هذا الاعتقاد فطاحل علمائهم بعد ان رسخت هذه العقيدة في قلوبهم وقلوب اسلافهم في مئات السنين ، وطفق أولئك الفطاحل يؤلفون الكتب المبسوطة العديدة المملوءة بالادلة الوافرة الكثيرة المثبتة لصحة الغيبة حسب زعمهم ، وينشرونها بين الناس ، وأهم تلك المؤلفات كتاب (اكمال الدين) الذي بذل فيه مؤلفه جهد المستطاع لاثبات حقيقة غيبة الامام والبرهنة عليها ، وضرب لها الامثال فشبه غيبوبته بغيبوبة الانبياء ، وجاء بالاخبار تلو الاخبار ، والاقوال إثر الاقوال ، طمعاً في البرهنة على صحة هذا المعتقد . ولكن جاءت هذه الروايات بعكس ما كان يتوقعه المؤلف ، وانتجت نقيض مقصده بحيث لا يشتم منها أدنى رائحة من الدلالة على ثبوت تلك المعتقدات والمدعيات .

ومن الامثلة التي ضربها لذلك المطلب قوله : (كما أن نوحا عليه السلام مات ووقعت الغيبة ثم بعد قرون عديدة ظهر صالح عليه السلام كذلك الحال في الامام الغائب) ولكن أمثال هذه الدلائل لا نسبة بينها وبين المطلب الذي هو وجود شخص غاب الف سنة ورجوعه بجسمه المادي ثانياً ، بل ان هذه الاقوال هي أحرى بان تثبت ما تعلمه البهائية من أن الامام الاخير من أئمة الاسلام قد مات بتمام تدبير أمور الشريعة وتأسيسها ، وفي آخر الدورة بعث الله شخصاً من السلالة الطاهرة النبوية ، وهو الذي ظل ينتظره أهل الاسلام الموعودون بمجيئه .

وبما ان نقد الاقوال وفحص الحجج والبراهين خارج عن دائرة اختصاص المؤرخ ، نختصر الكلام فيها ونحيلها على طلاب الحقيقة لكشف اسرارها واظهار غثها من سمينها ، فلنضرب صفحاً عن هذا البحث وننظر في معتقدات الشيعة من جهة أخرى غير جهة المنتظر فنقول :

اننا اذا أمعنا النظر في تلك المعتقدات والمرتئيات نرى انها كانت على الاستمرار في تغير وتبدل وتقلب وتحول ككفتي الميزان المختل اللتين في صعود وهبوط دائمين وانهم لبثوا على هذا الحال الى عهد السلاطين الصفوية ، وحينئذ أخذت السلطة تحرض أهل العلم على ان يصنفوا الكتب لوضع هذه العقيدة على أسس قوية لا تتزعزع فيما بعد ، فقام حينئذ العلامة المجلسي لتحقيق تلك

الغاية ، وبما كان له من العلاقة والصلة بالمقامات العالية في الدولة ، أتيح له تدوين اعتقادات الشيعة على اختلافها وتباينها وبالاخص موضوع المنتظر فانه أخذ شكلا وقالباً محسوساً اذ ذاك .

أجل ، انه لمن الصعب المستصعب ان يدرك مدرك ما كانت عليه درجة علماء ذلك الحين ومقدرة المجلسي في العلوم والمعارف وما كان مقصد سلاطين ذلك العصر وفقهائه معرفة حقيقية أو الوصول الى النقطة التي كانوا يرمون بأفكارهم اليها .

ولكن يمكننا ان نقول، والانصاف رائدنا ، انهم دونوا أخباراً لانهاية لها وروايات لاحد لكثرتها وكلها تناقض وتضارب وتباين في كل موضوع ، بحيث يندهل عقل الطالب للحقيقة ويندهش لبه وينبغت من جسيم تهافتها وخروجها عن دائرة الذوق السليم بل عن حدود ابسط ما يمكن للعقل أن يلم به .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل جاء العلماء اللاحقون ، وزادوا الطين بلة وأضافوا الى تلك الآثار ما أوحته اليهم افكارهم، حتى أمست المعتقدات في حالة من الارتباك والتعقيد يرثى لها ، وتكاثف تناقضها أضعافاً مضاعفة عن ذي قبل ، وشمر أولئك اللاحقون عن ساعد الجد والاجتهاد وكتبوا في قضية غيبة الامام أقوالا شتى نتركها للطالب ذي الفراسة والمجد صاحب الذكاء والكياسة والملىء بالبحث عن أنوار الحقيقة ليفحصها بكل دقة وانتباه ويصدر حكمه اراءها .

وما تلك الحكايات التي جاءوا بها ليتخذوها دليلا على امكان تعمير شخص الامام بجسده آلافاً من السنين ، إلا روايات وأقاويل هي بالاوهام أشبه منها بالحقيقة ، ولا نضن على القاريء بمثال من الادلة القاطعة بزعمهم في هذا الصدد ، وهو قولهم إن الشخص الفلاني عمر دهراً طويلا وان حياة الخضر والياس هي كذا وكذا من الزمان ، الى غير ذلك من الاقاصيص الفكاهية والاحاديث الخرافية ، ولولا ما كانت عليه العامة من الجهل والتقليد ما نفق لها سوق ، ولكنها راجت رواجاً غريبا وانتشرت في جميع الممالك والبلدان ، وعلى يدها رسخت عقيدة غيبوبة الامام محمد بن الحسن العسكري في قلوب أهل ايران رسوخاً عجيباً حتى صاروا يكفرون كل من ينكر عليهم هذا المعتقد أو يمسه بانتقاد ويفتون بإباحة دمه ، مع انه لم يسمع سامع قط ، منذ بداية الاسلام الى يومنا هذا أن قد حكم على المخالفين في مسألة الامامة بالارتداد والكفر . ورغم الشقاق الشديد والعداء الذي ما عليه مزيد بين السنية والشيعة من أوجه عديدة لم يصدر أحدهم على الآخر حكماً كهذا مطلقاً . وخلاصة القول إنه بعد أن رسخت تلك العقيدة أخذت في النمو والتشعب وصارت تزداد كل يوم رسوخاً وتأصلا بما كان يضاف اليها من الحواشي والذيول والفروع الكثيرة والروايات المختلفة كقول فلان انه رأى الامام الغائب في الرؤيا ، وقول آخر انه تشرف بلقائه في اليقظة ، وروايتهم عن هذا أنه

رآه في الصحراء ، وعن ذاك قوله إن الامام نجاه من الغرق في اليم بسفينته المحطمة ، وعن ثالث أنه سافر الى مدينة جابلصا ، وعن رابع أنه عثر على مدينة جابلقا المجهولة ورأى هناك أولاد الامام (وهم هاشم وقاسم وطاهر) مشغولين بزعامة المسلمين وقيادتهم .

وبالنظر لما كانت عليه السلاطين والعلماء من الجور والاستبداد كان يستحيل على امرىء انتقاد هذه الاقاويل واستهجانها ولو في مجلس أخص خواصه ، ولقد استولى الوجل على جميع القلوب حتى أصحاب الفطن النقادة والقرائح الوقادة ، من سيطرة القوة الغاشمة ، حتى صاروا بحيث اذا خطر ببال أحدهم خاطر يدور حول نقد تلك الاوضاع حمله على محمل الخبث النفساني واعرض عنه ، ولبث هذا الحال الى القرن الثالث عشر الهجري المطابق للقرن التاسع عشر الميلادي .

الشيخ احمد الاحسائي

في اوائل القرن الثالث عشر الهجري برز الى ساحة الوجود احد فطاحل علماء الشيعة واجلائهم الشيخ احمد الاحسائي ، فكان أول من جهر بصريح معاني الاسرار الدينية وكشف الستار عن الحقائق الحرة الروحانية وباغت بها العالم الشيعي مباغتة .

ولد عام ١١٥٧ للهجرة المطابق لعام ١٧٤٣ للميلاد من أب يدعى الشيخ زين الدين الاحسائي أحد اجلة مشايخ عشيرة بني صخر الذي كان يشار اليه بالبنان وتعد عشيرته من العشائر العربية الصميمة وكان نادرة من نوادر عصره لفرط ذكائه وعلمه وأدبه ، مهيب الصورة ذا طلعة جذابة وقيافة بديعة خلابة كما يظهر للقارىء من رسمه الشمسي .

ومنذ نعومة أظفاره سلك سبيل التقديس والتنزيه والتعبد والاعتكاف وطلب العلوم في بلدته فبعد أن أكمل الدروس الابتدائية بذلك الوطن قدم العراق العربي لاكمال التحصيل وبعد ان قضى ردحة من الزمن في التحصيل ظهر فضله وثبت لدى العموم أدبه فجلس على كرسي الافادة والتلقين ، وأخذ يصرف اوقاته في التدريس والالقاء والتعليم وقام على نشر التعاليم الحقة الروحانية ونقد الطقوس والتقاليد بجرأة وشهامة ، فظهرت آثار علمه

الغزير وبينات فهمه الغواص الدقيق ، ولم يكن الا هنيهة من الدهر حتى حاز شهرة عظيمة ونفوذا عجيباً والتف حوله جموع عديدة من الطلاب وطار صيته في الآفاق وأصبح ذا مقام ممتاز في قلوب الكثيرين من الشيعة .

ولم يقف عند هذا الحد بل أخذ يبث من بنات الافكار والاراء الجديدة ما كان طالعة عصر جديد ، ونقي صفحات المعتقدات بقدر المستطاع وانتقد بعضها وعدها من نتائج التقليد ، حتى شاع وذاع ذكره ، وعرف بين الملا بانه العالم الحافل الجامع بين أسرار التأويل وأنوار التنزيل واعتقد الجمهور بأنه علامة عصره ووحيد دهره ، ولكونه سليل تلك القبيلة قبيلة بني صخر العريقة في النسب العربي صار لنطقه وتقريره خاصية عجيبة ، ولسحر بيانه التأثير المدهش في العقول والافكار والقلوب والارواح ، وما الكتب التي أخرجها والصحف التي دبجها الاشهود عدول على طول باعه وسمو مقامه الرفيع وتبريزه في هذا الميدان الفسيح الوسيع .

ولكن الناس أضحوا فريقين ففريق اعتقد أن المؤمن الحقيقي هو الشيخ احمد وان الشيعة الخالصة الصريحة من اتبعه وان طاعته فريضة مقدسة لأنه أعلم علماء عصره واتقاهم وازهدهم وله من مزايا الارشاد والهداية ماليس لهم الى غير ذلك مما نجد تفصيله في كتاب سوانح عمره وتاريخ حياته المطبوع والمنتشر بين الناس .

وفريق آخر « هم أهل الجمود والغرض من الفقهاء والعلماء

وذوى الغايات والغوايات » لم ترقبهم أفكاره الحرة ومباديه التي كان يشتم منها عرف التجديد والاصلاح والآراء الحديثة، وامسوا على مشاكسته ومنابذته، وطفقوا يرقبون ويبحثون عن بادرة غلط تبدر منه، بيدانه كان على الدوام يتكلم بكل حذر واحتراس وحكمة وحزم ويضن بآرائه ولا ينثرها نثرا بل كان يخص بها العلماء والعرفاء الصادقين في محبته ويذاكرهم سراً مطلعاً لهم على معلوماته، لذا لم يتح لاولئك العثور على حجة يتخذون منها متكئا أومستنداً للحكم عليه بالكفر والارتداد، اضف الى ذلك أنه لم يكن هناك من العلماء من هو كفء لمباراته في ميدان البحث والتحقيق .

ولقد بهرت نباهته وسمت وأرتفعت سمعته وازدادت وجاهته وسطوته بعد سفره الى ايران واقامته بيزد وخراسان وكرمانشاه وطهران وملاقاته للمرحوم فتح على شاه والكبراء وحصوله على الحظوة لديهم، حتى الجم عداه الجاما وسقط في أيديهم ولم يعد في استطاعتهم ان ينبسوا في جانبه ببنت شفة، وعرف اتباعه ومريدوه اخيراً بطائفة الشيخية وبهذه السمة اشتهروا . واما سائر عوام الشيعة فسموا (بالاسرى) وكانوا في السر يهمسون بتكفير

طائفة الشيخية [١]

ومع ان الشيخ لم يخالف الشيعة في أساس معتقداتهم وكان يطرى أئمة الهدى اطراء بليغاً ويأتي في تمجيدهم بما ليس في استطاعة أحد من العلماء ان يأتي بمثله ، وكان يظهر منه الولاء لآل البيت ولاءً لا يأتي عليه الوصف ويعتقد بخلافة على المتصلة وامامة أئمة الهدى من ذريته ، فمع كل ذلك ونحوه ورغماً عما انتهجه من الاحتياط والتحفظ والحكمة اصر فقهاء العامة وزعماء الدهماء على مناصبته العداء ذلك الاصرار المذكور

نعم جاء في ابحاثه واكتشافاته بما ينير البصائر ويرفع الغشاوة ويفتح ابواب الاسرار في أوجه طلاب الحقيقة

فمن ذلك انه رفع الصوت جهراً بنغمة بديعة في مسألتي المعاد والمعراج الجسمانيين ومهد في بيان كنه مسألة المعراج بقوله انه يستحيل على هذا البدن السفلي الصعود الى الافلاك . وتخلص من ذلك الى التقرير بان معراج حضرة الرسول عليه السلام معراج

---

(١) اعتادت الشيعة ان لاتستقبل ضريح سيد الشهداء في كربلا حين الصلاة بل تصطف باستقامة رأس الضريح من فوق بعداً عن توجيه العبادة للضريح نفسه . واما الشيخية فلم تحترم هذه العادة بل كانت تقف للصلاة حيث ما اتفق وتصلي فهذا العمل ادى لان تسمى الشيعة (بالاسرى) (أى فوق الرأس) بمعنى التي تصلي من فوق رأس الضريح .

روحاني لاجسماني .

ومهد لبيان الحق في مسألة المعاد بقوله ان هذا الجسم الترابي مؤلف من العناصر الارضية وأنه بعد الموت يتلاشى بالكلية لامحالة ولايمكن ان يكون له رجعة أبدا . وانتهى من ذلك الى التقرير بأن القابل للبقاء والحرى بالدوام والابدية والحشر والنشر هو هذا الروح الآلهي الذي يعبر عنه (بهورقليا) والذي هو من عالم المثال وجوهر الجواهر .

ثم انبرى للكلام عن مسألة المهدي المنتظر في الاسلام ، فجاء بآراء حديثة مراعيا فيها الحكمة التي كانت دستور عمله ، واوصل الى مسامع تلاميذه ومريديه من ذلك مافيه الكفاية والبلاغ وقد اتى في مؤلفاته التي تكلم فيها عن تلك المسألة ببعض العبارات الدالة على ان المهدي هو محمد بن الحسن العسكري وانه حي لم يمت الا أنه ذيلها بعبارات وبيانات اخرى جاء في غضونها بنكات ولطائف دلت على ان عقيدته الخاصة لاتتفق مع تلك العقيدة الشيعية في المهدى من الغيبة والاقامة في جابلسا ونحوهما من العقائد الخرافية .

ومن جملة تلك النكات قوله (ان الامام ، روحي له الفداء لما خاف من اعدائه خرج من هذا العالم ودخل في جنة هورقليا وسيعود الى هذا العالم بصورة شخص من اشخاصه)

يعني بذلك انه يعود بالولادة والنمو كسائر الناس.

ومنها انهم لما سألوه عن سبب تسمية المهدي (بالقائم المنتظر) أجاب بقوله (لانه يعود بعد الموت)

ومنها أنه سئل ما معنى قيام القائم من القبر وما حقيقة هذه القضية ، فأجاب (يقوم من قبره اي من بطن أمه)

ومنها قوله (ان جابلصا التي هي منزل القائم ومكانه موجودة في السماء لا على الارض) . والخلاصة انه يستخلص من أقواله واشاراته الكثيرة الواردة في مؤلفاته انه لم يكن ليعتقد بعودة شخص غاب عن الانظار منذ الف سنة وان الذي يعتقده يقيناً حقاً هو ان المنتظر يوجد ويظهر بالولادة لا محالة ويبعث لهداية البرية ، فأمثال هذه المسائل ونحوها . وأشباه هذه المباحث التي خالف فيها الرأي العام وناقض بها الوسط الفاسد أقامت وأقعدت الدهماء والغوغاء وكانت باعثاً للكثيرين من علماء الشيعة المعاصرين له والمتأخرين الذين جاءوا من بعده على تكفيره حتى انهم مابرحوا يسندون اليه جميع ما وقع من الانقلابات في العالم الاسلامي وعلى الاخص في طائفة الشيعة مستندين الى ما رمز له في كتاباته وقالوا ان أول من تصدى للاعتقادات القديمة كان ذلك الشيخ .

وأول من هب لمناقشته ومناوشته وقام للاعتراض عليه ، الحاج ملاتقي القزويني صاحب كتاب (مجالس المتقين) الآتي نبؤه اثناء حوادث قرة العين . وقد سلك الحاج المذكور جميع طرق العناد والاستبداد وركب مطايا الشقاق والسعاية والافساد ، وكاد يشير

فتنة في قزوين لولا ان حاكم البلد تدارك الامر وسعى لاخماد تلك النار باصلاح ذات البين وصنع وليمة دعا اليها الخصمين (الشيخ والحاج المذكور) ولكن حال بين الحاكم وبين مقصده ما ابداه ملاتقي من الاصرار على الخصام والعناد والمكابرة فذهبت مساعي الحاكم أدراج الرياح . واضطر الشيخ في نهاية الامر للشخوص عن قزوين .

أجل بعد هذه الحادثة التي استغرقت برهة في الاخذ والرد واخذت دورا عظيما في قزوين تزلزل المتشددون في القديم والمتحمسون للرسوم والمتشرعون من علماء الشيعة في اعتقادهم بالشيخ الا أنه ظل مرتفع الشأن قوي السلطان في نظر الكثيرين من علماء ونبهاء عصره ، و نظر العديدين ممن جاءوا بعده ، لا سيما البهائيين الذين منذ ارتفاع نداء بهاء الله صاروا يعطونه حقه من التبجيل والاجلال ويعدونه مبشراً بالظهور ويلقبونه مع تلميذه الاخص السيد كاظم الرشتي الذي سيأتي شرح تاريخ حياته (بالنجمين الساطعين)

ولم يزل يبشر تابعيه ومريديه وتلاميذه باقتراب ظهور المهدي ودنو قيام القائم المنتظر ويحض الجميع على البحث المتواصل والجد المتواتر والمثابرة على الطلب والتنقيب والمواظبة على ترقبه وترصد بزوغه الى ان يرتفع نداؤه وتبدو دعوته . ومن أقواله لهم في ذلك

(إياكم أن يحول بينكم وبين الايمان به أمر من الامور أياً كان ، عند ما يبلغ مسامعكم نداؤه)

وبالجملة فان الشيخ كون طائفة ونظم عقداً من الخاص ظلّ افراده وجواهره كل تلك الايام ينتظرون القائم ليل نهار وكلهم آذان صاغية تراقب صوت النداء في كل آن وترصد ، وملؤهم الشوق والتوق والوجد والوله ، طلوع شمسه وبزوغ بدره لانهم كانوا على عقيدة ثابتة وطيدة بان كلمات شيخهم عن ظهور القائم وازوف قيامه كانت من قبيل المكاشفة التي لا يحوم حولها شك ولا ريبة .

زار الشيخ في غضون حياته مكة المكرمة مرارا وفي المرة الاخيرة لمرحلتين بقيتا من طريق المدينة المنورة صعد الى الملكوت الالهي وكان ذلك يوم الاحد الموافق واحدا وعشرين من ذي القعدة احد شهور سنة ١٢٤٢ الهجرية الموافقة لسنة ١٨٢٦ الميلادية فحمل رفقاؤه جسده معهم ودفنوه بقرافة البقيع

الحاج السيد كاظم الرشتي

ولد هذا السيد النجيب برشت سنة ١٢٠٥ﻫ انجبته أسرة شهيرة بالتجارة رأسها المدعو (آغاسيد قاسم) دب ودرج وشب وترعرع وسيميا. الذكاء والنجابة والاريحية باديات عليه فقدم على الشيخ وانخرط في سلك تلاميذه وجد في الاستفادة والاسترشاد ولم يمض على تلمذة هذا وتغذيه بلبان تلك المعارف والعوارف الاقليل من الاعوام حتى سبر غورها بل قتلها بحثاً وفهماً، وأصبح ذا القدح المعلى والقسط الاسمى الاسنى في تلك العرفانيات والافادات، وبذ فيها جميع المريدين حائزا قصب السبق في ذلك المضمار، ومحرزا المجد والسؤدد في هذا الميدان واضحى راسخ القدم حاذقا نحريرا، مرشحاً لاستلام زمام السيادة والرئاسة وقد كان ذلك الشيخ قبل أن ينتقل الى الدار الاخرى أوصى بأن يكون السيد كاظم خليفته بعد وفاته والقابض على دفة الزعامة وقيادة الطائفة، والقائم مقامه في أمر التدريس والتربية والتعليم، وبمجرد انتقال الشيخ وصعوده الى الرفيق الاعلى الابهى نفذت الوصية وبذل الاتباع والمريدون له كمال الطاعة والانقياد، وتقاطروا على حضور حلقة درسه، وفي هذا الحين عمّ الانفصال بين الشيخية والبالاسرية، وكانت الشيخية كل يوم في نماء وازدياد وجميع أفرادها للسيد على

غاية من كمال الانقياد . يقتدون به في جميع أعماله ، ويلقبونه بالسيد العظيم .

وكان يلقى الدرس على لهجة الشيخ ونمطه في الالقاء والتقرير ، مع تقديسه جميع ماصدر عنه من قول أوفعل . وسلك محجة الحكمة بالكيفية التي كان عليها الشيخ غير متخط ولا متجاوز عنها قيد شعرة ، وكان يتكلم حسبما يقتضيه الوقت والحال وكما يليق بافهام الحاضرين ، وذلك ظاهر باهر من جميع كتبه ومؤلفاته وعلى الأخص كتابه الموسوم (بالمسائل الرشتيــة) المترع بالاجوبة الرشيقة الدقيقة ، وكان كلما رأى البراع شرع يشط أو يأخذ في طريق كشف سر من الاسرار ، كبح جماحه وجذب عنانه قائلا (لنقبض العنان فللحيطان آذان) ولطالما ردد صدى قول الامام الصادق (ما كل مايعلم يقال ، ولا كل مايقال حان وقته ، ولا كل ماحان وقته حضر أهله) ، ورغما عن احتياطاته الجمة ووافر ملاحظاته للحكمة كان هدفا لشكوك العلماء .

ان اتباع السيد كانوا على ثلاث طبقات ، احداها الذين كانوا يقطنون بالبلاد النائية وقد وصلت اليهم تعاليم السيد من صيته الذائع وكتبه الشهيرة فكان لهم به ارتباط واتصال كلي مع الاحاطة بما كان يقصده في كتاباته واعتقدوا أن السيد هو الشيعة الخالصة وأعلم من على متن الغبراء ، والطبقة الثانية لفيف من التلامذة لم يتوفروا على الملازمة ولا عكفوا على المعاشرة والمصاحبة بل كانوا

يكتفون بمجرد الحضور في مجالس درسه ، لذا لم يستفيدوا من بياناته وكلماته الا أموراً وأطرافا طفيفة سطحية لم يفوزوا منها باكثر من قطرة من فيض قلمه الزاخر، وكأنهم رضوا من الغنيمة بالاياب ، وأما الطبقة الثالثة فهم التلاميذ الذين لازموه الليل والنهار وصحبوه بالعشى والابكار ، وكانوا مستودع أسراره وامناء جواهر افكاره واولئك هم الذين آمنو بصاحب الظهور حضرة الباب في مؤتنف الدعوة لانهم عاينوا في أساريو ديباجته ماهو مصداق كلام السيد عن البشارات الدالة على المنتظر فثبتوا على الامر باستقامة تدهش الالباب حتى ضحى معظمهم ماله وروحه في سبيله وسنأتي على شرح ذلك فيما بعد إن شاء الله .

ومن ذلك يعلم لنا جليًا أن ما تعزوه البهائية الى هذين الفاضلين الشيخ والسيد لم تكن وجهة النظر فيه عارية عن الاساس ، وكيف وانهما فوق ما افعما به كتبهما من الاستعارة والمجاز والكناية والرمز عن ظهور الامر ، بشرا أصحابهما شفاهاً بقرب ظهور المهدي المنتظر في الاسلام وقيامه طبقاً لما بين الايدي من الاشراط والاشارات والآثار وأضافا الى ذلك ان قالا لهم : ان جل الناس سيبتلى بالحرمان من معرفته وجوهر الايمان به لانهم يتصورونه شخصاً له من العمر الف سنة والحال انه شاب فتى ، واتيح لهما ان يغرسا حب الديانة الحقيقية في قلوبهم وان يزوداهم بالوصايا والنصائح الناجعة ليكونوا أنصار المنتظر عند ظهوره وجنده المفادي حين نهوضه ، فلم

يضع ما بذلاه من الجهد وما كابداه وعانياه من الكد والوكد ، واشتعلت قلوب التلاميذ بما بث فيها من الارشاد والنصح فلم يكادوا يسمعون صيحته حتى سارعوا الى الايمان به وتسابقوا الى ميدان الشهادة في نصرة امره واعلاء كلمته بكل هزة وارتياح .

وقد استفاض واشتهر بين الورى ان السيد المشار اليه فاض عن يراعه من الاسفار والرسائل ما كثر عدده ، منها كتابه الشهير المعروف (بشرح القصيدة) الذي طبع ونشر بين الملا وهو احدى الحجج عند البهائيين يحتجون به ويستشهدون منه بجملة مواضع منها ما ورد في الخطبة التي صدر بها الشرح وهو قوله (الحمد لله الذي طرز ديباج الكينونة بسر البينونة بطراز النقطة البارزة عنها الهاء بالالف بلا اشباع ولا انشقاق)

ومن هذه الفقرة يستدل على مسألتين : احداهما ذاك المعنى البسيط الظاهر المتبادر الى الذهن الذي يستخرج منه كلمة (بهاء) وهي الكلمة التي كانت بيت القصيد والمغزى الوحيد للمؤلف ، وبها صرح في موضع آخر من الكتاب مستدلا بكلام الامام محمد الباقر عليه التحية والثناء (الباء بهاء الله)

وأما المسألة الاخرى التي تستنبط من تلك الفقرة فهي ان الحروف الثلاثة التي ذكرها في عبارته تشير الى ثلاثة اشخاص مقدسة هي المصدر والمبدأ اعني النقطة الاولى وجمال الابهى وحضرة عبد البهاء وقد عين وقت الظهور في كتابه المذكور بقوله (في أواسط

القرن الثالث عشر للاسلام اي سنة ١٢٦٠ الهجرية ينال العالم نعمة تأويل القرآن وتظهر وتتلألأ أسرار التنزيل وبواطن هذا السفر الجليل)

أجل أن بياناته الشفهية وأحاديثه التي كانت تدور على ألسنة التلاميذ وتتداولها الافواه ليست مدعومة بالسند ولكن من الثابت المحقق انه كان مولعاً على الدوام بالتبشير والتنبؤ لذا تكون هذه الانباء أقوالا وثيقة من حيث جملتها ومعناها وانها عمدة في بابها . وكان السيد يستعمل في التبشير والتنبيه الاساليب المختلفة والافانين المتنوعة منها انه كان يحث ويحض التلاميذ على التهيؤ والاستعداد وأخذ الاهبة والعتاد لاستقبال القائم ولقائه والايمان به .

وبينما هو جالس ذات يوم مع التلاميذ في البيت ، اذا باعرابي دخل واخذ يقص على السيد رؤيا رآها والسيد مطرق تأملا فلما فرغ الاعرابي من قص رؤياه تمهل السيد هنيهة ثم قال : ان ايام حياتي في هذه الدار قد صارت على شفا الانتهاء وان يوم وفاتي قد أمسى دانياً . وما كاد يرن بآذان التلاميذ هذا النبأ والاعلان الفجائي حتى دب دبيب الجوى والاضطراب بافئدة الحاضرين والطلاب وأجج في قلوبهم لوعة الفراق وأسالوا من العيون العبرات وتقلبوا على لظى الحسرات ولكن هذا السيد الراسخ الرزين التفت نحوهم قائلا : ان أوقات بقائي بهذه الدنيا قد انتهت وساعة الرحيل قد دنت فلماذا انتم تحزنون من نبأ وفاتي الا ترضون أن أذهب

والحق يظهر . فهذه من بدائع اشاراته ورقائقه الروحانية في التلويح عن اقتراب يوم الموعود والالماع الى انه سيعقب وفاته انكشاف النقاب عن المنتظر ورفع الحجاب عن محبوب العالم .

وبعد ان قضى ماعليه من واجب التبشير ومهمة الارشاد والتنبيه ولفت الانظار وتوجيه القلوب والابصار واتمام الحجة والاعذار ، صعد الى الملكوت الاعلى والرفيق الابهى وكان ذلك سنة ١٢٥٩ هجرية المطابقة لسنة ١٨٤٣ ميلادية .



الفصل الاول

في تاريخ حضرة الباب

الوصل الاول

في افاضة الشرح عن حال نشوء حضرة الباب وسيرته، من طفولته الى شيبته حتى أيام سجنه ، والابانة عن الوقائع والحوادث التي وقعت في تلك المدة .

ولد السيد الباب بشيراز المعروفة بدار العلوم في اليوم الاول من محرم سنة ١٢٣٥ هجرية المنطبقة على سنة ١٧١٩ ميلادية من ابوين هما (اغا سيد محمد رضي التاجر) والسيدة (فاطمه بكم) ينتهي نسبهما بمقتضى شجرة النسب وتذكرة الحسب المحفوظة لدى اسرتيهما . الى الامام الثالث اعني سيد الشهداء الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وكان اسمه السيد على محمد ، على قول الاكثر وميرزا على محمد ، على رواية البعض ، توفي والده وهو في سن الطفوله ، فضمه خاله اليه وهو المعروف بالحاج سيد على التاجر وكفله وقام على تربيته ، ولخاله هذا شقيق يدعي الحاج سيد محمد وكانا من التجار المقدمين والأعيان المعظمين بمدينة شيراز ولم

يزل الى الآن كثير من اقاربهما واحفادهما في بلاد ايران وغيرها وكلهم موصوفون بطيب السيرة والسريرة والشرف والنجابة ، محترمون عند الخاص والعام غاية الاحترام وبعد ان برزت أسرار المواهب المكنونة في كينونة السيد على محمد وانتشرت بين العموم اخذ شأنه الخاص يبدو الى ساحة الشهود والعيان ، ونعت بالقاب كثيرة اشتهر بها بين اتباعه ومريديه نأتي على بعضها ، كان أول مالقب به (سيد الذكر) ثم (باب الله) (فالنقطة الاولى) و (طلعة الاعلى) الى غير ذلك من النعوت والالقاب ولكن اشهر لقب عرف به بين مريديه هو (النقطة الاولى) او (الباب) لذا اقتصرنا على استعمالهما .

أما شخصية حضرته فقد كان آية في الكمال من كل وجه كمالا مجسما متجليا في عالم البروز والحسن بحيث ان كل من القى اليه بنظره ، وتمعن في شمايله ومخايله يرى اكمل المناظر البشرية التي تشف عن الذكاء والفطنة والفراسة والتوقد ، والامر الذي اتفقت عليه كلمة القاصي والداني هو الاعتراف بما كان لحضرته من الصفات العليا والاخلاق المثلى منذ نعومة أظفاره ولا سيما زهده وورعه ونسكه وسكينته وأدبه وسمو تربيته ، بله الاقرار بتميزه عن سائر الاطفال في نشأته الاولى وان هذه النشأة كانت معجزة النشآت وعجيبتها .

ولقد تلاقى المؤلف مع المرحوم الحاج وكيل الدولة اعني الحاج ميرزا تقي التاجر الشيرازي البالغ من العمر اذ ذاك تسعين عاماً فرآه على حظ عظيم من حسن الطلعة وبهاء القيافة مع لطف وبشاشة يدلان على الوداعة والدماثة وحلاوة المعاشرة ، فبينما كانوا ذات يوم من الأيام يتجاذبون اطراف الحديث سأله المؤلف عن مزايا الباب وما اختص به حيث استنتج من سنه أنه يتقارب مع حضرة الباب سناً ، القي عليه المؤلف هذا السؤال واذا به وقد بدا على أسارير محياه مخايل تركت السائل في حيرة وعجب فابتدا يبش ويبتسم مما نم عن ابتهاج داخله ومسرة خامرت قلبه ، وانشأ يجيب عن السؤل بشرح ضاف وبعد ان شرح بعض نقط الموضوع ، تحوات حاله من السرور والجذل والابتسام الى الرقة والحنان ، وهاجت به العواطف حتى عيل صبره وخرج زمام الاختيار من يده فجعل يبكي وينتحب حتى ابكى من كان حاضراً مصغيا لحديثه .

***

وبالجملة فأنه شرح أحوال الباب وأبان عما كان عليه من الوقار والجلال والسكينة والزهد والورع والتقى والرأفة والمحبة والشيم الحميدة المجيدة ، ثم قال بعد القسم واليمين أنه لم يذهب يوما من الايام الى بيت عمته ، ويحظى برؤية ذلك العظيم ابنها الاوكان يقتبس منه خصلة جميلة ويستفيد الشيء الغزير من الأدب الانساني والدين الحق والكمال الباهر الذي كان يتلألأ ويتألق

في حضرته وهنا نرى من المفيد للقارى، في هذا الموضوع ان نثبت مارواه المرحوم الحاج السيد جواد الكربلائي في حق الباب فاليك ترجمته :

الحاج سيد جواد الكربلائي

كان المذكور طباطبائياً منسوباً الى أسرة المرحوم (اغا سيد مهدي بحر العلوم) التي كان جميع افرادها من علماء الشيعة وفقهائهم، وكان السيد جواد هذا ذا هيبة ووقار وآداب كاملة وشيم وسجايا فاضلة ،وقد حظى في عهد صباه بلقاء حضرة الشيخ احمد الاحسائي ، غير انه قلما كان يحضر حلقة درسه ، ويغشى مجالسه لحداثة سنه وضعف تحصيله ولم يكن ليستطيع فهم الكثير من عبارات الشيخ واباناته ، لذا اضطر الى الاشتغال بدرس العلوم الاولية على احد اقربائه ، وذلك ما كان الاولى به وقتئذ ، وبعد ان ارتحل الشيخ الى دار البقاء ، وخلفه السيد كاظم الرشتي في التدريس والتعليم تسنى للسيد جواد أن يحضر دروس ذلك الخلف الضليع السيد كاظم وأصبح مندمجاً في صف الطلاب النشيطين المجدين المثابرين على العمل ، فكان السيد يحترمه جد الاحترام ، لما كان لجده بحر العلوم من الانصاف والرأي الحر الخاص نحو الشيخ ، وابدائه عواطف النجلة والود له مع ما كان يتهدد الامر وقتذاك من الصعوبة والخطورة والغموض وذلك انه رغما عما أثار عشيرة

العلماء من المشاغبات العلنية على الشيخ احمد واتهامهم إياه بما لا يليق بفاضل مثله ، وقدحهم فيه باجرح وافحش عبارات الطعن والقدح ، لم يظهر من السيد بحر العلوم مايشتم منه اضمار كراهية للشيخ ، حتى أن الثائرين حينما وردوا عليه وبأيديهم كتب الشيخ وادعوا عليه مقاومة المعتقدات الدينية محتجين بما دونه في تلك الكتب واستصدروا منه الفتوى بما يمس كرامة الشيخ لم يعر كلامهم اصغاء ، ولحظ ما كانت ترمي اليه أفكارهم الواطية الواهية ، بل واعتقد عكس ما كانوا يتقولونه واعترف بان الشيخ استاذ جليل لا يلحق شأوه ولا يشق له غبار برى رأي العين سموه وعظمه ويعتبر أن نفسه أقصر باعا وأعجز يدا من أن يكون له حق في نقده وأصدار مثل هذا الافتاء والحكم عليه ، خصوصاً في مثل هذه المواضيع التي لم يسبر غورها ولا فض ختامها . وكاشف القوم بنحو هذا مع ما له من نفوذ الكلمة ومقدرة الحكم وقال ان الشيخ لاعلى كعبا واسمى مقاما واسنى قدرا ولم يكن كل ذلك منه الا لما كان عليه من سمو المدارك وقوة الفراسة والحذق في العلم والعرفان الذي كان على جانب عظيم وحظ جزيل فيه . ولنعد الى ما كنا بصدده فنقول :

كما أن السيد كاظما كان يحترم السيد جواداً حفيد بحر العلوم لتلك الاسباب التي شرحناها كذلك كان السيد جواد يجل الاستاذ الرشتي أيما اجلال ويبطن له في اعماق قلبه وسويداء لبه محض الود وخالص الحب والولاء ، ويرعى حقه ولم يثنه أي ثان عن حضور

دروسه وسماع تقريراته بل لازمه وحرص كل الحرص على الاستقاء من كل ما كان يلقيه على التلاميذ من العلوم الروحية والاسرار الدينية الالهية .

وفي غضون تلك البرهة سافر السيد جواد الى ايران وعرج في طريقه على شيراز . ولمعرفة سابقة وصداقة قديمة كانت بينه وبين خال الباب (السيد محمد) ذهب الى زيارته . وبينما هو جالس مع الخال المذكور بقاعة الاستقبال سمع من المصلى (أي غرفة الصلاة) الذي كان يلاصق تلك القاعة . صوت صبي يؤدي فروض الصلاة ويرتل الادعية بنغم شجي غاية في الرقة ولهجة جذابة حتى أنهما وقفا حديثهما واخذا يستمعان له بكل هدوء وسكون . وبينما كان السيد جواد يفكر بصاحب هذا الصوت الرخيم واذا بالباب قد فتح ودخل عليهما من ذلك المصلى غلام ذو جبهة عريضة وطلعة تتلألأ بالأنوار وحاجبين متوسين وقامة ذات اعتدال ومحيا مشرق قد طبع به سيمياء اللطافة والبشاشة وهو يتراوح بين الثامنة والتاسعة من العمر فاشار اليه السيد محمد قائلا (هذا ابن اختي يدعى السيد علي محمد وقد توفي والده) .

فمن ذلك الحين تمكنت محبة ذلك الصبي في قلبه وجذبته حركاته وسكناته الى ان أضحى مشغوفاً به مشوقاً الى رؤيته في كل وقت .

وفي ذات يوم كان السيد جواد جالساً في منزل السيد محمد واذا بحضرة الباب عائد من المكتب وبيده رزمة من الاوراق

فسأله قائلا (ما الذي بيدك أيها السيد) فأجابه بصوت هادي، تبدو منه سمات السكينة والادب قائلا (هذه أوراق التمرين على الخط) فأخذ السيد ينظر فيها وما وقع نظره على خط صاحبها حتى أخذ منه العجب كل مأخذ اذ رأى خطا غاية في الاجادة وكلما سامية المعنى جداً ، مما لا يتأتى لغلام في سن الثمانية أن يأتي بمثله ، وقد روى السيد جواد هذا وطالما كان يتحدث به . اه .

ومن المعروف عند الاكثر أن الكتاب (المكتب) الذي كان يتعلم فيه حضرة الباب كان لرجل يدعى (بالشيخ عابد) ، وان هذا المكتب كان معروفاً لدى أهل شيراز (بمكتب قهوة الانبياء والاولياء) مشهوراً بهذا النعت ، وبما ان الحديث قد انتهى بنا الى هذا المطلب فنرى من المناسب ان نعطف البيان على ذكر بعض التفاصيل عن أحوال هذا المعلم وعما رواه في هذا الصدد .

الشيخ عابد المعلم

كان الشيخ عابد من علماء شيراز ذوي الدراية الكافية في العلوم الدينية والفنون السائدة بذلك العصر من مثل النحو والصرف وما شاكل ، وكان يحترف مهنة تأديب النشء ، وتربية الاحداث لا سيما من كان من نسل وسلالة الاسر النابهة ، وكان مكتبه لا يخلو من عدد ما من أبناء الوجهاء كالحكام وكبار التجار والمجتهدين ، يشتغل بتربيتهم وتعليمهم .

ولما ارتفع نداء الباب أقدم على الايمان والتصديق به وعندما سئل عن الدواعي والبواعث التي حدت به الى ذلك أجاب بان هناك اسباباً جمة دعته الى الايمان بعد معاناة وجهاد ، منها أنه رأى عجائب شتى في عهد صباء الباب ، وعاين من حركاته وسكناته شئونا غريبة نادرة المثال ثم شرح ذلك قائلا :

انه لما جاء السيد علي محمد مع خاله لينتسب الى الكتاب على جاري العادة رأيت عليه سمات وملامح غريبة لا تضارعها ولا تضاهيها بوجه ما سمات غيره من الاحداث ، ولم يكن صاغيا الى اللهو واللعب ، بل كان هادئاً ساكناً تبدو منه ملاحظات غريبة وتحقيقات بديعة في كل المسائل بصورة تقضي بالعجب ولا نكون مبالغين اذا قلنا انها نادرة الوجود في العلماء والفلاسفة والحكماء واهل المعرفة .

وكان مولعاً على الدوام بالصلاة والعبادة حتى كان في معظم الايام يرد على المكتب متأخرا وعند ما كنت أسأله عن علة التأخير يجيب بالصمت التام كمن يريد كتمان عمله .

فاضطررت أخيرا الى ان أقيم عليه رقيبا خفياً ليرصد في السر ذهابه وايابه ، ويعرف أسباب غيابه وتأخره عن الميعاد المفروض للحضور ، فكان ما يأتي به المراقب (هو انه رآه في جميع الاوقات التي يتأخر فيها مشغولا بالدعاء والصلاة في احدى زوايا الكتاب .)

وجاء يوماً متأخراً فسألته قائلا : (ياسيد اين كنت الى هذا

الوقت) فأجابني همساً: (كنت في بيت جدي[1]) وبعد ان انقضت برهة على السؤال والجواب والبحث والارتقاب علمت اكبابه على الصلاة فخاطبته: (ياسيد انك غلام لك من العمر تسع سنين ولم تبلغ طور الرجولة بعد ولا تجب عليك الصلاة الآن فلماذا تصلي بهذا المقدار) فاجاب همساً مع كمال اللطف والحياء والادب (ارغب ان أكون مثل جدي).

ولكن لم يكن غيابه وتأخره في الحضور الى المكتب قاضياً بتأخره في التحصيل عن رفاقه بل كان متفوقاً متقدماً عليهم جميعاً الامر المثير للعجب . وأمر آخر وهو اني بينما كنت مضطراً لتكرار كل مسألة علمية مراراً على النشء كان هو يجتزىء بدفعة واحدة بل كان يفهم مضمون المطلب من أول اشارة . وأمر ثالث وهو أنه كان بقوة انشائه يتملك العبارات والالقاب الدالة على سمو الافكار ، وبعد المرامى والانظار . اه

وأشباه ونظائر هذه الروايات يرويها عنه رفاقه ، منها ماورواه السيد محمد الصحافي الشيرازي الذي كان مشتغلا بمهنة الصحافة في سراي الامير ، وهو ان من العادات المتبعة في المدارس أن الصبيان يدعو بعضهم بعضاً بالتتابع الى الجنان والرياض في أيام الجمع لتناول الطعام وقضاء الوقت في التسلية بالملاهي والملاعب على مرأى ومسمع من معلميهم ، ففي كل الضيافات التي من هذا القبيل

(١) يعني بذلك المسجد

لم نر اشتراك السيد علي محمد في أحد الألاعيب قط ، بل كان ينسل من ذلك الجمع في خفية وبرفق وتلطف ويأوى الى بعض الاشجار البعيدة عن الجلبة والضوضاء ويشغل نفسه بالدعاء والعبادة في تلك الخلوة .

﴿ ملحوظة ﴾ جاء بالبيان من بيانات حضرة الباب مايدل على أن معلمه يسمى بمحمد وهي قوله (يامحمد يامعلمي لا تضربني فوق حد معين) ولا يستغربنّ ذلك ناظر فان كثيرا ما يشتهر المرء بلقب من الالقاب ويهجر الاسم ولا يستعمل لمعنى في ذلك الانسان فالظاهر ان هذا المعلم كان قد عرف بين الناس بالتنسك والعبادة فلقبوه بلقب العابد وتناسوا الاسم وعادة الشرق جارية بهذا خصوصاً في الاشخاص الذين يريدون اكرامهم والحفاوة بهم ومما يدلك على هذا أن أهل البلدة كانوا ينادونه (بشيخنا) ولا تستبعد ذلك بعد معرفة الداعي فانه اذا ظهر السبب بطل العجب كما هو معلوم لدى العموم .

الحاج سيد علي الخال

وطائفة من عجيب سيرة الباب وغرائب احواله و بدائع اقواله ومبادىء اشتهاره وتصنيفه وانشائه الكتب والرسائل المتنوعة المواضيع والمباحث وغير ذلك مما يناسب ايراده و يقضي بالعجب

ذكرنا آنفاً أنه بعد وفاة السيد محمد رضى والد حضرة الباب قام على كفالته وتربيته خاله الحاج السيد على وأنه مالبث أن ادخله كتاب المعلم المعروف (بالشيخ عابد).

ونقول الآن إنه كان على الدوام مولعاً بمراقبة ابن اخته والتأمل في أحواله وحركاته وسكناته وكلماته ، ولم يبرح هذا الخال (الذي فدى الباب بماله وروحه وآمن به واستشهد اخيراً في سبيله بطهران على ماسنذكره في حينه) يقص على ذلك المعلم مايشاهده في ابن أخته من نوادر الاحوال وغرائب الاطوار التي لم ير لها نظائر ولا اشباها في الصبيان الآخرين ويقول انه يسمع منه كل يوم كلمة جديدة ويرى منه في كل آن حالات غريبة ويتحدث بما كان يرويه له الباب عن نفسه من الرؤى التي يعجب لها كل العجب من يسمعها مع ان عمر جنابه لم يكن قد تجاوز التاسعة ، ومما رواه له هذه الرؤيا التي هي العجب العجاب وهي (أنه رأى ميزانا معلقاً بالسماء في إحدي كفتيه الامام جعفر

الصادق والكفة الأخرى خالية فجاء من وضعه في هذه الكفة، وعند ذاك تحرك الميزان فرجحت الكفة التي وضع فيها على الكفة الاخرى رجحانا بليغاً) ، وكان الحاج السيد على يستغرب ذلك أشد استغراب ولكنه مع هذا لم يتسرب إلى ذهنه شك في صدقه وحقيقيته .

وفي يوم من الايام ذهبا الى الحمام وبعد ان انتهيا من أمر الخضاب القى النوم على حضرة الباب فنام لحظة ثم انتبه منزعجاً من رؤيا رآها ، وهي بروايته قوله (إني رأيت الحمام المجاور لهذا الحمام وهو المخصص للنساء قد تهدم وسبعاً من النسوة قتلن تحت الردم) فما لبثت هذه الرؤيا أن تحققت في عالم الوقوع والعيان ، في اليوم ذاته وقتلت النسوة كما قال وكما هو معلوم لدى الناس أجمع . وملخص القول ان الحاج السيد على لم يزل يراقب ابن اخته ويحتفي به جد الاحتفاء الى ان بلغ سن الرشد ، فشخصا معاً الى (بوشهر) وهناك فتح السيد على متجراً وأقام معه ابن اخته فيه ولكن حضرة الباب كان يبدى الملل من ذلك ويؤثر الاعتكاف والانزواء ، ورغما عن هذا الشغل الشاغل كان كثيراً مايدع المتجر ويرق على سطح المنزل مشتغلا بالدعاء والابتهال وتلاوة الاوراد والاذكار .

وفي غضون هذه المدة قدم السيد جواد الطباطبائي المذكور من العراق العربي ، وارداً على عراق العجم واجتاز ببلدة (بوشهر)

وزار السيد علي في متجره ، لقديم المودة التي كانت بينه وبين اخيه السيد محمد ، على ما اسلفنا ، ولما رأى جناب الباب الذي انجذب اليه لأول مرة رآه فيها اغتنم هذه الفرصة السانحة ، ولبث عندهما ستة أشهر بصفة زائر ، وظل يراقب حركات الباب وسكناته وهو يزداد على مر الايام واستمرار المراقبة والمعاينه له محبة ويتضاعف شغفه به .

وكلما رأى الباب وشاهد آدابه واخلاقه وعاين مايصدر عنه من تلك الآداب الموجبة للاعجاب والانجذاب ، تذكر ما كان يسمعه من السيد كاظم عن صفات المنتظر ومواعيده ولا تزال تلك الصفات والكلمات تعاود ذاكرته ويرن صداها في اذنه عند تلك المشاهدات والمراقبات حتى كان يفكر بأنه لابد من وجود مناسبة بين المنتظر وهذا الفتى .

وكان هذا كل ماكان يشعر به نحو الباب اذ لم يكن قد ظهر من الباب أي دعوى تقضي بما هو اكثر من ذلك .

وبعد هذه المدة شخص السيد جواد مع السيد علي من (بوشهر) واستقل الباب بأمر التجارة ، ومن هذا الوقت زادت شهرته وعرف بين الناس بالزهد والعبادة حتى لقبوه (بسيد الذكر) وشرع في تأليف بعض الرسائل التي كان معظمها خطبا وأدعية وبعضها في نعت آل البيت بالعصمة واطراء أئمة الهدى والاعراب عن حبه واخلاصه لهم وكذا فاض عن قلمه الشيء الكثير من

جوامع الكلم والحكم العالية الرائقة ، والجمل الرائعة الدائقة ، وافاض في البيان عن المهدي المنتظر وارخى العنان ليراعه في وصفه، وكبحه عن النقد والتعرض لعقائد الشيعة ، بل كان يثني عليها ويقرر صحتها ومتانتها حتى وجود المنتظر الغائب ، ولكن تلم فيما بعد ان لهذه التقريرات حقائق مصونة ومعاني أخرى مكنونة غير مايتبادر الى الاذهان من ظواهرها ، ولعله سمح بذلك جريا على قاعدة المجاراة والحكمة اذ كان يجتذب بهذه الوسيلة النفوس المستعدة لقبول الدعوة ويرشحها للفهم برقته ولطفه آخذاً في بث الاستعداد اللازم فيها لقبول ماعساه أن يظهر في المستقبل من المقدمات وقد كتب أيضاً عن الشريعة الاسلامية والرسالة النبوية والامامة الهاشمية وجاء بالثناء والتزكية عليها وتغنى وترنم بصميم اعتقاده بها واعتناقه وأخلاصه لها .

وكانت الطائفة الشيخية حينما تقع انظارهم على مادبجه قلمه المبارك وتطرق آذانهم كلماته وعباراته يتساءلون عن محررها. وبات بعضهم يستبعد صدورها من حضرته ويزعم أنه يجمعها من كتب الصوفية والسجادية .وانه يقتطف مباحثه الاخرى من كتب العلماء اذ كان سنه ودرجة تحصيله في نظر هؤلاء ينافيان بروز تلك الآثار النفيسة منه ولم يتصوروا أن شاباً قليل التحصيل يتعاطى مهنة التجارة يتسنى له أن يأتي بمثل ذلك على أن حضرته كان يجاريهم في هذا دون

أن يخرق الحجب ويكاشفهم بادعاء تلك الآثار . نعم كان يرمز الى مصدرها رمزا بنحو قوله (ان تلك المؤلفات والكمالات صادرة من شاب حديث العهد)

وقد عثر المؤلف في خلال استقرائه لحوادث سير هذا الامر على خطاب خطه حضرة الباب بيده مؤرخ سنة ١٢٥٩ هجرية أعني السنة التي توفى بها السيد الرشتي والتي تلاها مباشرة عام جهره بالدعوة واعلانه الامر ، وأرسله لخاله بشيراز ، وهو يتعلق موضوعه ببعض المهام التجارية ، ولكن جاء في أواخر هذا الكتاب بعد أن أوصى خاله بشقيقته أي والدة حضرته ما مضمونه هذا (أعلموا الطلاب ان الامر لم يصل الى حد البلوغ بعد ، ولم يأت زمانه ، فلذلك أكون أنا وأجدادي الطاهرون غير راضين في الدنيا والآخرة عمن ينسب الي غير ما أنا عليه من اتباع الفروع والمعتقدات الاسلامية) اه .

ويؤخذ من هذا المضمون أن كثيرا من الناس كانوا يتصورون في شخصه بعض المقامات الروحانية والدرجات الخطيرة العلية من قبل ان يعلن دعوته ويرفع نداءه ، وما ذلك الا لما كان يصدر عنه ويتجلى فيه من فائق الشئون والحالات وخوارق الامور العاديات وكانت أفكاره متجهة نحو تمهيد السبل لاظهار الامر بايجاد بعض النفوس المستعدة لقبول الكلمة البديعة والتعاليم الحديثة الجديدة ، فمن أجل ذلك كان يأمر الطلاب بملازمة الصمت وينهاهم

عن افشاء ما كانوا يظنون وجوده في ذاته من قبل ان يكمل له التمهيد الواجب ويأتي الميعاد المناسب . ولنعد الى موضوعنا .

توهم كثير من الناس ان الباب قرأ على السيد الرشتي وانه كان من الطلبة الذين لازموا الحضور بحلقة درسه ، ولكن هناك من البينات الحقيقية ما ينفي ذلك التوهم وهو اجماع كلمة التلاميذ قاطبة على انه لم يوجد بينهم كطالب قط ، وغاية ما هناك ان ملاقاته للسيد وحضوره مجلس درسه لم يكن الا مرة أو مرتين ، وبيان ذلك انه لما بلغ من العمر الثانية بعد العشرين قدم من بلدة (بوشهر) بعد ان لبث بها ردحة من الزمن وورد على شيراز واقترن بالسيدة (خديجة بكم) المتصل نسبها بالسلالة العلوية المباركة ورزق منها بابن سماه (السيد احمد) ولكن لم يلبث أن توفى قبل ان يعدو طور الرضاع وفي أثر ذلك رحل حضرته الى كربلاء وكان عمره اذ ذاك يناهز الرابعة والعشرين . ووصل كربلاء قبل وفاة السيد بسنة واحدة ، وفي يوم من الايام سار الى زيارة ضريح جده سيد الشهداء ثم عرج في طريق رجوعه على حلقة درس السيد وجلس فيها ، وهنا موضع غموض وهو هل كان لجناب الباب او لاسرته سابق معرفة بالسيد ام لا ؟

ولكن على أي حال نسرد للقارئ ماروناه التلاميذ عن تلك المقابلة باجماع وهي قولهم (ان الاستاذ السيد الرشتي مع تبحره في العلوم والمعارف وبلوغه العقد الخامس من العمر ، ادى لجناب

الباب حين حضوره حلقة الدرس فائق التجلة والاحترام وأكرم وفادته بحفاوة واستقبال تام ، في وقت كان حضرة الباب فيه فتى لم يتجاوز الرابعة والعشرين ومتعاطيا مهنة التجارة ووقف السيد التدريس ، وحول انظاره الى حضرة الوارد ، ثم انبرى يشرح المسائل المتعلقة بظهور المنتظر فبعد أن أعلن الباب دعوته وسمع التلاميذ بندائه تذكروا تلك المقدمات التمهيدية التي كان يزودهم بها الاستاذ السيد وفطنوا الى أنها كانت موجهة الى جنابه قائلين ان السيد كان مقصده إفهام التلاميذ ان حضرة الباب هو صاحب ذيا كم المقام ، ومنتظر وموعود الاسلام .

ثم أتفقت مقابلة أخرى (على مايظهر) رواها الراوون هكذا : بينما كان الباب جالساً في حلقة الدرس والتلاميذ يسألون الأستاذ عن بشائر الموعود اذ ولجت اشعة الشمس من شباك قبة المقام ووقعت على هيكله المبارك فلما لمح السيد ذلك أشار بيده الى الشعاع الساطع على شخصه الكريم وخاطب التلاميذ قائلا لهم (إني أرى نفس الموعود واضحاً مضيئاً كهذه الشمس) ، ثم أبدى أشد الاسف وقال (ان أكثر الناس تركوا الشكر وامسوا في ظلام الجهل المطبق لذا فانهم من العثور على الطريق الحقيقي)

واجمال القول ان الباب بعد أن أتم زيارة الاعتاب بكربلاء وملاقاته السيد آب الى متجره ببلدة (بوشهر) واشتغل بتأليف الخطب والأدعية وثابر على ما كان عليه في البرهة السالفة من الذكر

والعبادة الى ان توفى السيد الرشتي وذلك سنة ١٢٥٩ هجرية وعلى أثر هذا الحادث طوى الباب بساط تجارته عائداً الى شيراز .

أما تلاميذ السيد بعد وفاته فصاروا فريقين فريق استمر على القراءة والدرس ، وفريق آخر أخذ يجوب الفيافي والاقطار ، ويرود الاقاليم والامصار والبوادي والقفار بحثاً عن المنتظر ، ولقد اقترح البعض على التلاميذ اسناد وظيفة التدريس الى جناب ملاحسين البشروئي فخاطبوه في ذلك فرفض طلبهم معتذراً بانه مكلف بالجهاد لمعرفة صاحب الزمان وأنه يقدس هذا العمل ويرى وجوب تقديمه على كل عمل سواه وحضهم على ان يسلكوا السبيل بعينه فتفرقوا ولم يبق منهم منتهى ، لشئون التدريس الا قرة العين الطاهرة التي سنأتي على ترجمتها ، ولكن يجب ان لا يظن القارىء بأن التدريس أمسى شاغلا لها عن المقصد الاسنى بل كانت مع معاناتها لشئونه مشغولة بمراقبة المنتظر معنية بمشاطرة التلاميذ في جميع أمورهم وأحوالهم الروحانية ، بل انها كانت في العمل الروحي الخطير كتلاوة القرآن والاوراد والادعية بالتضرع والخشوع ، ويجب ان نذكر هنا أن التلاميذ قبل انتشارهم للتفتيش عن المنتظر جاءت ثلة منهم الى الكوفة ونصبوا بمسجدها العتيق خيمة قضوا تحتها أربعين يوماً بلياليها في الصلاة والصيام ، وقراءة القرآن والدعاء والمناجاة والبكاء في الاسحار والتضرع الى باب سر الاسرار والتوسل اليه أن يهدي القلوب الى اكتشاف الموعود ويصل بها الى رؤية المحبوب ومطالعة أنوار طلعة المقصود

ابتداء ظهور الباب

وايمان باب الباب به

ولد جناب ملا حسين البشروئي الملقب (بباب الباب) في بلدة بشرويه من اعمال خراسان حتى اذا بلغ أشده كان عالماً زاهدا مفطورا على الشغف بالامور الروحية وفاز في عنفوان شبابه بلقاء الشيخ الجليل احمد الاحسائي واحتسب مجاورته ومرافقته والاستقاء من زاخر علمه وفضله فرصة عظمى وغنيمة كبرى فأقام في جواره وتطوع بخدمته حتى أصبح تدريجاً من جملة أمنائه وحملة اسراره . وبعد ان قضى شطرا عظيما من الزمان في التوفر على خدمة ذلك المفضال المجيد انتقل الى خدمة السيد الرشتي وأمضى القسم الاعظم من حياته في ملازمة ذلك الحبر الاعظم الاستاذ السيد حتى كان في في أواخر أيامه لا يفارقه لحظة واحدة وغدا أنيسه الوحيد وأمينه الفريد .

وبعد انتقال السيد الى الملأ الاعلى آثر ملا حسين الانزواء واعتكف مع زمرة من الصحب بمسجد الكوفة ولزموا ذلك الى ان قر القرار فيما بينهم على السياحة والسفر والاجتهاد والجد في طلب المنتظر فانتشروا في البلاد والديار زرافات ووحدانا وكان حظ ملا حسين (وفي معيته لفيف من الطلاب) ان وصل بهم الى مدينة

شيراز . ثم قابل حضرة الباب على انفراد ولما كان هو أول من آمن بحضرة الباب لقب بباب الباب .

ومجمل قصته كما يلي : اتيح لملاّ حسين ان رأى الباب عند وروده على مجلس السيد الرشتي وسمع من السيد بعض الاشارات عن تعبد الباب وزهده وتدينه ، فكان يحمل بين جنبيه حباً له وميلا اليه . ولم يكد يهبط مدينة شيراز حتى كان أول سعي فكر في مباشرته هو البحث عن حضرته ليحظى بزيارته، ولما ان كان ذلك وتمت له مقابلته وخاضا بحار المحادثة ، احس ملاحسين بانعطاف شديد نحو حضرته وانجذاب اليه ، لما كان يفيضه حضرته عليه من البيانات الوافية في كل موضوع ، وما برحت محبته له تزداد في كل جلسة ولقيا ، حتى غدا حيران مندهشاً مما رأى وسمع من معجزات البيان وروائع التبيان ، من ذلك المنبع الفائض بكل كمال ، الجامع لاسمى الآداب العوال .

وفي الدقيقة الخامسة عشرة بعد الساعة الثالثة من ليلة الجمعة وهو اليوم الخامس من جمادى الاولى احد شهور سنة ١٢٦٠ هجرية المطابق للثالث والعشرين من مايو سنة ١٨٤٤ ميلادية ، بينما كان ملاحسين ماثلا بحضور الباب اذ أعلن الباب دعواه له بغتة وظهر بمقام المهدوية والقائمية ودعاه الى الايمان وكان عمر جنابه حالئذ خمسة وعشرين عاما . وقد اعتبر ذلك اليوم « عيد المبعث » اذ أظهر فيه حضرة الباب دعوته ورفع بها الصوت جهرة ، وهو يوم

مبارك محترم عند كل بهائي ثابت ، حرم فيه تعاطي الاشغال بتة ، بنص صريح من حضرة بهاء الله ، كيف لا وهو اليوم الذي تضاعفت بركاته وتزايد شرفاً على شرف بطلوع أمر عظيم آخر فيه ، وهو مولد حضرة عبد البهاء في طهران ، ذلك الولد الميمون الطالع الذي وافق ميلاده نفس الساعة من اليوم الذي أعلن فيه حضرة الباب بعثته بشيراز ، وسنأتي على تفاصيل ذلك في حينه ان شاء الله .

ومن غرائب الصدف وعجائب الاتفاق ظهور الحركة في نقط مختلفة من ايران وفي وقت قصير وآن واحد ، فقد قام أولا الشيخ الاحسائي بكربلاء وبعض النواحي الايرانية ، ثم تلاه في القيام والنهوض الاستاذ السيد الرشتي ، وبينما كان حضرة الباب ينمو ويتقدم في مدينة شيراز وثغر بوشهر ، كان حضرة بهاء الله يسمو ويعلو في مدينة طهران وبلدة نور ، وفي نفس اليوم والوقت الذي برزت فيه من الباب الامور العظام وقام بدعوته في شيراز ، ولد حضرة عبد البهاء في مدينة طهران ، وظهرت من بهاء الله أيضاً أمور هي من الاهمية بمكان . ولنعد الى ما كنا بصدده فنقول :

لما سمع ملا حسين البشروئي من الباب ما ادعاه ، دهمه ما دهمه . وغشيه من الاندهاش ما أفضى به الى المجادلة والمناظرة مع حضرة الباب وكابر ثم التمس طريقاً للفرار ، وعز عليه أمر القبول والايمان واستصعب رغم تلكم المقدمات والتمهيدات التي قدمها ومهد بها

السبيل حضرة السيد الرشتي من قبل . غير ان حضرة الباب سد في وجهه جميع مسالك الاعراض والادبار ولما رأى ملاّ حسين أن مكابرته ومحاولته الفرار والتنصل من قبيل الطمع في المحال . ألقى زمام الاستسلام والاقبال .

وقد روى ملاّ حسين نفسه هذه الواقعة وقال (في تلك الليلة التي كاشفني فيها حضرة الباب بسر أمره ، أخذت الحيرة مني كل مأخذ ، وطفقت اسائل نفسي قائلا : يا ترى ماذا جرى لهذا السيد التقي حتى اجترأ على دعوى عريضة كهذه ، فالواجب عليّ ان ألقي عليه بعض المسائل المعضلة الغامضة حتى لا يجد مجالا للكلام ، واذن يرجع أدراجه ويعود عما في خياله . فخاطبته قائلا : (ايها السيد ان المقام الذي تدعيه حضرتكم هو مقام هائل خارج عن حد التصور ورتبة في منتهى العلو والجلال ، وأقصى مراتب العزة والكمال ، فقبوله دون بينة وبرهان خارج عن حيز الاحتمال والامكان ، فما هو برهانكم على صدق ادعائكم هذا المقام ، وحقيقة هذه الدعوى عظيمة الخطر والمقدار) فأجابني قائلا : (ان طرق الوصول الى الله بعدد انفاس الخلائق ، فأيّ برهان تريدون وبأية حجة تقتنعون) فأجبته قائلا : (بما أني مطلع على الاصطلاحات العلمية ، وقد احتملت المشاق العديدة في سبيل تحصيل المعارف والعلوم ، فأراني في حاجة الى دقائق علمية تفوق علوم الناس كافة ، وتسمو عن مدارك الاوائل والاواخر حتى يتسنى لي ادراك المقصد

والمطلب ، ثم شرعت القي مسائل مشكلة علمية ودينية تباعاً على حضرته ، فكان يجيبني عليها واحدة واحدة باجوبة شافية وافية) اه .

وكان من المواضيع التي دارت المحادثة بينهما عليها ترقب قيام الموعود والبحث عنه فسأل حضرة الباب ملا حسين ما ذا عينت له من العلامات. فأخذ يسرد عدة منها وجاء في ختامها قوله: وأيضاً انه يكتب تفسيراً لسورة يوسف فالتفت اليه حضرة الباب وناوله شرحاً له كتبه لهذه السورة وأسماه (أحسن القصص) فعندما طالعه ملا حسين ووقع نظره على ما جاء به من العبارات الرقيقة الرشيقة ، والمعاني الانيقة ، خرج زمام الاختيار من يده دفعة واحدة وألقى بنفسه في أحضان الايمان ، معترفاً بأن ما بدا ويبدو من حضرة الباب من الاحاطة العلمية والبيانات الوفية ، والشيم والشئون العالية السنية هو من درجات الكمال والفوقان في حد الاعجاز ، وان درجة هذه الكمالات مما لم ير لها نظير في أفراد البشر ولم يسمع بمثلها فلا مرية اذن ولا شبهة ، في ان تلك الفطرة المتجلية في حضرة الباب انما هي فطرة الهية فائضة عن المشيئة الربانية لذا آمن إثر ذلك من غير زلزال ولا احجام .

وبعد ولوجه حظيرة الايمان والايقان اخذت استقامته تنمو وتزداد وثباته ورسوخه يقوى ويمعن في التأصل والاشتداد الى ان ضحى حياته في هذا السبيل ، وما اقدامه الجالل وسعيه الكبير الخطر

وجلائل اعماله ، الاشهود عدول على ما احرزه من المقامات السامية والدرج العالية، فلم يكن منه بعد الايمان الا ان هب للدعوه والتبليغ ايقاظا لجموع النيام والغرق في الهجوع والاحلام ، وكل من كان له ضلع في الاطلاع على سر المسألة قبيل الظهور كان يدعوه الى الامر مقتصرا على التبشير باسم الباب فقط . اما اسم النقطة الاولى فكان ذكره محظورا كل الحظر ومن أول الاعلان بالدعوة الى حين اياب حضرة الباب من مكة المكرمة كان من الاعز الاندر وجود من يعلم من ذا الذي يدعى باسم الباب حاشا تلاميذ الشيخ والسيد . فان من الناس من عرفوه بالاسم والوصف ومنهم من عرفه بالاسم فقط . والكل تناهى الى اسماعهم هذا النداء المرتفع . وما ذلك الا بجد المؤمنين واجتهادهم لا سيما جناب باب الباب الذي تذرع بكل الوسائل وثابر في ابلاغ الامر وانهاء هذا النبأ الى تلاميذ الشيخ والسيد ودعاهم الى البحث والتحقيق فلبوا دعوته ، وهبوا لاجابته وأتوا من كل فج للبحث والتدقيق

جناب القدوس

هو ملاّ محمد علي الابن الارشد للحاج ملاّ مهدي البارفروشي ولد في بلدة بارفروش من اعمال مازندران وكان والده من النابهين ذوي الثروة الطائلة في تلك الحاضرة ولم يكن في اسرتهم رئاسة علمية ولا اجتهادية ، ولا منصب قضائي ، ولا ما شاكل هذا القبيل ، وكان المتبع عادة بين أعيان ايران وكبارها تعليم ابنائهم مبادىء العلوم العربية كالصرف والنحو والمعاني والبيان ونحوها من الفنون الآلية ، عدا موجزات قليلة بسيطة من علمي الكلام والاحكام ، ولكن اذا رغب الآباء لابنائهم مزيد الترقية والتعليم ليمسوا على جانب أوفر من العلم والفضل، أضافوا الى ما تقدم من الفنون علمي الفقه والاصول زيادة في التوسع ، ولما كان الحاج ملاّ مهدي من الاكابر والاعيان ، ومن مريدي الشيخ والسيد سعى في تعليم ابنه جميع تلك العلوم ، لا يبتغي بذلك ان يصل بابنه الى منصب من مناصب الحكومة ، قضائي ولا اجتهادي ، وانما كانت الغاية التي ينشدها هي حفظ شرف ابنه ومكانته بين الخلق فقط .

وفي الاحايين والآونة التي كان في غضونها ملاّ حسين مشغولا بايصال صوت الامر الى اسماع التلاميذ والمريدين جاء ملاّ محمد علي المذكور ضمن قافلة عازمة على الاتجاه نحو مكة الى شيراز

وتقابل مع ملا حسين باب الباب فأخذ هذا يلقي على سمعه بعض الاشارات عن حضرة الباب فألح عليه ملا محمد علي في أن يعرفه من هو ذلك الشخص الذي يدعى بهذا اللقب ، فرغماً عن اصراره والحاحه في هذا الطلب لم يجبه باب الباب الى ما طلب ، ولما ان رأى منه بين الكتمان والظن فاجأه قائلا : (اني أظن بل أوقن ان اسم الشخص الحائز هذه المقامات هو السيد علي محمد لاني حظيت عن بعد بزيارته من خلفه وكان ذلك سبباً في تعلق قلبي به)

وبعد ان افضى لباب الباب بهذا الخطاب ، مضى الى بيت الباب وحظى بلقائه وآمن به لاول مجلس دون مناقشة ولا جدل ولقب بالقدوس كما سيتلى عليك فيما بعد

وكان ملاّ محمد علي ذا عقل زاهر وذكاء نادر فازداد عقله وذكاؤه توقداً واشتعالا بعد ان استنار قلبه بتعاليم حضرة الباب ، وأحرز مقاماً عالياً جداً في هذا الامر ، وفي السنة التي رام فيها حضرة الباب الطواف بالكعبة لم يرض ملاّ محمد علي ان يفارقه ، بل اعتزم المضي معه الى الحج

ومن المعروف ان عدد الذين آمنوا بحضرة الباب منذ الخامس من جمادى الاولى سنة ١٢٦٠ هجرية الى ما بعد خمسة اشهر مرت على التاريخ المذكور ، لم يتجاوز ثمانية عشر عالما من علماء الشيخية سموا بحروف الحي أقام جلهم (اعني سبعة عشر منهم) في مدينة

شيراز مشغولين بخدمة حضرة الباب . أما الثامن عشر وهو قرة العين التي آمنت بواسطة المراسلة ، فكانت مقيمة بكربلا ، وسنأتي على ذكر اسمائهم مع شرح نزول كتاب البيان في مقام آخر ان شاء الله

وبعد الانتهاء من تشكيل حروف الحي بثهم صاحب الامر في أنحاء ايران كلاً في نحو لاجل تبليغ الدعوة . أما هو فسافر مع خاله المعظم الحاج سيد علي ومع جناب القدوس الى مكة المكرمة للطواف وذلك في شوال سنة ١٢٦٠ هجرية

فمن الحوادث والاخبار التي شاعت وذاعت في أكثر الاصقاع والبقاع ، وملأت الآذان والاسماع ، ان حضرة الباب وقف يوماً حيال باب الكعبة ، وادعى الامر علناً ، ورفع الصوت جهرة بهذه النغمة (ايها الناس انا القائم الذي كنتم به تنتظرون[١]) . ولما اتصل نداؤه بمسمع الخاص والعام قامت جلبة القيل والقال في جميع الاقطار والارجاء ، ولا ريب ان كل فرد من الحجاج روى شطراً من حديث هذا النبأ لاهل وطنه حتى وصل صوت هذا النداء الى أقاصي بلاد الاسلام النائية التي كان من المستصعب ايصاله اليها عن يد الرسل والسفراء العديدين . ومما زاد هذا الخبر انتشاراً أن الحجاج في تلك السنة كانوا أكثر عدداً منهم في غيرها من الاعوام لان ذلك

(١) كذا في الاصل وسنأتي على شرح ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب

العام كان من سني الحج الاكبر . ان هذا النداء وان كان لم يضم حوله في الحال الا نفراً قلائل ، ولكنه مهد الطريق لكثيرين وفتح في وجوههم أبواب الطلب والبحث وحركهم الى التحقيق والفحص حتى وصلوا أخيراً الى الايمان والايقان .

وبالجملة فقد عادت حجة الباب هذه على عالم الروح بالفوائد الجمة ، وأتى حضرته بآثار وأثمار باهرة من كل وجه . ومن جملتها رسالة الحرمين التي نمقها حضرته في مكة المكرمة ، وبعد أن أكمل مناسك الحج عاد عن طريق بوشهر الى ايران .

ولا جرم قد قامت لهذا النداء قيامة الناس وهاجوا وماجوا ، وشجر الاضطراب والاختلاف بينهم فمن متصدر للرد والنكير ، ومن آخر قائم للقبول والتشمير . ولا غرو نجم من جراء ذلك عديد الوقائع المتنوعة ، ولكن قل ما أعير جانب الالتفات من تلك الحوادث لان الامر كان لا يزال في مهده فلم يدون عن معظمها شيء في بطون التاريخ لذا اعتمدنا نحن أيضاً غض النظر عنها

وقبيل أن يصل حضرة الباب الى ايران كانت الاخبار قد سبقته بما بدا منه ، وطيرت الانباء شواهد العيان طيران البرق بما قد كان ، فقامت قيامة علماء شيراز ، وثار ضجيجهم وصخبهم ، وبعد ان كانوا من المعجبين بحركات الباب وسكناته ، معترفين بجلالة مقداره ، طافحين استحساناً بشدة تعبده وزهده وسمو حاله وشأنه حتى كانت عندهم في عداد المعجزات وبواهر الآيات

وخوارق العادات ، اشتعلت صدورهم بنار الحقد والبغضاء من هذا الخبر الغير المنتظر وشددوا النكير ، ورفعوا اصواتهم بالندب والتحسر على الدين ، ورددوا صيحة التفجع والاسى بقولهم (واديناه) (واشريعتاه) ، ولم يكفهم ذلك بل صعدوا المنابر واوسعوا مصدر الحركة وصاحب الأمر ، سباً ولعناً وتكفيراً وطعناً ، وسرت عدوى هذا الصخب الى سائر النواحي الايرانية على هذه الصورة والكيفية ، وانتشرت صيحات من القدح واخرى من المدح في كل صوب وشطر .

وليس من الغرائب والامور المجهولة العلل والاسباب ، ماقام به علماء الامة وفقهاؤها ومجتهدوها من تلكم الجلبة والضوضاء ، اذ لايخفى على اولى النهى ، ان تلك العقائد والتقاليد العتيقة التي وضعها منذ الف سنة أولئكم النواب الاربعة الذين أتينا على حديثهم في المقدمة صادفت رواجاً وقبولا عظيما من السواد الاعظم وتأسست وتغلغلت في قلوبهم وتمكنت من أوهام العوام الذين توارثوها خلفاً عن سلف في طوال الازمان والايام ، وأمسى عندهم في حكم الضروري الذي لاريب فيه طبقاً لما تقتضيه تلك النواميس والاوضاع — ان الموعود هو ذلك الشخص الغائب في السرداب الذي مر عليه في تلك الغيبة عديد القرون والاحقاب ، فكيف يمكن — والحالة هذه — ان يقبلوا دعوة تتنافى مع ذلك كل التنافي ، وترمى بكتبهم (التي وضعوها وجادلوا علماء السنية

بمقتضاها وحسبوا انهم على جادة الصواب بواسطتها) في زوايا الاهمال والنسيان بل في مهاوي العدم والانهدام والبطلان ، ام كيف يتسنى لهم قبول هذا الامر والخضوع لصاحبه كمهدي منتظر مع أنه شخص معروف لديهم مولود بين ظهرانيهم ، متأخر في درجة تحصيله للعلوم عن درجة تحصيلهم . وانى لهم بالاذعان لامر يقضي عليهم بأن يلقوا في اليم جميع كتبهم وصحفهم المؤلفة في الموعود او فيما هو من هذا القبيل وينبذوها نبذالنواة ، ويعترفوا بفساد ماجاء بها الا قليلا ، ويحتم عليهم ان يستمسكوا بحبل الانباء والآثار والاحاديث التي تمسك صاحبه بها وسند دعواه بدعائمها . اجل ان هذا الشأن لمن الصعوبة والوعورة بمكان ايما مكان .

فلا جرم احاطت بالقبول مصاعب المشكلات واحتفت به المعضلات من كل فن ونوع حتى غدا (العنوان نفسه) من اقوى الاسباب في الغض والاعراض ، ومن اكبر الموانع عن الالتفات والمضي في سبيل تحقيق هذا الامر والجهاد في اكتشاف سره فضلا عن الاهتمام بقبوله ، اما اصرار العلماء على الاستنكاف والترفع والاغترار والاقتناع بما عندهم بحيث لم تنبعث منهم رغبة في الفحص ومطالبة الداعي بالبرهان وبحيث جزموا القول جزما بان طلب الدليل على أمر كهذا غلط فاحش ، اما هذا كله فحدث عنه ولاحرج .

ومما ضاعف الاشكال واغلظ البلبال وزاد الطين بلة ، ما كان عليه علماء البلاد ، في ذلك الاوان من نفوذ الكلمة وعلو الجاه

والشوكة ، حتى كانت الحكومة نفسها في حالة الاضطرار لسماع اوامرهم ، والسير بمقتضاها ، ولو خالفت الحق خلافاً صريحاً او نافت التمدين والقوانين الدولية اوضح منافاة ، وباتوا مصرين على قضية الانكار والتشديد ملزمين الناس بالانصراف والاعراض ، مثيرين لقلاقل والفتن ، والايقاع بالمقبلين ووضعهم تحت طائلة العسف والاضطهاد والعنت ، فهذا ما كان من الشيعة وعلمائهم ورؤسائهم ازاء الامر وما هو السبب فيه .

اما أهل السنة فكان موقفهم ازاء هذا التجديد غامضاً دقيقاً والحوائل والحواجز التي تحول بينهم وبينه أشد صعوبة وتعقيداً ، خصوصاً ما كانوا يعتقدونه نحو الشيعة من أنهم طائفة لاخلاق لهم ، ولا أثر للحقائق الدينية في معتقدهم وان مبنى اعتقادهم الوهم والتشبث باذيال الخيال ، في المدد والاحقاب الطوال ، وما كانوا يحملونه في صدورهم للقوم بعد تلك الحروب الدموية التي جرت بينهم من الضغينة والبغضاء والاحن والشحناء ، فهذا كان من اقوى الاسباب التي تركتهم يحيلون قيام المهدي وظهوره من بين الشيعه اما احالة ولا يكادون يتصورونه .

ولنرجع بالقارىء الى ما كنا بصدده بعد ان وقفناه على صبغة افكار الطائفتين وعاتهم ومناشىء ادبارهم فنقول : احتشدت العلماء عند حاكم شيراز (حسين خان اجودان باشي) واستحثوه على ايقاع التهديد والتعزير والتعنيف والزجر والوعيد بالباب ،

كى تنطفىء تلك النار المشتعلة ، ويمسى الامر في خبر كان ، ويتوارى خلف حجب النسيان ، فلبى الحاكم ذلك الامر في الحال وتلقاه بالاجابة والاقبال ، وبعث بنفر من الحجاب قبل وصول حضرة الباب ليأتوا به تحت المراقبة والاشراف والاستحفاظ والاحتياط ، وكان ذلك في اليوم التاسع عشر من رمضان سنة ١٢٦١ هجرية .

-->:>:>◆<:<:<--

ملا محمد صادق المقدس الخراساني

وملا علی اکبر الاردستاني

سبق لنا القول بأن خبر ظهور حضرة الباب وصوت ندائه وصلا الى مسامع أصحاب الشيخ والسيد بكل سرعة ونقول: انهم توافدوا للتشرف بلقائه في ازمنة مختلفة، منهم من جاء قبل سفره للحج ومنهم من وفد اثناء غيابه بمكة، وقد ظفر لفيف منهم بعد أوبة حضرته الى شيراز بشرف لقائه.

وكانوا لايكادون يصلون الى حضوره حتى يخرج زمام الارادة من أيديهم وينصاعون للايمان والايقان.

وقد لزم جمع من أولئك السبّاق خطة الحكمة والأناة برهة، وخرق آخرون حجب التكتم والتواني دفعة واحدة، وقاموا على تبليغ الامر، والمناداة بالظهور، لايثنيهم حذر، ولا يتسرب الى قلوبهم وجل وطفقوا ينشرون الامر نشرا، ويذيعون صيته علناً وينادون به جهراً نذكر من اولئك المقادیم الابطال، ملا محمد صادق المقدس الخراساني، وملا محمد علی اکبر الاردستاني. كان هذان الشهمان الهمامان المقدامان من الطائفة الشيخية، وتشرفا بلقاء حضرة الباب قبل سفره الى مكة فعثرا على صراط الحق المستقيم، ووقعت عين كشفهم على المنهج القويم، فلم يرضيا لانفسهما بحال من

الاحوال ولا بوجه من الوجوه كتمان الامر ، وقاما على الفور دون تلكؤ ولا تعريج على تريث أو تربص ولبثا يبلغانه الناس في الطرق والشوارع ، ثم سافرا بعد ان القى الباب عصا التسيار بمكة، الى النواحي والاكناف وناديا بالامر في طول البلاد وعرضها وقبل اياب حضرته الى شيراز عادا اليها ولكن بمجرد القاء قدميهما بالبلد ، قبضت الحكومة عليهما بتحريش العلماء وأمرهم وشوه رجالها وجهيهما ، وجلدتهما بالعصى جلدا مبرحاً ، وطيف بهما في الشوارع للتمثيل والتشهير ، ثم اجليا عن البلد فكانت هذه الكارثة اولى الكوارث التي صبت على رؤوس المؤمنين في سبيل محبة الباب وقد روى بعض المؤرخين ان افانين من الاضطهادات المختلفة اصابت نفس حضرة القدوس . وكان ذلك في ثاني شعبان سنة ١٢٦٢ هـ .

• وعندما طارت الانباء بتلك الاضطهادات تزايدت نار الشوق اضطراما في قلوب الباحثين وانى من كل حدب وصوب فئات النفوس التي كانت تنتظر بفارغ الصبر ، خروج حضرة الموعود جادة مجدة وراء البحث قصد الوقوف على جلية الخبر وحقيقة تلك الروايات التي احتمل في سبيلها اكابر العلماء تلك البليات وأصلوا من جرائها نار الاحكام الصارمة والصدود القاسية المؤلمة اذ لايكون ذلك وان يكون الا عن أمر هام وخطب جالل وشأن ذي بال .

وبعد تلك الوقعة التي كانت فاتحة الاضطهادات اخذت الحكومة والعلماء تسرف في التصدى والتعرض لكل منتسب الى الباب والبابية ، وتغرق في التشديد والتضييق والضغط . ولكن من العجب العجاب ان ذلك كله اتى بعكس النتيجة التي كانت تبتغيها العلماء ، اذ أصبح المقبلون على هذا الامر اكثر وأوفر عدداً ، والمؤمنون به اكبر واوسع فئة ونفراً ، وكان من بينهم العدد العديد من أفاضل العلماء ، ومن مريدي الاستاذين (الشيخ والسيد) المعروفين بطائفة الشيخية .

وغب كارثة الاضطهاد الاولى الآنفة الذكر ، وصل جناب الباب محروساً الى مدينة شيراز ، وجيء به الى مجلس تشكل من رجال الحكومة وكبار العلماء أهل الحل والعقد . وبعد ان هددوه باشكال التهديد ونددوا بسيرته حتى اجترأ أحدهم على لطم وجهه المبارك ، أخذت الحكومة التعهدات والضمانات الدقيقة على خاله الحاج سيد علي ، باعتزاله عن الناس والانفصال عن مقابلتهم ، ثم اطلقت سراحه . فلازم طريقة الانزواء والاعتكاف بداره برهة لم يكن يزوره فيها إلا القليل حسب الميثاق الذي قطعته الحكومة مع خاله .

ولكن العلماء عندما عاينوا ان هذا النداء سائر بلا فترة في الارتفاع من كل الجهات ، وان المؤمنين به لا يألون جهداً في نشره وتبليغه للناس ، طرقوا باباً آخر ، وهو انهم في اليوم الحادى

والعشرين من رمضان دعوا حضرة الباب بواسطة الحكومة للحضور بمسجد الوكيل وأمروه بالصعود على المنبر وإنكار مدعياته . فصعد الباب المنبر . ومع أنه لم يسبق له عهد بارتقاء المنابر القى خطبة بسيطة كانت من الغرابة والاعجاز واستجلاب الانظار بمكان ، ومن المتانة والحكمة في الغاية ، اذ جمعت بين امرين متقابلين مهمين ، وهما اقناع المريدين وتكثير سوادهم ، وإفحام المعترضين بحيث لم يمكنهم ان يوجهوا الى جنابه كلمة ولم يستطيعوا ان يفهموا هل هي إثبات ام نفي . ولم ينالوا بغيتهم ولا قضوا وطرهم ولبانتهم (وقطعت جهيزه قول كل خطيب)

وبعد أن انتهى الامر من هذه الخطبة واجابة ذاك الملتمس ، استمر حضرته على ما كان عليه من الانزواء والاعتكاف . وحينما انتشر الخبر واشيع في الاطراف والاكناف نبأ صعوده المنبر جاء ذلك بما يباين ظنون العلماء وأمانيهم ، وكان بدأً في تقدم الامر وعلوّه ، وقد تداول الخاص والعام القول بان حضرته اماط اللثام عن ثبوت مدعاه (وهو على منبر الخطابة) بكنايات ابلغ من التصريح ، ومع نهي العلماء له عن اتخاذ اساليب الفصاحة في البيان ، وأمرهم له بالاقتصار على مجرد الانكار اتم عمله ، وأعلن امره بالكناية والتلويح المفرغين في قالب الايجاز البليغ الفصيح .

ملا على البسطامى

والسيد جواد الطباطبائي

ملاّ على البسطامي هذا من زمرة من ظفروا بلقاء حضرة الباب قبل سفره الى مكة ، وممن حظر عليهم حضرته اعلان اسمه وحسبه . كان من كبار العلماء الآخذين بقسط وافر من الكمال والتقوى ، مشاراً اليه بالبنان في العراق العربي ، مبجلا معظماً في أعين الناس قاطبة بالرغم عن كونه شيخيّ المذهب . بل كان عميد علماء أهل العراق باجمعهم . وموضع ثقتهم ومحط آمال رجالهم ، محبوباً لديهم جدا لما كان عليه من الزهد والورع والتقوى .

ولما عاد من شيراز الى العراق أعلن تشرفه بحضرة الباب الذي كان يرصد طلوعه أولو الالباب. فاحدث ذلك الاشعار دهشة العلماء وضجتهم ، وحرك ثائرتهم ، فقامت قيامتهم ونبغت بينهم نوابغ الهياج والثوران العظيم . وسرعان ما انتشر نبأ هذا الاستاذ في كربلا والنجف ، بمساعدة ما كان له من المقام الرفيع . فانتجع اليه طلبة الحقيقة والباحثة عنها ، يستفسرونه عن حقيقة ما يروى عنه من الانباء ، ويستجلونه جلية الخبر ، فكان جوابه لهم هو قوله (نعم لقد ظهر باب العلم الالهي ، وتشرفنا مع جماعة من الطلاب بلقائه ، ولكنه نهانا عن ذكر اسمه المبارك وبيان شخصيته والعترة

التي ينتسب اليها وعن سائر الآثار التي تنبي، بجنابه وسيرتفع نداؤه عن قريب وتعلمون لاي اسرة ينتسب)

ملحوظـة :

كان المفهوم لدى العموم من لفظة (الباب) في أوائل قيام حضرته أنه الواسطة بين حجةالله الموعود (المنتظر) وبين الخلق . وايضاً كان يفهم من كلمة المبشر التي كان ينعت بها حضرته وجاءت كثيراً في آثاره المباركة أنه المبشر بظهور محمدبن الحسن العسكري أو بظهور المهدي حسب أحـد الاصطلاحين السني والشيعي . ولـكن اتضح فيما بعد أن هذين اللقبين (الباب والمبشر) اللذين عرف بهما حضرته كانا يشيران الى شخص آخر عبر عنه في عرف البابية بلفظ (من يظهره الله) وبالرجعة الحسينية والمسيحية في عرف أهل الاسلام على اختلاف مذاهبهم . ولما ظهر حضرة بهاء الله تجلت الحقيقة على منصة اليقين ، وتحول اسم البابية الى البهائية وا كتسب تاريخ البابية شأناً أهم ، تبعاً لبروز حضرة بهاء الله الى ساحة العيان والشهود وطلوع اسم البهائية على أثره .

وكان لـكلمة الباب قبل اعلان المهدوية معان ومفاهيم عديدة بل كان كل انسان يفهمها على نمط خاص لاسيما حين كان اسم الباب مكتوماً غير معلوم ، ولقد اشتد القيل والقال في ذلك بوجه أخص في العراق العربي لوجود جم غفير من طائفة الشيخية فيه، ولـكونه

مجمع علماء سائر الطوائف الاسلامية وفقهائها . وكانت الانظار في اسناد اسم الباب معقودة باولئكم العظماء المنسوبين الى الاجتهاد والبيوتات العلمية ، ولم يدر بخلد امرئ، أن الباب هو السيد علي محمد ، ذلك لانه كان شاباً حديث السن مشتغلا بمهنة الكسب والتجارة ، وكذلك كانت أنظار علماء الشيخية على مثل هذا النحو ، فانهم كانوا يتصورون الباب شخصاً تربى في احضان الاستاذين الشيخ والسيد واستقى من ينابيع علمهما وعرفانهما.

انتهت الملحوظة ، فلنعد على بدء ، فنقول :

كان على أثر ما أبداه البسطامي من النشاط العجيب والاقدام الفعال الغريب ، في نشر الامر واذاعة صيت النداء والمناداة ببشائر ظهور الباب ، أن وقع الاختلاف والانقسام بين علماء العراق، فمنهم من صدق الخبر وأقبل ، ومنهم من أنكر وأدبر . وبينما كان تلاطم أمواج الفتنة على أشده إذ وفد الحاج السيد جواد الطباطبائي على كربلاء ، وكان هذا السيد العظيم يحمل بين جنبيه أقدس الاجلال والاحترام لحضرة الباب منذ تشرف بلقائه في صباه بمدينة شيراز وفي شبابه بثغر بوشهر . ومن ذلك الحين سافر مرارا وتكرارا من العراق الى فارس ، وأخيرا عاد ، وطاف بالبيت مرتين ، جاور في احداهما المسجد واشتغل بالتدريس فكان يجتمع في حلقته من الطلاب ارق الناس واذكاهم وأكثرهم دراية ، فيلقي عليهم ادق المسائل الدينية . ثم سافر بعد ذلك الى جهات الهند ، وأقام برهة في

مدينة بومباي وعاشر العلماء من جميع الطوائف والملل ، فاحبوه وصار مرموقاً بعين الوداد والتجلة والاعتبار ، لما كان عليه من الحلم والتسامح والصمت والوقار .

ولما عاد الى كربلاء وسمع ذلك النداء أي نداء ظهور الباب ، سارع الى مقابلة الاستاذ البسطامي وسأله عن الباب ومن هو والى أي سلالة ينتسب . فاجابه البسطامي بقلب يطفح سروراً بنفس الاجابة التي كان يشافه بها كل من يسأله مثل هذا السؤال، ولكنه رغب اليه في الاستزادة واصر على مزيد الاستفسار جد الاصرار فبالرغم عن ذلك لم يتلق جواباً يمكنه من معرفة اسم الباب وبلده أو مسقط رأسه. ولما اشتد به الالحاح واللجاج وجاوز حدود الصبر والاحتمال ، اجابه البسطامي بقوله : (ايها السيد المحترم انك من أهل العلم والعرفان وذوي البصيرة فكيف يجوز لك الالحاح في افشاء سر نهى صاحب الامر عن افشائه ؟ رويدك قليلا فعند ما يؤون الاوان ويحين الوقت الذي يصح فيه ذلك فصاحب الامر يعلنه بنفسه ، وأما أنا فليس لي من الاذن سوى ان أبشر الناس بظهور الباب . وان التوقيعات التي حملتها معي حين خروجي من شيراز تشهد بذلك)

فلما رن في اذن السيد جواد اسم مدينة شيراز الذي بدر من لسان البسطامي عفوا حضرت ذاكرته وتحولت وجهة نظره في الحال نحو الباب فأظهر السرور والبهجة وقال : (اني متيقن ان حضرة

الباب هو السيد علي محمد) وأخذ يصف شؤونه وما هو عليه من كرم الشيم والحسب والنسب . فلما سمع البسطامي منه ذلك التنويه أخذه الاضطراب وخاطب السيد قائلا : (بما انكم قد عرفتم بما لكم من صائب الفراسة من هو حضرة الباب ، فانني أبلغكم أمره المبرم ونهيه المحتم القاضيين بكتمان اسمه حتى يعلنه هو بنفسه)

ثم لم تمر عشية أو ضحاها حتى قبض على البسطامي وزج في سجن بغداد . وبعد ان سيم الاهانة والتعذيب الشديد سير مخفوراً الى الاستانة ، ولكن بدنه كان قد أمسى على غاية من الضعف ، ووهنت قواه كل الوهن ، بما اذاقوه من الشدائد المنهكة ، وما كبدوه من العناء والعنت ، فارتحل الى دار البقاء وهو في طريقه الى الاستانة ، وحاز شرفاً خاصاً بان كان اول من استشهد في سبيل حضرة الباب وامره المبارك .

وأما الحاج السيد جواد فانه لبث في كربلاء الى ان ارتفع نداء الباب من مكة ، فعندئذ أحس باضطرام نار الاشتياق في صدره للمثول بين يدي القائم والتشرف بلقائه فهيأ أسباب السفر وجهز العتاد واتجه نحو مدينتي بوشهر وشيراز ، ولكنه قبل ان يبرح كربلاء ذهب لوداع صديق له يدعى الصائن الهندي [1] وكان هذا ممن اكتسب حسن اعتقاد الكثيرين فيه ، لورعه وزهده وتقاه ، ولما وصل اليه

---

(١) ويقال له ايضا الدرويش الهندى

السيد جواد صادفه في دور المراقبة بالمسجد المجاور لحرم سيد الشهداء. فكتب السيد جواد مرامه واعتزامه السفر في قرطاس وتركه تحت نظره، فكتب له الجواب في اعداد استخرج منها السيد بكل مشقة هذه الكلمات (المهدي موجود على محمد الرب)

وعلى أثر ذلك سافر. ولكنه لم يصل الى شيراز الا بعد ان صنعت الحكومة مع حضرة الباب ما صنعت وحكمت عليه بالتزام منزله وأخذت عليه العهود والمواثيق أن لا يقابل ولا يعاشر ولا يراود أحداً وضمن خاله الحاج سيد علي اشرافه على ذلك. فلما وصل السيد جواد الى شيراز ذهب لزيارة الخال المحترم حسب عادته فأخذه جناب الخال ومضى به الى منزله، وفتح له باب السرداب المؤدي لمنزل حضرة الباب، وهكذا تشرف الحاج السيد جواد بلقاء الباب ونال البغية والارب.

السيد يحى الدرابي

الملقب بوحيد

هو الابن الارشد للسيد جعفر الكشفي . وكان أبوه أحد فحول العلماء الاجلاء الاتقياء المرموقين بعين الاعتبار وحسن الاعتقاد من جميع أبناء فارس ، معترفا له بالكرامات والآيات الجمة ، حتى انهم بعد وفاته شادوا له مقاماً في (بروجرد) وصار الناس يشدون اليه الرحال وتنتجعه الزوار من كل الجهات للتبرك بتربته الى يومنا هذا .

وكان ابنه السيد يحيى هذا أفضل ابنائه علما وفضلا وارشدهم سنا ، على جانب عظيم من مكارم الاخلاق ، ومحاسن الآداب ، ذا جلال ومهابة ووقار .

وبينما كان الباب معتكفا بمنزله في شـيراز ، ملتزما خطة الانقطاع عن الناس ، كانت الاصوات مرتفعة من كل جانب ، والنداء ساري النفوذ في المشارق والمغارب ، والعلماء في تحير لفشلهم في الخطط التي رسموها ، وعجزهم عن العثور على طريقة تضمن لهم اطفاء تلك الشعلة ، فعقد علماء شيراز اجتماعاً ورفعوا الى حضرة محمد شاه طلبهم بدفع تلك الغائلة ، ومقاومة تيار هذا الخطب الجسيم .

وكان للشاه المذكور الباع الطويل في ترتيب الامور الحربية والسياسية والادارية ، وأما في المسائل الدينية فكان قليل الخبرة والالمام . لذا وضع هذا الطلب في حيز الاهمال ، ولبث على ذلك مدة راغباً في أن لا يتدخل في هذه المسألة . الا أن عناد الفقهاء ، واصرارهم خرج عن الحد ، وتزايد واشتد ، فاقترح عليهم رأيه وقال : (يجدر بنا أن نرسل عالما من كبار علمائنا يلزم الباب الحجة بقوة البيان ، ويثبت بطلان مدعياته لاهل فارس بل لسائر العالم ، ونتخلص نحن وانتم من مشاق مقابلته بالقوة . فوقع اقتراحه هذا موقع الرضى والقبول من نفوس حملة العمائم ، وانتخبوا السيد يحيى المذكور لانجاز هذا العمل ، وتحقيق ما عقد به من الامل ، فسافر حضرته ميمماً جهة شيراز بعد أن منحه الشاه جوادا ومائة تومان نقدا كهبة سلطانية .

وقيل في رواية أخرى ان السيد يحيى كان مهتماً باستطلاع أخبار الحركة البابية جدا ، ومعولا على السفر الى شيراز لفحصها بنفسه ، غير أنه لما كان من المقربين لدى الشاه والوزير الاعظم عرض عزمه هذا على الحضرة الشاهانية فاستحسن الشاه ذلك العزم وطلب منه أن يوافيه بالاخبار الموثوق بها لكي يتحقق هذا الامر .

وعلى كلتا الروايتين فان السيد يحيى سافر الى شيراز بمساعدة السلطان والوزير الاعظم . وحين وصوله اليها كان باب الوصول الى حضرة الباب ومقابلته علنا قد اوصد ، ولم يبق سوى باب السرداب الذي تقدمنا بالاشارة اليه الموصل بين منزل الخال والحضرة مفتوحا

في وجه السيد جواد والقليل من الاخصاء . وكان بين آن وآخر يجتمع لفيف من خواص الاحباء في منزل الخال ، فيوافيهم حضرة الباب من ذلك المنفذ ، ويتشرفون بحضوره ، ويأخذ يفيض عليهم من زاخر علمه الروحاني ، ويلبث جالساً معهم الى أن تنقضي السهرة فيعود الى منزله . وأما عامة الاحباء فقد كانوا محرومين من متعة اللقاء ، لما أظهره أرباب العناد والاعراض ، من التأهب والاستعداد لاثارة الفتن عليهم ، نخص بالذكر من بينهم أحباء النواحي والاكناف الذين حظر عليهم السفر الى شيراز .

وبالاجمال فقد تلاقى السيد يحيى مع السيد جواد المتقدم ذكره في منزله ، وفاوضه في كيفية مقابلة الباب . وكان خالي الذهن اذ ذاك من معتقد السيد جواد ، أي لم يتصوره بابيا لعلمه بما هو عليه من درجة العلم والعرفان والورع والتقوى ، ولكنه بعد مقابلته اياه علم أنه متفان في هذا الامر منجذب لمجرد ذكر اسم الباب . فبعد ان تقابلا وتذاكرا ملياً أجريا الترتيب والتدبير الذي يجب اعداده لمقابلة الباب . وبالفعل قد كان ذلك . وكان السيد يحيى في كل جلسة يطرح بعض الاسئلة وباستماعه أجوبة الباب يزداد إقبالا ويمتلي ميلا اليه ، بيد أنه لم يبد بعد اطمئناناً واعترافاً بالايمان ، ولم تصدر منه أية اشارة تشف عن ذلك . نعم كان مندهشاً معجباً بعظمة حضرة الباب وحسن بيانه واحاطة علمه وغزارة عرفانه على حين صغر في سنه .

وكان يتوقع ظهور أمر آخر وشهود شيء أعظم وأغرب مما سمع اذا اقترح صدور آية ونزول عجيبة ، الا انه تعذر عليه الاقدام على التماس ما كان يصبو اليه ويتمناه ، والهجوم على اقتراح ما يهواه ، لما كان عليه حضرة الباب من المهابة والجلال والوقار الذي أثر في نفسه أيما تأثير ، ولكنه جاء في يوم من الايام وأفشى سره هذا للسيد جواد قائلا له : (هل من الممكن ان نطلب من الحضرة أمراً خارقاً للعادة من قبيل المعجزات والكرامات ؟) فأجابه السيد جواد بقوله : (أليس هذا الطلب من الافكار الصبيانية ومن هوس أصاغر الناس وبسائطهم ، بعد أن شهدت بنفسك تلك الالماعات العالية وهاتيك الاشارات ، وعاينت من حضرته عقائل الشمائل ، وجلائل الفضائل ، وعلمت بايمان الجم الغفير وعديد الجماهير من جهابذة العرفاء الكرام وفحول رجال العلم الاعلام . أما أنا فلا مقدرة لي على التقدم لعرض مثل هذا الطلب الذي من هذا القبيل في حضرته المباركة . وأنت حرفيما تحسبه لائقاً ومناسباً . ولك ان تسأل حضرته مباشرة ما في ضميرك السؤال عنه .)

وبعد ايام دعيا الى منزل الخال للتشرف بالحضرة . وبينما هما متشرفان في الحضور ، أخرج السيد يحيى كراسة دبجها في بضعة أيام وضمنها عدة من معضلات المسائل ، وناولها السيد جواداً ، راجياً منه أن يتفضل برفعها الى حضرة الباب ويلتمس الرد عليها . فاذعن السيد جواد لرجائه مرغماً ، ولكنه تحاشى تقديم الكراسة

للحضور المبارك . ومكثوا متشرفين في الحضرة حتى الساعة الخامسة بعد الغروب ، وكلهم آذان واصغاء ، لاستماع ما يلقيه عليهم ذلك البحر الرباني المواج من درر البيان وغرر التبيان ، بكل انطاع وصمت واحتشام ، الى ان حان موعد العشاء فتناولوا الطعام .

ومرت كل هذه المدة ولم يأت أقل ذكر لتلك الكراسة في تلك الجلسة ، ووراء ذلك قام حضرة الباب وقفل راجعاً الى منزله .

وعندئذ انتهز السيد جواد حائن الفرصة . وأعطى غلام الحضور الذي كان يدعى مبارك تلك الكراسة قائلا له : قدم هذه الى الحضرة وقل انها أسئلة قدمها السيد يحيى يرجو الاجابة عليها . ثم تفرقوا وانصرف كل الى محل استراحته . وكان أكثر الاحباب والاصحاب في ذلك الحين من سادة العلماء المجتهدين المنقطعين للقيام في الاسحار والتهجد والمناجاة والابتهال .

وبينما كانوا في تلك الليلة مشتغلين بالوضوء ، جاءهم ذلك الغلام ، وقدم كراسة الى السيد يحيى مكتوبة بخط الباب نفسه ومحتوية على أجوبة الاسئلة مع المتانة والاتقان وجودة الخط والاحكام .

وبعد أن استلم السيد يحيى الكراسة أخذ يجيل نظره فيها فما أتى على قليل منها حتى انقلبت حالته ، وطار فؤاده شعاعاً ، واستولت عليه نشوة الدهشة والسرور ، بحيث صار يرقص من سكرة الطرب ونسي ما كان عليه من فخامة الرتبة وجلالة المقام ، ومن كبير الحشمة والمهابة والوقار ، وخرج من يده زمام الانتباه والاختيار ،

وتجلت عليه سمات الجذب ، وملامح الوجد والهيام ، حتى خشي عليه رفاقه ، وأشفقوا عليه من الجنون . وبدأوا يسائلونه عما جرى ملتمسين منه ان يحتفظ بمقامه ويثوب الى سكينته وثباته فاجابهم قائلا : (انني وجدت ما طالما كنت أصبو اليه وأتمناه فأناشدكم الله ان تصغوا الى قصتي التي أضاعت صوابي وابتزت من يدي زمام الاختيار . وهي :

ان مما لا يغرب عن علم جنابكم انني من بيوت العلم ، نشأت من عهد الطفولة الى الآن في أحضان العلماء ولم يطرق أذني غير المواضيع العلمية الفنية ، ومع ما بلغته من درجات العلوم انشأت بضعة أسئلة زعمت في نفسي انها من الاشكال والاعضال في أبعد مكان ، ولبثت في تنسيقها وتنميقها زهاء أسبوع بعد ان تكبدت المصاعب الوعرة الجمة . وعدلت في عبارات وأساليب الانشاء المرة تلو المرة . وان المعروف عن حضرة الباب انه من أسر التجار ، المشغولين بأمر التكسب والاتجار ، ولم يصرف من عمره في التحصيل الا تلك الايام القلائل التي كان في غضونها يتردد على مدرسة الشيخ عابد ويسمع دروسه الابتدائية ، وانه ما اشتغل قط بطلب العلوم العالية ، فرغما عن ذلك قدمنا له في الساعة الخامسة من ليلة أمس هذه الاسئلة فتكرم علينا بالجواب ، وها هو ترونه كتاباً مبيناً ، فهل تستطيعون ان تذكروا لي المدة التي أنشأ فيها حضرته هذه الاجوبة ؟ لم يبق لدي والحمد لله أدنى اشتباه في أن حضرته مهبط الوحي

الرباني ، وان كل ما يصدر عن بنانه وبيانه ليس الا بقوة التأديب الالهي الصمداني ، وحسبي تلك الاجوبة عن طلب المعجزة التي كنت أتصورها في خيالي وعلمت الآن انه لا قيمة لها ولا طائل تحتها) اه

ان من المحاط به علما ان تفسير سورة الكوثر الذي فاض به بنان صاحب البيان (حضرة الباب) نزل من أجل السيد يحيى ، ورغماً عن تعلق ذلك التبيان بتلك السورة التي هي في منتهى الايجاز حوى أهم المهمات من المسائل الالهيات . وقد جاء في تاريخ الواعظ القزويني هذه العبارة التالية التي يعزوها المؤرخ الى منطق السيد يحيى وهي قوله : (قد حظيت في مدينة شيراز بحضور حضرة الباب وسألته الادلة والبينات فتكرم علي جنابه بالاجابة . ثم طلبت منه ان يشرح سورة الكوثر . فقال حضرته اترغب ان يكون الشرح تحريرياً أم شفهيا . قلت تحريرياً ، فأمر حضرته باحضار القلم والقرطاس وشرع يكتب ذلك التفسير بسرعة كادت تخفى عنا حركة أنامله وسير يراعته . وعند الانتهاء ناولني الصحائف التي كتبها فنظرتها واذا ما بها ينوف عن الفي سطر محررة بكل ابداع ، لذا أيقنت ان حضرته هو باب العلم الالهي ومظهر الوحي الرباني)

ويستفاد من التاريخ المذكور ان السيد يحيى كان في أول أمره يستنكر مسلك الشيخ والسيد ، وينحي باللائمة على طائفة

الشيخية ، ولكنه تشرب قليلا قليلا من تلك الافكار ، واخيراً مال اليها حتى اعتلى المنبر في مدينة قزوين والقى خطابة اثبت فيها صحة تلك الطريقة . وبعد أوبته من شيراز أعاد الكرة واثبت للجمهور على رأس ذلك المنبر عينه علامات الظهور وآذن الناس باقتراب اليوم الموعود .

وبالاجمال نقول : ان السيد يحيى بعد أن آمن ايمانا حقيقياً كاملاً ، ظعن من شيراز مباشرة الى بروجرد واشعر والده بالنبأ وبلغه الامر الجديد ومن الراجح ان ذلك الوالد رأى رأي ابنه وقبل مبدأه ، والدليل على ذلك قول مأثور فاه به في جمع من عظماء القوم وأكابرهم حينما قالوا له (ياسيد يقال انه عرض لابنك مرض الجنون) فاجابهم بهذا المقال وهو هذا (نعم انه مجنون ولكن بجنون فوق العقل وهو ميراث من جده له)

أجل ، ان المقام الذي احرزه السيد يحيى في هذا الامر لمقام في قاصية السمو ، وقد لقب (بالوحيد) كما سنذكره .

وبعد اجتماعه بوالده خف الى عاصمة المملكة ماراً بمدينة قزوين ، وكان في جميع البلدان التي يمر بها يؤذن بقيام الموعود ، ويقيم الحجج والبراهين بيشائر الظهور . وبعد وروده على العاصمة كتب تحريراً على هذه المسألة ورفعه الى الشاه والوزير الكبير الحاج ميرزا آقاسي ، ولكن ماقام هنالك من المشاكل والموانع السلطانية والشواغل السياسية ، حال بينهما وبين الاقدام على

التحقيق في هذا الأمر الخطير . واستمر الشاه سائراً على خطة التروى والتريث وتنكب الانحياز لفريق دون آخر ناظراً الى الحوادث بعين الصمت والغض . أما الصدر الاعظم فانه شرد عن سجية الحزم والاعتدال في هذا الشأن (على ماسيأتي شرحه) او أن الامور اختلت في أيامه من سقم التدبير حتى تعسر عليه تنظيمها ومن ثمّ عرف بين المؤرخة والساسة وأهل الدراية أجمع بقصر النظر وعجز الرأي والسياسة الخرقاء، وبأنه حوّل قلّب متلون كما الحرباء .



السيد الهندي الشهير بالبصير

كان السيد الهندي ممن آمنوا في الدورة الاولى ومن اخصاء الاصحاب ، وشغل ردحاً من الزمن بمهمة التبليغ . ورغم استقصاء المؤلف في البحث والتنقيب عن اسمه الحقيقي لم يتوفق لمعرفته . وكان كفيف البصر حديد البصيرة والنظر في الامور الدينية . وشهر بالبصير وغاب عن ذاكرة الناس اسمه الاصلي . ولكن لا يتوهم من ذلك ان التاريخ تناساه أو أغفل ذكراه ، فقد عثر المؤلف بعد مواصلة البحث واطلاعه على تاريخ النبيل وعلى أوراق أخرى متشتتة — على الشيء الكثير من سيرة هذا النابغة . ولكن المؤلف لما كان مبتغاه التحري الكافي الموجب لاطمئنان القلوب ، فاوض في هذا الامر كثيرين من قدماء المؤمنين الشيوخ في كثير من البلدان ، واستطلع رأيهم . وسمع وصف السيد البصير من المعتمد على أحكامهم الموثوق بأقوالهم الذين رأوه رأي العين . ولما تكون لديه مقدار وافر من سيرته دوّن ما ثبت له منها وضرب بالمشتبه فيه عرض الحائط .

ينتسب السيد البصير الى الطائفة الجلالية القاطنة بلاد الهند . وكان ابوه السيد جلال من كبار رجال الارشاد في تلك البلاد ، وله كثير من المريدين والاتباع ، وكانت اسرتهم مذ عهد قديم موئل الناس وقبلتهم ، وخرج منها عديد الاقطاب والاولياء

والاساتذة المرشدين .

وكان من المقرر قيام السيد البصير مقام والده لولا ان كف بصره وهو في سن الشبيبة فلم يتسن له الوصول الى مركز والده ، ولكن لم يقعده فقدان البصر عن المضي في تحصيل العلوم والفنون بل ثابر على الجد والسعي وكانت ثروته العظيمة أقوى عضد له في ذلك ، ولم يترك فرصة تمر دون أن يأخذ فيها بحظ من اغتنام يانع العلوم والمعارف واقتباس فرائد الفوائد من أقوال أهل الفضائل والبصائر . وبينما كان (وهو في سن الشبيبة) نائماً ذات ليلة اذ رأى رؤيا قصها على والده فكان تعبير والده لها هو هذا (انه في القريب العاجل سيرتفع النداء من شطر ايران . ويقوم شخص عظيم يكسو الديانة رونقاً جديداً ويحدث انقلابات عظمى)

وعلى وجه الاجمال نقول : ان السيد البصير كان رجلا مغرماً بالعلم والدراية ، وحصل على عرفان الكبراء والعظماء من كل ملة وأمة . وتقلبت به السياحات والاسفار . فقد سافر الى ايران وأقام مع خدمه وحشمه في مدينة كرمان بسراي وكيل الملك برهة كان فيها يعاشر الوضيع والرفيع بلطف ووداعة وظرف وحسن أدب . واعتكف حقبة من الزمان في بلدة ماهان من أعمال كرمان بمقبرة (شاه نعمة الله) يرقب المنتظر مشتغلا بختم القرآن وترتيل الادعية والاستغاثات ونفيس الرياضات . ثم اعتزم زيارة الاعتاب بكربلاء فوصل اليها والسيد الرشتي في بحبوحة صيته وابان شهرته .

فاستفاد من حضرته جم الفوائد واجتنى أغلى النفائس في جملة مجالس ، وكان السيد يجله ويحترمه في خلواته وجلواته ويثني عليه ويكرمه .

ثم في توالي ذلك آب الى وطنه (الهند) وأقام مدة في مدينة بومباي ولما قدم الحاج السيد جواد الطباطبائي البلاد الهندية سارع السيد البصير الى لقائه وعد خدمته والاغتراف من بحر علمه فرصة ثمينة وغنيمة سمينة . فكان في جل الايام يغدو اليه الى أن ارتفع نداء حضرة الباب بنجد ايران ، فوصل رنين تلك النغمة البديعة الى اذنى السيد البصير بتوسط أحد التلاميذ الرشتيين . وكان ذلك قبل رحيل حضرة الباب الى مكة .

ولداعي مرارة انتظاره للمنتظر وامتلائه اشتياقاً له ، نهض على الفور وظعن الى ايران وهو لايعلم من هو الباب ولاماترمى اليه هذه الحركة من الغاية ، وطفق يبحث ويسأل حتى بلغ مدينة شيراز ، ولكنه علم بان صاحب الامر خف مع خاله من عهد قريب الى مكة المكرمة للطواف والزيارة ، ثم بدون تردد تبعه الى مكة وتشرف بلقائه في المسجد الحرام . وبعد ماالقى عليه بعض الاسئلة وسمع منه اجوبتها بكل سداد آمن بفرح عظيم وانجذاب وابتهاج وصدر له الاذن هناك بالتبليغ والتبشير ، فاخذ يجوس خلال الديار

ويجوب البلاد طولا وعرضاً ، رافعاً راية المناداة بسفور طلعة الموعود ، منفقا أمواله عن سخاء ، وكرم وجود الأنام ، مبشراً الناس بظهور منتظر الاسلام ، وسنذكر بمشيئة الله باقي شرح حياته في الموضع الاليق الانسب .



بعض المقدمات

عن احوال قرة العين الملقبة بالطاهرة

كانت قرة العين بديعة زمانها ، فريدة وحيدة بين النساء والرجال في وقتها واوانها ، ذات قريحة وقادة والهام صريح وذوق وعلم وعرفان ، مع هيبة وسكينة وجلال وطلاقة لسان ، ورباطة جأش وقوة جنان ، وبراعة تامة في الادلاء بالحجة والبرهان .

اسمها الاصلي ام سلمى هانم [1] وهي الابنة الوحيدة للحاج ملا صالح القزويني البرقاني .

ولدت سنة ١٢٣٠ او سنة ١٢٣١ هـ وكان لوالدها ثلاثة اخوة والاربعة كانوا من اكابر المجتهدين في مدينة قزوين . احدهم هذا الوالد المذكور . وثانيهم هو المدعو بالحاج ملا تقي صاحب التآليف العديدة التى اشتهر منها كتاب (مجالس المتقين) وهو الذى اضافوا اليه شرح واقعة قتله حسبما يتصورون ويتوهمون . والثالث هو الحاج الشيخ جواد . والرابع هو ملا علي . وكانت شهرة هذين الاخيرين وسمعتها اقل بمراحل من شهرة الاولين .

---

(١) وجاء في بعض التواريخ ان اسمها « زرين تاج » بمعنى التاج الذهبي لان شعرها كان ذهبياً . (المعرب)

ولما بدت مخايل الذكاء والفطنة والعقل الفائق والفهم النادر على قرة العين اهتم عمها ملاتقى ووالدها بامر درسها للعلوم وسير بها في هذا الصدد فنجحت نجاحاً باهراً زاهراً ، ونبغت في جميع العلوم والفنون بمدة قصيرة . ولما ان بلغت سن الرشد زفوها لملا محمد امام الجمعة وهو الابن الارشد لعمها الحاج ملاتقى . وبعد ان اقامت مدة في تدبير منزلها والقيام باعماله خير قيام رزقت ثلاثة أولاد ، ذكوراً واناثاً ، ولما بلغت من العمر التاسعة والعشرين ابدت مزيد الاشتياق لزيارة الروضة الحسينية المباركة فنزحت الى كربلاء .

وكان عمها ملاتقى في طليعة المنكرين للطريقة الشيخية والقائمين على ردها وتكذيبها وتفنيدها . واما والدها فكان حليف صمت تام ملتزما للحياد ازاء الرد والتحبيذ جميعاً . بيد ان عمها الحاج ملا على كان من محبي الشيخ والسيد ، وهو الذي حض قرة العين على السعي وراء الانتماء لهذه الطريقة .

فلبت ايعاز عمها هذا ، وجعلت تدرس كتب الشيخ والسيد مستعينة على فهم ماجاء فيها بما علق بذهنها مما كانت تسمعه من المناظرات التي جرت بين الشيخ احمد الاحسائي وعمها الحاج ملاتقى مع حداثة سنها في ذلك الوقت ، اذ كان عمرها لايربو عن الاحد عشر ربيعاً ، ولما طالعت كتب الشيخية حسب ارشاد عمها ملا على صبت بكليتها الى تلك المبادىء ، ودب فيها الولوع بها ، وبدأت

تقدس الشيخ والسيد وتعتبرهما اعلم علماء العصر واعلامهم تقوى وبصارة ، ثم شرعت عقب ذلك تراسل السيد الرشتي في الاستفهام منه عن بعض الغوامض ، فلم يكد يقع بصر السيد على رسالتها حتى قال انها خليقة بعالي المقامات ، وجعل يخاطبها في جميع كتاباته (بقرة العين) وواظبت على ذلك الى ان أجمعت العزم على زيارة السدة الحسينية المقدسة ، والتشرف بلقاء السيد ، غير أنها ماالقت عصا التسيار بكربلاء حتى كان السيد قد ارتحل الى دار البقاء ورأت تلاميذه يقيمون المآتم والتعازي فشاطرتهم في مصابهم وامست في حالك الاضطراب والتوجع من تلك المأساة الأليمة

ولما كانت تعلم علم اليقين مما اقتبسته من التعاليم الرشتية بأن فتنة آخر الزمان على وشك الوقوع ، وان الموعود اضحى م رفع النقاب وكشف الحجاب على قاب قوسين او ادنى ، ازمعت البقاء بكربلاء ، وتحاشت القفول الى بلدها ، متوقعة ارتفاع ند الموعود وسفور جمال المقصود ، وجلست في مقام السيد على ماه المشهور عنها ، تلقى الدروس على الطلاب ، من وراء ستارة نصبت لهذه الغاية ، فكان الطلاب والمستمعون في أشد الاعجاب بحس تعبيرها وفصاحة بيانها وقوة برهانها .

وبينما كان اصحاب السيد قد انتشروا بالاصقاع واعتنقوا التجوال والاسفار ، للتنقير عن الموعود ، انقطعت هي للرياضة والتبتل ، وهجرت تناول المطبوخات ، واجتزأت ببسائط الاغذية

وكانت الليالي تمر عليها وهي في شغل شاغل بالمناجاة والصلاة ، بل كانت كل اوقاتها مصروفة في الترقب والانتظار .

وجاءت في ذات يوم فكتبت رسالة لملا حسين البشروئي مستفسرة منه عن نتيجة ابحاثه وتحرياته ، قائلة : (اذا وفقتم للقاء طلعة الموعود فلا تحرموني من موافاتي بذلك النبأ ، ولا تضنوا عليّ بالسعادة فان للارض من كأس الكرام نصيباً .) فوصل خطابها ليد ملا حسين ، وهو موجود بمدينة شيراز ، وكان وقتئذ قريب عهد بالايمان والتصديق بالامر ، فقدمه الى الحضور المبارك وعند اطلاع حضرته على مطلبها اجابها فوراً واثبت اسمها في سمط حروف الحي ، وكتب توقيعاً مباركا بذلك .

ولما عاد ملا علي البسطامي الى العراق ، وانشأ ينشر البشرى بظهور الباب على النهج الذي سلف ذكره ، واطمأن بال قرة العين بالايمان ، قامت هي ايضا تبث البشائر وتزف الاشاير الى ذلك البزوغ ، وعندما قبضت حكومة كربلاء على ملا علي البسطامي قامت الحكومة أيضا بالتعرض لتلك السيدة ، واوفدت اليها من يستطلع اسرار رأيها ، اذ ظن أهل الحل والعقد من رجال الحكومة انها قائمة بالدعوة الى نفسها ، فلما سألوها عن ذلك قالت : (ليس لي من دعوة لنفسي ولا امر ، بل انني مطمئنة بان باب العلم الالهي قد ظهر ، وكل من يرغب من اكابر العلماء بمناظرتي في هـــذا الشأن فليتفضل)

فاقرتها الحكومة على ذلك ، وطالبت العلماء الاعلام بضرب ميقات لها ، ولكن العلماء جعلوا يماطلون ويسوفون ، ويؤجلون الاجتماع من يوم الى آخر ، حتى تصرمت اربعون صباحا ولم يتقدم فرد واحد منهم لمبارزتها في ميدان المباحثة والجدل ، لما سبق لها مع فطاحل المجتهدين من الخامهم وقطعهم بالبراهين الدامغة والادلة والحجج البالغة ، فلم يجرأ أحد منهم (والحالة هذه) على مباحثة تكون عقباها اندحاره المحقق . نعم جردوا سيوف البغي وباشروا الطعن عليها وتكفيرها وهي بمعزل عنهم حتى كادت تحدث فتنة في البلدة .

ولما كان كل مناها واشهى رغباتها هو لقاء حضرة الموعود والتشرف برؤية طلعته البهية ، وكان ذلك شغلها الدائب الواصب وهمها الناصب ، ليلها ونهارها ، نهضت من كربلاء ميممة شطر المحبوب عن طريق بغداد [١] وفي هذه الحاضرة حضرت نادياً غاصاً بافاضل العلماء وبينهم والى الولاية ومفتيها السري ، فما فتحت فاها بالنطق حتى حيرت الحاضرين بذرابة لسانها وبلاغة تبيانها .

---

(١) جاء في قول البعض ان سفرها الى بغداد كان بأمر من الحكومة . «المعرب»

افادة

حينما كان المؤلف ببغداد سمع من جناب (الحاج محمود القصابجي) احد اعيان الاحباء القاطنين بتلك المدينة ، أن قرة العين نزلت في بيت والده وارشد المؤلف الى ذلك المنزل غير ان المؤلف نسي اسم جهة البيت . وبما ان الحاج محمود المذكور هو الاخ الاصغر للحاج عبد المجيد ، ومن الأسر التي تشرفت بخدمة حضرة بهاء الله في بغداد ، وبذرت فيها حبوب الايمان والاطمئنان ، وكان الحاج محمود نفسه من الثقات العدول ، لذا يظن المؤلف ان الزيارة التي اشار اليها المذكور ، ذات علاقة بزيارة قصيرة المدى غير رسمية وقعت في اوائل ورود حضرتها على بغداد ، او عند مغادرتها لها متولية نحو ايران ، او في سفر آخر كان في غير هذا التاريخ ، وذلك لأن حضرتها في أيام تلك الرحلة الشهيرة كانت نازلة في بيت الشيخ محمد شبل حسبما جاء في رسالة (١) وضعها آقا محمد مصطفى البغدادي نجل الشيخ المذكور في ترجمة حياة قرة العين . اه

وكان الشيخ محمد شبل مع ملا ابراهيم المحلاتى وميرزا صالح الشيرازي ونفر ينيف عدده على الثلاثين ، يحضرون حلقة درس السيدة بمدينة كربلاء ، ويدونون ما تلقيه من الابحاث العلمية .

---

(١) في ذيل الرسالة التسع عشرية المطبوعة في مصر

وعلى وجه الاجمال نقول : انها بعد أن لبثت برهة بمنزل الشيخ محمد شبل في مدينة بغداد ، تحولت منه بامر خاص من الوالي الى منزل السيد محمود الآلوسي ، واقامت به زهاء شهرين . وتتميماً للاعراب عما كانت عليه هذه النادرة من قوة البرهان ، ورصانة البيان ، وذلاقة اللسان ، نقصّ هنا عن شقيقها ماقاله في حقها ، قال (كان يرتج عليّ وعلى ابناء اعمامها فلا نكاد نستطيع التكلم في حضرتها ، وكانت في عنفوان صباها على جانب كبير من الذكاء والالمعية ، فلفتت انظار الجميع اليها ، وحينما كانت ترد على دروس والدنا وعمنا التي كان يحتشد بهاماينوف على الثلاثمائة طالب ، كانت تجلس خلف حجاب وتصغي الى الاستماع ، وكلما عن لعمها او لوالدها مشكلة عويصة تبدي رأيها فيها ، وكان دائماً يصيب رأيها كبد الصواب ، وينحل الاشكال ، ويستريح من السامعين البال ، ولقد ذاع صيتها وتفاقمت شهرتها حتى أصبحت العلماء تحج اليها من كل فج لتستفتيها في مهمات المسائل ، ولطالما ارتضى اولئك العلماء فتاواها وجروا على طبقها ومقتضاها) اه

وقد رأينا ان نغتنم هذه الفرصة المناسبة ، ونأتي على قص نبذة مما كتبه السيد محمود الآلوسي المذكور في احد مؤلفاته عن « قرة العين » ونرجئ تشريح سائر احوالها الى موضع آخر .

قال الآلوسي في تفسيره الذي دعاه (روح المعاني) :

(القرّتية اصحاب امرأة اسمها هند، وكنيتها أم سلمى ، ولقبها قرة العين . لقبها بذلك السيد كاظم الرشتي في مراسلاته لها اذ كانت من اصحابه . وهي ممن قلد الباب بعد موت الرشتي ، ثم خالفته في عدة أشياء منها التكاليف فقيل انها كانت تقول برفع التكاليف كلها . وأنا لم احس بشيء من ذلك مع انها بقيت في بيتي نحو شهرين ، وكم من بحث جرى بيني وبينها رفعت فيه حجاب التقية ، فرأيت من الفضل مالم أره في كثير من الرجال . وهي ذات عقل وأدب ، وفريدة حياء وصيانة ، وقد ذكرنا من المباحثات في غير هذا المقام ما اذا وقفت عليه تبين لك ان ليس في فضلها كلام . والذي تحقق عندي ان البابية والقرّتية طائفة واحدة . وهم يزعمون انتهاء زمن التكليف بالصلوات الخمس وان الوحي غير منقطع فقد يوحى للكامل لاوحي تشريع بل وحي تعليم لما شرع من قبل ولنحو ذلك . وهو رأي بعض المتصوفة . واخبرني بعض من خالطهم انهم يوجبون على من نظر الى اجنبية من غير قصد ان يتصدق بمثقال من الذهب ، وعلى من نظر اليها بقصد التصدق بمثقالين منه ، وان منهم من يحيي الليل بكاء وتضرعا ، وأنهم يخالفون الاثني عشرية ويكفرونهم ويبرأون منهم . وهكذا حال هذه الفرقة مع كل من خالفها) انتهت عبارته .

ملاحظة :

قال مؤلف هذا الكتاب : ولكن مما لاريب فيه ان مازعمه هذا الفاضل من تسمي قرة العين بهند غير صحيح ، فانه من المستبعد استعمال هذه التسمية بين الشيعة ، لاسيما بين اكابر العلماء منهم . اضف الى ذلك ان هذا التسمي لم يرد في كتاب ماغير كتابه ولم يسمع من احد قط ، والمحتمل ان يكون الحادي به الى هذا الزعم ان هذا الفاضل اعتبر كلمة ام سلمى كنية طبق القاعدة العربية المتبعة بين العرب ، فتوهم هذه التسمية . وفاته ان كلمة « ام سلمى » كانت ولم تزل تستعمل بمثابة الاسم في بلاد العجم . فيتضح من ذلك اذن أن اسمها كان كما ذكرنا اي «ام سلمى». نعم لقبها قرة العين كما قال ، وان السيد الرشتي لقبها بذلك . ونقول انها لقبت بعد ذلك « بالطاهرة » لقبها بذلك حضرة الباب . واهل البهاء يذكرونها في اكثر محادثاتهم بهذا اللقب الاخير . انتهت الملاحظة



تتمة هذه الشذرات

من ترجمة قرة العين

وذهب بعض المؤرخين الى ان قرة العين ظعنت الى كربلاء مرتين . ولهذا الرأي في نظر المؤلف موضع من الصحة ، حيث جاء في تاريخ (آقا محمد مصطفى البغدادي) أن قرة العين قدمت على بغداد سنة ١٢٦٣ هجرية ونزلت في دار والده الشيخ محمد شبل . وقد تحقق أيضاً انها وردت على كربلاء تلو وفاة السيد الرشتي اي سنة ١٢٥٩ هـ . فاذا لاحظنا مع ذلك ان كتابا من كتب التاريخ لم يذكر ان تلك المخدرة الزهراء ، أقامت أربع حجج بكربلاء ، أمكننا أن نستنتج على سبيل التفرس والحدس انها قدمت كربلاء كرتين . وعلى هذا يصح ما قاله (الحاج محمود القصابجي) على وجه انها نزلت على والده في احدى هاتين الرحلتين ، وفي الدفعة الاخيرة نزلت بادي، بدء بدار الشيخ محمد شبل ، ثم تحولت بعد ذلك الى منزل الفاضل الالوسي كما مر .



عود على مابدأنا به

من انباء حضرة الباب

تبين مما شرحناه قبل، ان ألسنة الضوضاء ارتفعت من كل الارجاء والبقاع بذيعان الانباء عن أمر الباب، وأن بساطى الرد والقبول انبسطا وامتدا في جميع الآفاق والاصقاع.

أجل. قد انطلقت تلك النار، يشع بها الضرام والاوار، وأخذت الصيحة تسري مسرى الامثال والاضواء، وبالاخص في البلدان التي كان بها بعض الشيخية، فان هؤلاء كانوا لايفترون عن الاخذ والرد والمذاكرة في هذا الحديث. وكان يستحيل على أي امرىء لاقى حضرة الباب (سواء قبل اظهار الامر وبعده) أوسمع شذرة من بياناته أن يتنصل عن الاقبال والارادة، أو يقدم على التردد والحيرة. لذا لم يعد ماأتاه المنكرون عليهم بشيء مما يبغونه من وقف تيار هذا الامر الخطير.

ورغما عما قطعه حاكم فارس مع حضرة الخال من العهود والوعود التي محورها نهي الناس عن ملاقاة الباب، فان بساط الدعوة والتبليغ كان مبسوطاً، سراً وجهاراً، ولم ين امرؤ من أهل الارادة والاقبال في اعلاء الامر، ولم يتراخ عن الاشادة به ورفع مناره وظل جميع الاصحاب من جهة يواصلون السعي ويجدون في المسير

بالدعوة والتبشير ، وجموع العلماء من جهة أخرى لا يقصرون بوجهما في القيام على مناهضة هذه الحركة ، ومحاولة شلها وايقافها ، بل كانوا يرقون المنابر في كل مكان وزمان وفي كل مسجد ومعهد وفي كل محفل وناد ، ويوفون الصراخ والجعجعة حقهما في الرد على الباب واصحابه ، والصد والتأنيب ، ويملأون اشداقهم بالشتائم والسباب والطعن واللعن . ومن البين أن اللعن والسب لم يكونا في وقت من الاوقات ذوي أثر ولا مجديين بطائل في مقاومة الدليل والبرهان ، كما ان العنف والضغط لاحول لهما ولاقوة حيال قضية العدل والحق والعقل . لاجرم ان تلك الاحكام والتدابير الصارمة الرامية الى سد باب المعاشرة والمخالطة في وجوه الناس ، وزجرهم عن الاجتماع بحضرة الباب — كانت عقيمة . وقد رفع المراقبون للحركة التقارير المفصلة المسهبة بالشكاية ، لحكام الشرع ، ينهون فيها اليهم أن بساط التبليغ ومراودة الخلق ممدود في كل مكان ، وان الطلاب مافتئوا يقعون في كل يوم على ضالتهم .

لذا عدل العلماء الى طروق باب آخر ، فاوحوا الى حسين خان حاكم شيراز ان لهذه الطائفة (اي البابية) سراً واحداً من سعيهم وحراكهم ، وهو امتلاك زمام الحكومة والسلطنة . وقالوا ان الدليل على ذلك هو انهم ، بعد صدور الاوامر بوجوب انفصالهم وانعزالهم عن معاشرة الناس ، يواصلون في الخفاء جدهم ليل نهار لمخالطة الناس ومعاشرة كل انسان وماذاك الا حرصا على تحقيق

غرضهم وهو الخروج على السلطنة وقلب كيان الحكومة والادارة .

ولما كانت قوة الوهم في الانسان الضعيف مسيطرة على سائر قواه ، فلا اقرب من تورطه في حبائلها ، وما اسرع سريان حكمها في سائر جوارحه واختطافها منه زمام الروية والعقل ، لذلك اثر زخرف قول العلماء على حاكم فارس أيما تأثير ، وولدت وساوسهم وهما عظيما وخوفا جسيما في مخيلته ، فانفذ في الحال وفي نفس ليلته رجلا يدعى « عبد الحميد خان الداروغه » مع نفر من الجند ، الى منزل حضرة الخال (خال جناب الباب) وامره بالهجوم عليهم بغتة ، وان يلقي القبض عليهم قاطبة ، ويضبط الاسلحة الموجودة لديهم ، ذلك لأنه تصور وجود مؤامرة بين جم غفير من الرجال وانهم اعدوا من الاسلحة مالا عداد له .

وعند ماقام عبد الحميد خان بتنفيذ الامر لم يجد اثراً ولا مصداقا لما أفضي اليه به من امر التآمر والسلاح . نعم صادف السيد كاظم الزنجاني والحاج السيد علي الخال في حضور حضرة الباب ، وبين ايديهم بعض الاسفار والكتب ، فكر راجعاً على الاثر وقدم تقريراً أعرب فيه عما رآه رأي العيان ، وأطلع اولى الأمر على جلية الخبر .

وفي تلك الايام حدث بشيراز وباء شديد ثقلت وطأته ، فشغل بقوة فتكه افكار الحكام والعلماء ، وبما انهم من احرص الناس على الحياة وهم على أرواحهم أكبر خوفاً منهم على سائر الارواح

لاذوا بالفرار وخرجوا الى المصائف والقرى الخارجة عن المدينة ، والجبـال التي في جوارها ، هربا من الموت وفراراً من الهلاك ، وتركوا التشبث بمسألة الباب ، اذا أصبحوا امام واقع وأمر أهم هو وقاية انفسهم من الموت الداهم وقبل ان يغادر حاكم شيراز البلد اشترط على حضرة الباب الخروج منها ، فاجابه الى ذلك قائلا: (لامناص من الهجرة والسفر الى بلاد أخر حيث كانت الهجرة ولم تزل احدى سنن الانبياء . وقد قال السيد المسيح : لاحرمة لنبي في وطنه .) وعقب ذلك ودع حضرته الخال ، ونزح عن المدينة قاصداً شطر اصفهان ، وبمعيتـه السيد حسين الاردستاني والسيد كاظم الزنجاني وكان ذلك في شوال سنة ١٢٦٢ هـ



جناب ملا محمد على الزنجاني

كان اعظم علماء زنجان ، وانبابهم في ذلك الزمان ، ملا محمد على الملقب بحجة الاسلام ، والذي عرف فيما بعد بين البهائيين بعنوان (الحجة) باطلاق .

وكان من الاسرات القديمة العريقة في النسبة الى العلم والتقوى مروجاً للشريعة الاسلاميـــة على مذهب الشيعة ، وامضى ايام الشبيبة بالاعتاب [١] الكريمة في تحصيل المعارف والعلوم ، ولم يكن من تلاميذ الشيخ والسيد ، بل تلقى علومه على مشايخ آخرين وبما أنه كان مطبوعا على محبة العلم وأهله ، على اختلاف مشاربهم ونحلهم ، لم يبد منه تعصب مانحو الطريقة الشيخية .

وبعد ان قضى طور الشبيبة بالعتبات العاليا ، واكمل التعليم والدرس ، ازمع الاوبة الى موطنه . ولم يلبث ان ودع الروض الحسينية بالزيارة وشرع في الاياب . وفي غضون سفره اجتـــاز بلدة « بروجرد » فخف للاحتفاء به اكابرها وعظماؤها ، ورفعوا اليه رجاءهم في الاقامة ببلدهم ليقتبسوا من انوار علمه ويستنيروا بضوء عرفانه ، وليكون ملاذهم وموئلهم في المهمات الدينية والشرعية . فاجابهم الى ملتمسهم ، واقام برهة اقبلت عليه فيها الاهالي ومالوا اليه وطفقوا يقلدونه ويتأسون به ، حتى لم يبق لسواه

---

(١) يعني في مدينتي النجف وكربلاء

من العلماء كلمة ولا امر ولا نهي .

ولكن لم يتصرم على ذلك الا قلائل من الايام ، حتى وفدت عليه جموع اهالي زنجان على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ، وسألوه العودة الى وطنه ومسقط رأسه ، ملحين عليه في ذلك كبير الالحاح ، فاجاب سؤلهم ورجع الى زنجان . وعند وصوله رتب حلقة الدرس والافادة وصارت الطلاب تختلف اليه فى كل يوم وتستقى من طامي علمه وزاخر فضله وأدبه .

وبينما هو جالس ذات يوم في واسطة حلقة الدرس ، يحدث ويبحث ويفيض في الشرح والايضاح ، اذ حضر اليه شخص مجهول وقدم لحضرته صحيفة ، فما وقع نظره على مسطورها ومخطوطها وتفرس في فحواها ومضمونها ، حتى بدت عليه حال غريبة ، وقام واقفاً بكل احترام وأدب وتلا الصحيفة ثانية ثم جلس ، وعند جلوسه اعتذر للطلبة وفض حلقة الدرس فاخذت الطلاب تتهامس فيما بينهم وتتساءل قائلين: (ياترى من هو هذا القادم وماذا عساه يكون المغزى من ذلك الكتاب الذى قلب حال الاستاذ وابتز زمام الاختيار من يده ؟) .

اما جناب الحجة فانه بعد ان انفضت جماهير التلاميذ ، دعا اليه زمرة من خواصهم وكشف لهم عن سر تلك الرسالة قائلا : (ان هذا الخطاب هو توقيع من السيد الباب وهو يدل على ان السيد ذو مقام سام رفيع ، وبما ان ميقات الظهور قد حان واقترب

وقد كنا في ترصد ارتفاع صوت النداء الى الآن ، فحتم علينا ان نجاهد في سبيل هذا الامر المبارك ونتجافى عن التقاليد والتعصبات ونتمسك بذيل آل الله ، عسانا ننجو بفضل من الله عز وجل من دآدي هذه الخلافات التي لامرساة لها ، ونفلت من اقفاص العوائد الشائخة البالية وحنادس الموهومات التي احدقت بالاسلام من جميع الجهات) .

فلبى اشارته فريق من الحاضرين . وعند ذلك سطر عريضة ورصعها بابيات الخضوع والخشوع وضمنها بضع مسائل من مكنونات سره ، وبعث بها مع رسول من اخصائه نحو شيراز .

وبينما كان سيل الانبراء والتصدي للبابيين آخذا مأخذه من الجريان ، وضوضاء الضغط والاضطهاد والقمع بالغة الى اقصى مكان ، والعيون والارصاد مبثوثة في كل الاقطار والارجاء ، اتفق وصول ذلك الرسول ، فقبض عليه وسيق الى السجن . وبعد ان وقفت رجال الحكومة على سر مأموريته قتلوه بصورة تفتت القلوب والاكباد .

ومن الغريب ان هذا الشهيد الذي كان يدعى (محمدا) على الارجح الاغلب ، اغفلت الدواوين المدوّنة في شهداء هذا الامر ذكره ، وجهل البهائيون أمره . (قال المؤلف) وعندي ان لقب الشهيد اذا كان يطلق على انسان فكم بالحري ان يطلق على هذا الرسول ، ذلك لانه قتل مظلوما باقسى ضروب العسف والحيف

في حين انه كان بريء الساحة ، نقي الجيب ، لاذنب له بوجه من الوجوه ، ولكن ربما عذل العاذلون غير مليم ورب ملوم غير أثيم ولا ذميم . ثم ان الرسول الذي جاء بتوقيع حضرة الباب الى جناب الحجة كان توجهه (حسبما هو معلوم) بامر من الحجة نفسه فانه ، عند ماوصل النداء الى مسامعه اوفد سفيراً أمينا مع كمال التستر والخفية الى شيراز ، لتحقيق هذه المسألة وتمحيصها ، وثاب الرسول وهو مخف أمره فلم يعلم اسمه . وليس ببعيد ان يكون هو نفس الرسول الذي اوفد ثانية وقتل بشيراز .



قدوم حضرة الباب الى اصفهان

وحاكمها منوچهرخان معتمد الدولة

لما خرج حضرة الباب مع السيد حسين الاردستاني والسيد كاظم الزنجاني من شيراز منتحيا سمت اصفهان ، كتبت وهو في طريقه اليها توقيعاً الى معتمد الدولة حاكم اصفهان ، شرح له فيه قضيته وكيفية هجرته وعرض عليه اختيار نزل يليق به .

وكان معتمد الدولة هذا من دوحة ارمنيـة ، جديد العهد بالاسلام ، ذا أخلاق شريفة وصفات حميدة منيفة ، على جانب عظيم من العلم والفضل ، وله من الارتباط بالسادات والاشراف امتن الوشائج . وفضلا عن ذلك كان ارقى ابناء وقته خبرة بتدبير الامور السياسية ، وله آراء صائبة وافكار نيرة سامية ذا مكانة عظيمة عالية وحظوة و كلمة نافذة لدي السلطان محمد شاه. فلما اتصل به التوقيع المبارك نهض في ذات اليوم فلقي امام الجمعة (مير سيد محمد) وشرح له واقعة الحال ، ورأى من الاليق نزول حضرة الباب ضعيفا بمنزل ذلك السيد ، فلم يرفض ام الجمعة مرتاه هذا بل تلقاه بالقبول والارتياح . وعند ماتم بينهما امر الاتفاق على ذلك ارسلوا من أخبر الباب بهذا القرار ، ودعوه للحضور والنزول بالمكان الذي اعد له.

ومما اتفق وقوعه في تلك الايام ايمان انسان يدعى (ملاجعفر المغربل) بصورة غريبة وقصة عجيبة . وتفصيل الخبر أن هذا الرجل كان يحترف بغربلة الحنطة ، ولذا عرف بهذا النعت واشتهر به ، ففي الليلة التي وصل فيها حضرة الباب الى أصفهان ، رأى في عالم الرؤيا (أن موعود الاسلام قد ظهر وشرف اصفهان وانه هو تشرف بحضرته المباركة) وكانت صورة الشبح الذي تمثل له في ذلك المنام والشمائل التي رآها لا يغيبان عن ناظريه طرفة عين. فبينما كان ماضياً الى محل عمله في صباح تلك الليلة ، واذا به قد صادف حضرة الباب داخلا الى البلد ، فتفرس في الحضرة ، وصار في عجب واندهاش ، لانه رأى نفس الشبح الذي رآه في رؤياه . ثم أخذ يسأل عن اسم حضرته وعن احواله ، وبعد ان وقف على جلايا مدعياته وعاين أخلاقه وصفاته ، لم يلبث ان اعتنق الايمان واشتعل بنار التصديق والايقان ، بحيث انقطع بقية حياته لنشر الامر وتبليغه ، الى ان استشهد بقلعة الطبرسي ضمن الثلاثمائة والثلاثة عشر الذين استشهدوا فيها .

ولنعد الى اصل الموضوع فنقول :

بعد ان اقام حضرة الباب بمنزل امام الجمعة بضعة ايام وتباحثا في عديد المباحث ، أخذت امام الجمعة الحيرة من حالات حضرة الباب ، فطلب منه تفسير سورة (والعصر) قائلا : لقد سمعت بانكم تفضلتم بتحرير تفسير لسورة «الكوثر» للسيد يحيى الدرابي

لاقامة الحجة او اطمئنانه ، واني لا كون أيضاً في غاية الشكر ان والامتنان اذا تفضلتم على هذا الحقير بتفسير سورة « والعصر » فمنذئذ طلب حضرة الباب احضار القلم والقرطاس، وكتب تفسيراً جامعاً لهذه السورة المباركة بحضور امام الجمعة نفسه وجمع من اعلام العلماء ، حتى ادهش جميع الحاضرين . ومنذ هذا الحين امتلأ امام الجمعة باجلاله واحترامه ، وصار يمجده كل التمجيد لحضرة معتمد الدولة ، ويلقبه بالسيد الجليل العلي القدر ، فجاء المعتمد بنفسه لزيارته ، والتمس منه تحرير رسالة في اثبات النبوة الخاصة[1] اذ كان من المعلوم بين علماء الاسلام وعورة هذه المسألة وانها من أعضل المسائل وأدقها واصعبها اشكالا ، فكتب حضرته في ذلك المجلس عينه كراسة أماط فيها اللثام عن هذه الدقيقة وازاح الاشكال . وعند ماعاين معتمد الدولة ما لبنان الحضرة من سرعة الحركة والجولان ، وما لبيانه من شدة الجريان ، وتعمق في معاني الشرح والتقرير ، لم يتمالك ان انجذب جد الانجذاب ، وأقر معترفاً بان حضرته من أجل ارباب الوحي والالهام .

ومراعاة لما كان عليه الناس من القيل والقال ، وما كان يظهره البعض من اللجاج وسوء المقال ، قر القرار على تشكيل مجلس للمناظرة وسماع احتجاجات العلماء ، يحضره حضرة الباب ايضا ، حتى ينتهى هذا الامر بسلام ، وتنحسم مادة المراء واللجاج

(١) اي نبوة محمد بن عبد الله صلعم .

والخصام . وتستبين منزلة دعوى الباب من الصدق أو الكذب وتعلم الحقيقة وتتضح لدى الخاص والعام . وتقرر أن ينعقد ذلك المجلس بمسجد الشاه أو بدار الحكومة . وكان المدبر لهذا التدبير معتمد الدولة وامام الجمعة . ولما عرضا هذا الرأي على حضرة الباب رأياه في غاية القبول والتأهب ، وكمال الاقدام بلا تردد على المناظرة ومما زاد في سرورهما ان العلماء قبلوا هذا الاقتراح ، ووقع منهم موقع الرضى والاستحسان ، ووافقوا على وجوب النظر في هذا الشان . وكاد يتم ذلك لو لا ان ملا محمد جعفر الآباده ئي ورهطا معه ، بدا له التطير من هذا المشروع ، ونزغ فيه الوهم ، وبات قبل حلول الاجل المضروب للمناظرة يسعى لنكث حبل الاتفاق وافساد هذا القرار ، وطفق يحرش العلماء على الاحجام عن تنفيذه والحنث بعهودهم ، وذلك انه بعد ان اشبعهم تبكيتاً وتأنيباً في مجلس ضمهم قال : (انكم بهذا القرار ارتكبتم غلطاً فاحشاً وشططاً بعيداً لان الامر لا يخرج عن احتمالين : احدهما ان تلزموه الحجة بالدليل والبرهان ، والثاني انتصاره عليكم . ففي الحالة الاولى لا فخر لكم ولا يزيد ذلك في درجة اعتباركم ، اذ يقال ان جمعاً من كبار العلماء ألزموا الحجة وافحموا شاباً تاجراً لا تحصيل له ولا علم . وأما في الحالة الثانية فان درجتكم تسقط ، ويزول كل ما لكم من الشان ، اذ يقال ان شاباً تاجراً لا علم له قد افحم هيئة كبار العلماء . وعندذلك ينفتح الطريق للباب ودعوته وتوصد جميع ابواب الانتقاد في وجوهكم .)

ولما كانت مسألة منتظر الاسلام في نظر العلماء كسائر القضايا الاصولية أو المباحث الكلامية ، صغوا الى ملا محمد جعفر هذا ، وسمعوا وأطاعوا لمشورته ، وجنحوا عن الحضور بمجلس المناظرة ، فلم يتحقق ذلك المشروع السامي الذي كان الوسيلة الوحيدة لرفع الخلاف ودفع غوائل الشقاق والاختلاف . فلا جرم بقي أمر الباب متواريا بحجاب الاجمال والابهام .

فلما دعا حضرة المعتمد جماعة العلماء للوفاء بالعهد ، وطالبهم بانجاز الوعد (وكان لسان حاله يقول : انجز حر ما وعد) اجابوه بهذه الاجابة : (نعم ان من الواجب اللازب إجراء البحث والمناظرة اذا كان في أمر منتظر الاسلام شبهة أو مرية . وبما ان لنا طريقة معينة في أمر منتظر الاسلام ، وليس لدينا ادنى شك فيها ، فلا حاجة ثمت الى المناقشة والمباحثة والزام أمثال هذا الشخص الحجة . وانما الدواء الوحيد لارباب هذه المدعيات هو السيف والتكفير والتدمير) اهـ .

وبذلك امسى هذا القرار في خبر كان ، وحفظ في حيز النسيان .

نعم جرت مقابلة غير رسمية بين حضرة الباب واثنين من العلماء بين يدي معتمد الدولة وامام الجمعة . وهذان العالمان هما قا محمد مهدي الكلباسي الذي كان ذا علم وفضل واجتهاد ، ولكنه في آن واحد كان رجل صدق وظرف وفكاهات مضحكة كانت تتناقلها الشيعة ولا سيما مريديه ، ولم يزل اهل ايران يتفكهون بتلك

النكات في محادثاتهم. والعالم الآخر هو آقا ميرزا حسن النوري، وكان هذا أيضاً عالماً فاضلاً منسوباً للاشراقيين، وأكبر حذقاً من زميله الكلباسي في ادراك المعقولات: ولما اجتمعا مع حضرة الباب بذلك المجلس اللارسمي، دار البحث بينهم حول عدة مسائل، فألقى الكلباسي سؤالاً مضحكاً يدل على بساطة الرجل وسذاجة سريرته، قائلاً: (ياسيدي أنت مجتهد أم مقلد) ولا يخفى على بني العقل والادراك ان مثل هذا السؤال عديم المناسبة، فاقد اللياقة والارتباط بالموضوع، ومن الاغرب صدوره من عالم مثل هذا.

فان مثل المسئول والسائل في مثل هذا التساؤل، مثل رجل ادعى السلطنة وقال ان قوانين الاولين من السلاطين، قد انطمست معالمها وتشوهت مراسمها، فجئت لاضع من القوانين والقواعد ما ينطبق على حالة الوقت، ويوافق المجتمع، فهب موظف من اتباع السلطنة القديمة وأخذ ينقد القوانين الجديدة قائلاً له: (هل أنت موظف او رعية)

فمن المفهوم المعلوم ان السلطان يضرب بمثل هذا السؤال عرض الحائط، ويهزأ بقائله ولا يعتبره لا ثقاً بفهم القوانين والنظم الحديثة، ومن ثم لم يرد حضرة الباب على سؤال الكلباسي بشيء، ولا أعاره التفاتاً. وكان المعتمد وامام الجمعة في غاية الامتعاض من هذا السؤال، وأشارا الى ما فيه من الحط بكرامة السائل. ولما رأى آقا

ميرزا حسن النوري ان سؤالا كهذا لم يكن لائق الصدور من منبع كمال كالكلباسي ، اجتهد في سد هذا الباب ، وتحويل مجرى الحديث والبحث الى ما يوجب تناسيه والتغاضي عنه ، فالقى جملة أسئلة من فن الاصول وبعض أقوال ملا صدرء فاجابه حضرة الباب باجوبة مقبولة ارضاه بها ، حتى ظهر منه الخضوع واعترف بفضل حضرته واحاطة علمه . وفي أثر ذلك خطر للكلباسي سؤال أكثر لياقة وعلاقة بالموضوع ، فالقاه قائلا :(هل تختص الكلمات الالهية والخطابات الربانية ، والآيات القرآنية ، بمن كانوا حاضرين في عهد الرسول أو تشمل الغائبين أيضا) فاجابه : (ان الحضور والغياب من شئون عالم الامكان ، واما عالم الوجوب فمنزه مقدس عن عن كل ذلك .)

وهنا لا ندري هل الكلباسي لم يفهم مغزى هذا البيان ، أو فهمه حسب ذوقه وبمقدار طوقه ، فأجاب حسب فهمه . وكيفما كانت الحال فانا نذكر جوابه للحضرة ، وذلك هو قوله : (ان للمرحوم والدي رأيا يخالف هذا) فما كاد المعتمد يسمع هذا الجواب حتى تمالكه الضحك وأخذ يقهقه ساخراً . وارفض المجلس في ختام ذلك .

فمن هذه الارتباكات والاضطرابات والفوضى والتخبط وأشباهها ، اتضحت حقيقة العلماء ، وتبين للصغير والكبير والامير والحقير ، أنهم كانوا على عجل ، ومن قبل ان يحيطوا خبرا بطرف ،

من أمر الباب ، يغضون من شأنه ويخالونه غير لائق ولا جدير بالبحث والتحقيق ، بل يزعمون انه أقل منزلة من ان يعار جانب الفحص والتنقيد ، ولا يرون بانفسهم حاجة الى الجد والسعي في هذا الصدد ، رامين الى الاحتفاظ برئاستهم وسيادتهم ، فرحين بما عندهم من العلم .

وبعد هذه الأمور والشئون اخذت جلبة التكفير ترتفع من كل مكان ، حتى اوجس من حدوث ثورة تمس اضرارها حضرة الباب والاحباء الموجودين بالمدينة . ولم يقف هذا السيل المنهمر عند هذا الحد بل هب العلماء فنشروا الفتوى بكفر الباب ووجوب قتله .

ولما تفاقم الامر الى هذا الحد ، واستشرى الفساد والشر ، لجأ حضرة المعتمد الى وسيلة سكن بها الهياج ، وهي انه أذاع خبراً بأن أمراً شاهانيا ورد عليه من طهران يتضمن استدعاء حضرة الباب الى العاصمة . ثم تظاهر بالشروع في تنفيذ هذا الامر ، فأركب حضرة الباب جواداً وأرفقه بثلة من الموظفين كحرس ، وأخذوا في المسير مجتازين قلب المدينة وخرجوا منها الى الطريق المؤدي الى شطر طهران . ولما وصلوا الى نقطة (مورجه خورت) التي لاتبعد عن اصفهان الا بمقدار مرحلة واحدة ، كروا راجعين بالحضرة سراً الى اصفهان ، وأدخلوه منزلا يقال له «عمارة خورشيد» كان مخصصاً لخلوات رجال الحكومة .

واعتنى معتمد الدولة بأمر الرعاية والمحافظة لحضرة الباب ، عناية خاصة ، وكان يباشر بنفسه القيام بواجبات خدمته ، وبلغ اهتمامه بالحضرة وخضوعه له الى حد انه كان لايكاد يفرغ من عمله حتى يسارع الى الحضور ، فاذا مثل بين يدي الحضرة يأبى الجلوس مالم يصدر اذن له بذلك ، وانه توسل اليه بما لا مزيد عليه من التوسلات في الاقتران بفتاة من أسرة « ملا رجب علي » فاقترن بها حضرته ارضاء له .

وبقي أمر الباب على هذا الحال من الاختفاء والاكتتام ، نيفاً وأربعة أشهر ، لم يتشرف في خلالها أحد بالمثول بين يدي حضرته خلا المعتمد ولفيف من أخصائه وقليل من الاحباء . ومنذ فاتحة هذا التدبير الى مرور هذه البرهة شاع وذاع الخبر بين الناس بسفر الباب الى طهران، وكان الجميع مقتنعين بذلك تمام الاقتناع.

وكانت المدة التي أقامها حضرة الباب في اصفهان عبارة عن زهاء ستة شهور على وجه التقريب . منها أربعون يوماً أمضاها بمنزل امام الجمعة ، وأربعة شهور وبضعة أيام قضاها في دار المعتمد الخاصة . ولكن لم يكن حضرة الباب في خلوته هذه ساكتاً عن تبليغ الامر ، بل كان في كل ليلة يفيض بالبيانات والمواعظ والتعاليم على الاحباء الذين كانوا يتشرفون بحضوره المبارك سراً بتوسط أخصاء المعتمد . ومن زمرة الذين نالوا شرف اللقاء بحضرته في دار المعتمد الخاصة « الحاج محمد اسماعيل التاجر » وكان هذا

الرجل قد تلاقى قديماً مع المرحوم الشيخ احمد الاحسائي في احدي رحلاته الى مكة ، وسمع خطاباته واقتـدى به في الصلوات ، واقترب منه بالاخلاص في مودته ومحبته ، حتى أصبح من أخص مريديه . وكان الشيخ يبشره على الدوام بالظهور ، ويشير له بمثل قوله : (ان أيام الانتظار على وشك الانتهاء ، وليالي الهجر قد أشرفت على شفا الاختتام والانصرام) وبمثل ترتيله على مسمع منه قول التنزيل : (والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس) وينوه له عنه بقوله : (ان الموعود صار على الابواب ، ففي القريب العاجل يظهر باب العلم الالهي ، وسيقسم لك بزيارته والاحتظاء بلقائه نصيب ، فاذا تم لك ذلك فاقرئه مني السلام)

ولما كانت كلمات ذلك الشيخ الجليل ثابتة في ذاكرته ثبوت النقش في الحجر ، وكان مقتنعاً تمام الاقتناع بصحتها وصدقها ، ظل مرتقباً من حين الى آخر ارتفاع تلك النغمة الروحانية . وحينما كان حضرة الباب في اصفهان ، سعى الحاج المذكور بليغ السعي في الوصول الى التشرف بالحضرة ، وكان يعتقد ذلك فوزاً مبيناً له ونعمة كبرى . وفي النهاية بعد عظيم السعي ، تيسر له الفوز بهذا المنوال ، وتشرف بالباب في منزل المعتمـد الخاص . وقد روى الحاج المذكور كيفية تشرفه في المرة الاولى ، فقال : (حينما دخلت على حضرة الباب رأيت أمراً غريبـاً في بابه ، وهو ان حضرته كان جالساً في صدر المجلس ، ومعتمد الدولة واقف بين

يديه ، فملاحظة لعلو مقام الحاكم ، واعتباراً لمقتضى الرسوم ، أخذت في اجراء مراسم التعظيم والتواضع لشخصه ، ورغماً عن توجيه حضرة الباب الخطاب إلي بقوله : (بسم الله ياجناب الحاج تفضلوا) لم أتجاسر على الجلوس ، لان المعتمد كان واقفاً ، ولكن المعتمد لم يلتفت إلى ما قمت به نحوه من الاحترام أدنى التفات ، لما كان عليه من الانجذاب والتوجه نحو الحضرة . ولما تفضل حضرة الباب ، وقال للحاكم : (يا جناب المعتمد تفضلوا واجلسوا كي يجلس جناب الحاج أيضاً) جلس المعتمد في أخريات المجلس ، وجلست أنا أيضاً ، فمنحني حضرته التفاته الكريم ، وسألني عن تفاصيل سفري للحج ، ومقابلتي للشيخ احمد الاحسائي ، فأنهيت لحضرته كل ماكنت رأيته وسمعته ، فتفضل وقال : (نعم ان المرحوم الشيخ تكبد عظيم المصاعب والمتاعب حتى وصل الى مقام المكاشفة والشهود ، وحقاً انه خدم في سبيلنا) وبعد أن تفضل حضرته بالابانة والايضاح والافصاح عن جملة مسائل أمرنا بالانصراف — انتهت رواية الحاج .

ومن اتفاقات الصدف وقضايا القدر ، ان تلك الايام كانت خواتم حياة المعتمد ، وقد ازداد فيها ولهاً وشغفاً بالحضرة ، حتي لم يبق له أمل في الدنيا ولا مطمع سوى خدمته والقيام بتأدية الواجبات نحوه . وفي ذات يوم أتى بصندوق ملؤه الجوهر ، وقدمه لحضرة الباب فرده حضرته اليه . وكان المعتمد يكرر كثيراً

على مسامع الحضرة أمنيته قائلا : (اذا كان هناك أمر بالجهاد ، فأرجوكم أن تقرروا ذلك ، حتى أقوم مع عائلتي وجميع من حولي بهذا العمل ، ونسارع الى ميدان الجهاد والقتال ، أو أسافر الى طهران وأتذاكر مع محمد شاه وأبلغه الامر ، وكيفما كان الحال أرجو أن تأمروني ، لاختتم خدماتي الصادقة الخالصة في سبيلكم وسبيل اعلاء هذا الامر المبارك الكريم . فكان جوابه له قوله : (ان الوسيلة الوحيدة والاسباب التي يمكن بها اعلاء هذا الامر ليس الا دماء الشهداء المقدسة وتحمل المظالم الكبرى)

ثم لم يمض قليل من الايام حتى مرض المعتمد ، ورحل الى جوار الواحد الصمد . فصدرت الارادة الشاهانية بنقل رفات ذلك النبيل (الثقة الذي كان حاملا أيضاً للقب تاج الوزراء العظيم) الى مقبرة « بلدة قم » وأن يدفن بقرب رمس الخاقان المغفور له فتح علي شاه ، بكل اجلال وحفاوة واكرام ، وأن يشاد له مقام فخيم يليق به ، وقد كان ذلك .

ان جناب هذا المعتمد المغفور له ، أحرز بين البهائيين بخدماته الصادقة مقاماً رفيعاً ومنزلة عالية ، كالذي كان عليه في القديم بين المسلمين ، بل نزل باسمه لوح زيارة [1] نال به الفخر الابدي . وكانت وفاته في أواخر ربيع الاول من سنة ١٢٦٣ هـ .

---

(١) من قلم حضرة عبد البهاء . ولوح الزيارة هو عبارة عن كلمات تقرأ على المرقد لرفع درجات الميت. (المعرب)

مغادرة حضرة الباب

مدينة اصفهان وأسبابها

كان للمرحوم معتمد الدوله ابن أخ يدعى (كركين خان) ينتظر وفاة عمه بفارغ الصبر ، ويعد أنفاس حياته ، ويترقب أفول عزه ، ليستولي على التراث ، ويصبح من أرباب الوجاهة والعظماء . وعلى حين علمه بقوة اعتقاد عمه بالباب ، وعظيم محبته له وتعلقه به ، سكر بخمرة الشباب ، وتهافت على الدنيا ، وانخدع بزخارفها ، وأذهله ذلك وأنساه عن المهام الروحية والاخطار الاخروية ، بل نبذها ظهريا واتخذها شيئاً فريا .

وبعد وفاة المعتمد سود تقريراً مطولا حشاه بالتفاصيل عن تلك الحالة التي ظلت مكنونة كل تلكم المدة ، ورفعه الى الوزير الاعظم الحاج ميرزا أقاسي بطهران يسلك في ذلك مسلك الملق ، ويبتغي التزلف الى الدولة والحكومة وترشيح نفسه لمناصب الحكم فجاءه الرد من الوزير المذكور يأمره فيه بارسال حضرة الباب على جناح السرعة بزي التخفي والتنكر ، الى عاصمة المملكه مرفقاً بمن يعتمد عليهم من الجند والحرس في أمر التشدد والتصلب . فحضر كركين خان الى حضور حضرة الباب واعتذر له قائلا : (قد ورد خطاب من طهران يقتضي حضوركم اليها ، ويتعذر علي أن أحافظ على حضرتكم محافظة عمي .) فلم يهتم حضرته بكلامه

بل لفت عنان المطية ووجه الركاب نحو طهران ، وقال لخواصه : (ان كركين خان قد طمع في الرئاسة والمراتب ، واغري بالسيادة والمناصب ، فقدم تقريره الى مقر السلطنة على انه ان يدرك بغيته) ثم مضي لطيتة تحت حراسة الخياله النصيرية وضغطها .



المنكرون والمدبرون في الدورة الاولى

يجدر بنا بعد ان أتينا على اطراف من سيرة المؤمنين ، والمقبلين على الامر في دورته الاولى ، ان نأتي بنتف من احوال المنكرين ، وأخبار المدبرين ، في تلك الدورة أيضاً .

كان الحاج ميرزا أقاسى الوزير الاعظم ، في طليعة من أنكر هذا الامر ومقدمة جيش المعرضين عن قبوله . وكان ينبوع التعصبات والفتن ، والمنازعات والقلاقل والمحن ، وسبباً لتدخل الحكام والعوام في القضية البهائية حلا وعقداً . ومن اليقين ان ذلك لم يكن إلا لاحد أمرين لابعد ، وهما : إما سوء التدبير وقلة التبصر في شئون الملك ومصالح الجمهور ، واما الجمود والصلابة في الحفاظ على التقاليد والعقائد . وعلى كل حال فان ماأتى به من الفعال والمآتى ، افضى الى سوء التفاهم بين الأمة والدولة الايرانية وبين هذه الطائفة (البابية) واوقع في أوهام العوام ، والحكام والقوام ، والرئيس والمرءوس ، والسائس والمسوس ، ان هذه الطائفة خارجة عن دائرة الطاعة ، مائلة الى ماليس في مصلحة الدولة والمملكة ، وجرأ العالم والجاهل على ارتكاب افنان الاضطهادات من قتل ونهب الى أمور أخرى ليست في نظر الامم الا وحشية وحيوانية . ولنذكر للقراء طرفاً من ماضي حياة هذا الرجل ، فنقول :

ولد الوزير المذكور في مدينة تبريز من اب أصله من بلدة « خوى » وكان في عهد « فتح على شاه » يحترف تعليم صبيان اكابر تلك المدينة (تبريز) وهو بزي اهل العلم والفضل من التعمم وتوابعه . وكانت بضاعته من العلم مزجاة ، ومعلوماته من التفاهة والضعف في غاية ، وتنحصر في حفظ شيء من مصطلحات المتصوفة ، ونذر طفيف من مبادىء العربية والأدب .

وكان رجل هذر ومزح ، وحليف مجون ، حافظا للعدد العديد من الاقاصيص الفكاهية المضحكة والازجال ، يتشدق بها في كل مجلس ليضحك بها الحاضرين . وكانت حكايات مثل هذه ، تشاكل كل المشاكلة لقيافته المضحكة الملفتة . وسوى ذلك كان في عنفوان الامر فقيراً معدماً وغاية في العوز والاملاق والضنك والشظف .

وفيما هو كذلك ازمع على الحج الى البيت الحرام . ولما لم يكن في حيازته مايكفيه من المال للقيام بهذه المهمة ، اعتمد الذهاب مشيا على الاقدام . وصادف في طريقه قافلة « عزة النساء هانم » ابنة فتح على شاه ، فكان من حظه ان رافق هذه القافلة . وكانت هذه الاميرة الجليلة العلية القدر على جانب عظيم من الجمال والكمال ، والرفعة والجلال ، وهي حرم الامير تومان الذي احترق قلبها لوفاته فدفعاً لما اصابها وحاق بها من الفجيعة والالم والغم والحسرة التي بغضت اليها الاقامة بالاوطان ، سافرت باجازة سلطانية نحو البيت

الحرام ، بخدمها وحشمها وقافلة تامة العدد والعدد وكان أناس من خدم الاميرة يستدعونه الى الحضور ، ليقص عليهم احاديث من مضحكات الاقاصيص ، وينشدهم من رقائق الشعر مايخفف من جوى الاميرة ويسكن من ثائر شجنها حينما تسمعه من وراء حجاب .

وبهذه الذريعة والحيلة فتح له باب الارتزاق . فكانوا يطعمونه من اطعمة الحاشية ويركبونه في بعض الاحايين ، تخفيفاً عليه من مشاق المشي . ولم يمض على ذلك زمن ما ، حتى شام برق الطمع ، ووسوست اليه نفسه بامكان الاقتران بالاميرة . فبدأ يسمع خدمها ذلك مازجا الجد بالهزل قائلا : (قولوا للهانم انك لاتزالين في شرخ الشباب ، ولا بد لك من الزواج في يوم من الايام، فهلا تختارينني انا ، فانه ليستحيل عليك ان تصادفي زوجاً اكمل مني والطف ، فانني منقطع النظير والمثال ، في الجمال والمال ، وسعدي كل يوم في ازدياد واقبال) فأثر هذا المزاح الثقيل على مزاج الاميرة الرقيق اللطيف ، واعتبرته من الوقاحة وسوء الادب . وأمرت بضربه وطرده من القافلة . فضربوه حتى اغمي عليه واشرف على العطب ومضوا وتركوه . وبعد ان عاوده صوابه استأنف السير ، واستمر في طريقه نحو البيت الحرام ، ماشيا على الاقدام ، باكيًا منتحبا ، الى ان قدر له الوصول . وبعد اتمام المناسك اخذ وجهته الى المدينة المنورة ، قاصداً الحرام النبوي ، واوثق نفسه بالضريح المطهر ،

أخذيبكي وينتحب، وينشج ويعول، ويتطلب من الله الرحمة ونيل الارب ، ثم ارتد راجعاً الى بلاده . وفي ثنايا مرجعه الى ايران عرج على العتب المباركة بكربلاء، وتظاهر بالمحبة والولاء للحاج عبد الصمد الهمداني احد المتصوفة المنتحلين للارشاد فتسلم منه الاذن والاجازة بالانقطاع للعبادة، والخلوة والدعاء والمراقبة. واشتغل بالرياضات والاعمال الشاقة، وبعد ان قضي على ذلك هنيهة خف الى تبريز حيث كان محمد شاه حاكماً اذ ذاك وفيها حظي بلباناته ، وازدلف منه، فامسى نديماً وسميراً له في مبتدآت الامر، ثم أصبح اخيراً (المشار له والمشير)

وكان في طالعة امره معلماً ملتحفاً بظواهر الصلاح والتقى، ثم انقلبت به الايام الى ان امسي قابضا على مقاليد سياسة البلاد وتربع في دست موئل الرعايا في صلاحهم وفلاحهم (وهكذا الايام بين بؤس ونعم)

ولما لم يكن «محمد شاه» على يقين وثقة بوصوله الى سرير السلطنة، لما استحكم من العداء بين (عباس ميرزا) ابيه، واولاد فتح على شاه، كان الحاج ميرزا أقاسي هذا الذي بدل اخيرا العمامة بالكلاه الفارسي، وعنوان ملا بلقب ميرزا، يطمئنه ويمنيه ويطمعه بالاماني العالية ويقول له: (لابد من جلوسك اعلى عرش السلطنة) ولما صادفت هذه الوعود والاطماعات صدفة التحقق والوقوع، بوفاة فتح علي شاه، وجلوس محمد شاه هذا على سرير

الملك ، اكتسب الحاج ميرزا أقاسي شأنا رفيعا لدى الملك . ولم يزل يتدرج آناً فآناً في الرتب والمناصب حتى ساعدته الصدف الزمنية والظروف الوقتية ، ووصل به الملك الى مقام الصدارة والوزارة العظمى . هنالك انتبهت امانيه باسرها ، ومنها ما كان يعلل النفس به من الاقتران بالاميرة ، فطلب من الشاه الاقتران بعمته الاميرة (عزة النساء هانم) فاجابه الشاه الى متمناه في الحال . واما الاميرة فلم يكن لها علم باسرار حياته ولم تكن تظن انه ذلك الرجل المجوني الذي ناله من عقابها ومقتها ما ناله ، ولكنها لما سمعت اسم الصدارة العظمى الذي كان يحمله ؛ قبلت ذلك . وكم كان اندهاشها عظيما حينما رأت عفريتاً في شكل رجل ، يدخل عليها ، على انها استسلمت للقضاء والقدر .

وكان من مغبات هذا الزواج ان اصبح الحاج ميرزا اقاسي ارفع مقاما واجل اعتباراً لدى الملك من ذي قبل ، وغدا نديمه الخاص وصديقه الحميم لا يزايله ليلا ولا نهاراً ، وباتت البلاد الايرانية التعسة في قبضة تصرفه المطلق واستبداده المشئوم .

ولما كان هذا الامير الجليل والصدر الكبير ، حسبما عرفناه عن ماضيه ، مدمنا لمعاشرة العلماء المحترمين ، وحليف مخالطة لمنتحلى الارشاد من المتصوفين ، وكان صفر الوطاب من الدراية بالامور السياسية ، وادارة شئون الرعية ، كما شهد بذلك جمع الساسة وجمهور المؤرخة ، خلط الحكم بالتعصب الديني ، واتخذ الذريعة الوحيدة

لحل مشاكل البلاد بركات هذا السيد وكرامات ذاك المرشد .

ولما انكشفت مسألة الباب وارتفع النـــداء وانتشر في كل الاقاليم الايرانية ، وقع في حيص بيص ، وعجز عن الجري على سياسة مستقيمة ، بل اقتفى تيار المنتحلة لترويج الشرع ، وسار وراءهم ، وقرر سجن المخالفين المعتقدات التقليدية الراهنة ، وطردهم وقتلهم واخذهم بضروب الشكاسه والصرامة ووقف حجر عثرة في سبيل الفحص والتحقيق .

ولم يقع في حسابه اصلا احتمال وجود برهان لدى اولئك المخالفين ، اوحيازتهم لرأي يعود بالخير والمنفعة على البلاد ، وسوى ذلك ان هذا الوزير المستغرب أمره كان رجـــل زعزعة وتخبيط وتخليط ، وأخا تقلب في الآراء وتلون في الافكار ، موصوفا معروفا بذلك .

واليك مثلا مابدا منه في غضون الحركه البابية : فانه بينما كان يرغب الى السيد يحيى الوحيد في أن يوافيه بما يصل اليـه بحثه وعلمه عن هذه الحركة ، اذا هو يصدر الاوامر بارسال الباب خفية الى طهران ، ثم يشفع ذلك توا بارادة أخرى تقضي بحجزه عن الدخول الى طهران ، بل بتعطيل مسيره ووقفه في الطريق ، ريثما يبعث بالبرنامج الذي يجب السلوك على مقتضاه . وبعد ان قدح زناد الفكر ، واحتال على استصدار الحكم الفاصل من الشاه ، ارسل الامر الجزم نهائيا الى المأمورين ، بالتوقف عن السير ، حينما

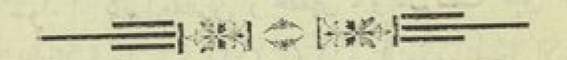
وصلوا بالباب عند قرية (كنار كرد)

وظلوا واقفين في هذه القرية متطلعين ورود الاوامر اليهم .

وطال بهم الوقوف ، بالاخص ، في قرية (كاين) المعروفة في القواميس باسم (كامير) فانهم مكثوا مترقبين نيفاً وعشرين يوما

وكان رئيس الحرس المندوبين للمحافظة على الحضرة رجلا نبيلا يدعى (محمد بك چاپارچي) جذبته روحانية الباب بعض الجذب ، فكان يقوم بما يليق بالحضرة من الحرمة والرعاية والخدمة وخط حضرة الباب في خلال أيام التوقف العشرين توقيعاً الى « محمد شاه » خلاصته : (ان المقصد من حضورنا الى طهران هو الحضور لدى السلطان ، لنتقابل مع العلماء ، وتنتهي بيننا المحاجة والجدال) وندب لحمله اليه محمد بك ، فنال هذا التوقيع بادىء ذي بدء ، قبول الشاه واعتباره ، وصمم على اجراء ماجاء به من المطاب . ولكن ميرزا اقاسى لم يرقه هذا المشروع ، ومانع في تنفيذه برداءة رأيه وسوء تصرفه . وبذل الجهد والمحاولة ، حتى استصدر الارادة الشاهانية بتحويل الوجهة والانعطاف بالباب يم تبريز ، وسوّد خطابا للباب نفسه ، مضمونه : (بما ان الموكب الهمايوني على اهبة الحركة الى شيراز ، فلا تتسنى المقابلة على وجه لائق الآن ، لذا تقرر توجهكم الى تبريز ، وان تقيموا بها برهة ، وقد أصدرنا الامر لجميع الموظفين باحترام جنابكم وتوقيركم وتكريمكم .)

ولما وقع هذا الخطاب في يد الحضرة علم على الفور والبديهه، بان ماوقع كان تحريره بتدبير الحاج ميرزا اقاسي نفسه ، فاسف جد الاسف ، وكان في خطبته المعروفة بالخطبة القهرية يخاطبه مخاطبته لمظهر ابليس ، ويلقبه بهذا اللقب، وانبأ بدنو زوال شوكته وجولته ، وبذلك انذره على ماستنمى اليك مفصلاته فيما بعد .



كريم خان الملقب بالاثيم

ونذكر من عديد الرجال الذين انتهضوا في طالعة الدعوة فدفعوا بانفسهم في حومة التأاب والجرح واختطوا خطط المراء والقدح (الحاج محمد كريم خان) وتشريح ذلك فيما يلي :

لما وقع التعارف بين المرحوم (فتح على شاه) والشيخ الجليل (احمد الاحسائي) واقبل عليه الشاه جم الاقبال، ورغب اليه في الاقامة بالديار الايرانية ، وقدم له الشيخ مقبول الاعتذار والاستعفاء وعاد الى الاعتاب المقدسة بكربلاء ، تحادث الناس عامهم وخاصهم بانتماء الشاه الى الشيخ واحترامه لمبادئه وتصديقه اياها ولهجت الالسن بذلك فسلكت الامراء ورجال البلاط واركان الدولة مسلك الشاه سواء أكانوا مقلدين أو محققين ، وكان ذلك طبق المثل القائل (الناس على دين ملوكهم) واخذوا يحترمونه جل الاحترام ويدعونه باسم الشيخ العظيم ، وكل من ثبت له ادنى علاقة بالطائفة الشيخية كان له مزيد الاحترام لدى السلطان والامراء ورجال الحكومة ، ونخص بالذكر من بين الامراء الذين كانوا على ولاء لتلاميذ الشيخ ومريديه (محمد ولي ميرزا) و (محمد على ميرزا) وان امثالهما لكثير وكان من عقد اولئك التلاميذ الحاج محمد يزرك جد المؤلف :

كلمة عن كبير أسرة المؤلف

كان جد المؤلف من تلاميذ الشيخ المعروفين بالفضيلة والورع وهو من أهالي بلدة (تفت) الشهيرة في البلاد الايرانية بطيب هوائها وعذوبة مائها وتبعد عن مدينة (يزد) بنحو خمسة فراسخ الى جهة الجنوب وفيها آثار قديمة جاء في تاريخ (المفيدي) طرف من الكلام عنها .

وكان الحاج ملا محمد بزرك هذا ، ممن عرك الدهر وحلب اشطره وحنكته تجاريب الايام ونزلت به عدة مصائب ، منها وقوعه في معركة (الحيدرية النعمتية) (١) ابناء تلك العقائد السخيفة التي لم تزل آثارها باقية الى الآن بين اولئكم الرجال المتوحشين — وفراره منهم ولجوؤه الى الاعتاب ، ومنها وقوعه (وهو في طريقه الى الحج) اسيرا في قبضة السنية ونجاته منهم . الى غير ذلك .

---

(١) بدعة خلقها السلاطين الصوفية بقصد القاء التفرقة بين الناس لينصرفوا عن سياسة المملكة فكانت كل بلدة من بلاد الشيعة تنقسم الى قسمين الحيدرية والنعمتية وفي ايام عاشوراء يقيمون العزاء والرثاء « للحسين » فيحدث بينهما بسبب هذه الاختلافات ما لا تزال آثاره باقية الى الآن في المدن الداخلية من ايران « المعرب »

ولما نجا من هذه المخطرة وقضى النسك كر راجعاً ، وفي رجوعه تلاقى مع الشيخ الاحسائي فمال اليه واغتنم صحبته واندمج في عقد تلاميذه ولبث متلمذا له اثنتي عشرة سنة وجنى من رياض افاداته اطيب الثمار والمعارف واقتطف اينع الفضائل والعوارف، ووقف على الكثير القيم من دقائق الدين واسراره . وفي آخر هذا العهد انصرف الى يزد ثم الى موطنه (تفت) وعند رجوعه اقبل عليه الأهلون ايما اقبال واحتفوا به اكرم الاحتفاء، ومحضوه ناصح الوداد ، وخصوه بحسن الرأي والاعتقاد حتى غدوا يعدونه في زمرة الاولياء ارباب الخوارق والكرامات .

ومهما يكن من الامر فان بيت القصيد من هذه الكلمة ان نذكر ما كان له علاقة منها بموضوعنا وذلك هو ان الاهلين دعوا الحاج محمد بزرك الى الامامة الدينية واصطفوه زينة للرئاسة الشرعية ، رغبة في الاقتباس من لآلىء علمه وثمين حكمته . وكان اذ ذاك (الامير محمد ولي ميرزا الابن الارشد لفتح علي شاه) متربعا في دست حكومة يزد ، فلما ان وقع التلاقي والتعارف بينه وبين الحاج المذكور، غدا عظيم الميل اليه معجبا به ، وأخذت هذه الروابط على ممر الايام والليالي تقوى وتشتد ، حتى بلغت بالامير مبلغاً حدا به الى ان صار يقيم مقامه على بساط الاحكام احد ثقاته ويغدو هو الى تفت مع حبيب الله خان رئيس الفراشين ولفيف من الحشم ويقيم اياماً عند الحاج، للارتواء من انهار معارفه ، واستعلامه عن

أحوال الشيخ احمد وأقواله وتمتيع مسمعه بسماع الاجوبة.

وكان الامير يجل الحاج اكبر اجلال حتى كان يقول لرئيس الفراشين (ياحبيب الله خان انه ليجدر بك ان تكنس وتنظف هذه العتبة بلحيتك لان الحاج من خيرة تلاميذ الشيخ المعظم الحاملين للغزير من علومه وأسراره)

ولما كان حبل المكاتبة والمراسلة بين الشيخ والحاج متصلا كان كلما تلقى خطابا من الشيخ أطلع الامير عليه ، وكان الامير يسمع الخطاب بكل قبول واصغاء وميل واقبال ، ولا يزال عند المؤلف الى الآن أكثر خطابات الشيخ المرسلة لجده وجلها باللهجة العربية الفصحى مخطوطة بقلمي النسخ ، والرقعة ، وملؤها فرائد الفوائد ونفائس المطالب ولم تشغل العبائر المتعلقة بالاستفسار عن الصحة والاحوال وأمثال ذلك من الكلم الرسمية التي جرت العادة بتصدير المكاتيب بها سوى سطرين اثنين من سطور الكتاب ، أما سائره فطافح بالشروح الضافية الفياضة بتشريح المسائل الدينية المعضلة وتوضيح المشكلات وفتح المغلقات من كبريات المباحث العلمية .

وجاء في خطاب خطه الشيخ بقلمه وبعث به كتذكار منه الى الحاج وهو موجود للآن لدى المؤلف — هذه العبارات: (لما كانت عويصات المطالب تعترضني في فواتيح العمل أجدني في حالة اضطراب وجيشان متلاطم فكنت أضرع الى الله وأبتهل الى

رحمته وجوده في فتح باب للفرج وكشف السر ففي ذات ليلة رأيت أربعة من الائمة قد تراءوا لي وعلموني أبياتاً من الشعر العربي قائلين لي : (كلما عن لك شيء من المصاعب في البحث والتحقيق فعليك بقراءة هذه الابيات) فمن ذلك الحين الى اليوم صرت اتلو هاتيك الابيات ابان تعترضني المشكلات فتنحل سواء كان عروضها في يقظة أم في منام وتتجلى لي حقيقة الامر ويظهر السر المكنون) اه

ولربما كانت صيغة (سمعت عن الحجة) التي يرددها الشيخ في كثير من مقالاته رمزاً لمصدر تلك الابيات.

وفي سنة ١٢٤٥ الهجرية رحل الحاج الى الملأ الاعلى متوفى بعلة السكتة ، وعند انتهاء نعيه الى مسامع الامير المذكور أرسل رئيس الفراشين حبيب الله خان لتجهيزه ودفنه على الهيئة اللائقة بكرامته ، فقام الخان المذكور باجراء موجبات ذلك ودفنه بمحلة (كرمسير) تجاه المسجد الذي كان المرحوم قد اتخذه معهداً لاقامته وشاد له مقاماً ظلت الاهالي تيممه للزيارة والتيمن به ، ولم يزل ثابت الاركان قويم البنيان الى هذا الاوان ، واسم الحاج المرحوم مدرج في تواريخ القاجارية بين اسماء علماء العصر .

وقد كانت حوادث ، واتفقت وقائع من هذا القبيل ، وكلها شواهد صدق وبينات على ما كان للشيخ من العظمة وسمو الشأن وعلو الجاه لدى الحكام والامراء ولمن ينتسب اليه أو يوثق به لديه .

ولقد كان من ضمن المحبين للشيخ (ابراهيم خان) حاكم كرمان وبلغ من حبه واجلاله له ان ارسل ابنه (محمد كريم خان) إلى كربلاء للانتظام في سلك تلاميذ الشيخ ولما أتم دروسه عليه وقضى القدر المحتوم بوفاته ونقلته من هذه الدار، أخذ يقتبس من خامه السيد الرشتي سائر ما كان ينقصه حتى بات قطبا لمسائل الشيخية ومطالبها.

وفي أذناب ذلك يمم البيت الحرام وبعد ان أدى فرائض الحج عكر على كرمان ومد بساط التدريس والتعليم وجعل يبث من تعاليم الشيخ عن اعتقاد وتوثق بها وطفق في ندوات محادثاته يبشر الناس، الجمهور منهم والامراء والحكام ومريدي الشيخ، باقتراب يوم قيام المنتظر، ولم يفته ذكر هذا النبأ والتنويه بتلك البشائر في مجلس قط. ولما علمت رؤساء قبائل كرمان ان مصدر هذه البشارات وأساسها ما جاء في تعاليم الشيخ والسيد قاموا يعدون العدة للجهاد في ركاب صاحب الزمان حين ظهوره.

ولما ارتفع النداء من شيراز لم يتدخل الحاج محمد كريم خان بشأنه في بادي، الامر، بل وقف برهة يراقب سير الحوادث حتى ذاع من الانباء ماذاع وشاع وملأ الاسماع والاصقاع ووقف الجميع على ما فعلته حكومة فارس من اضطهاد حضرة الباب وتابعيه وتألب العلماء عليه ومدافعة الصدر الاعظم ميرزا آقاسي لهذه الحركة وانحراف الدهماء عن السيد الباب، فلما طرقت آذان كريم خان هذه الاخبار

قام من حينه واعتلى المنبر وقال : (انه بالنظر لهـذا الاثم العظيم والخطأ الـكبير اللذين ارتكبهما السيد الباب بادعائه المهدوية قدوقع البـداء في أمر ظهور المهدي وتأجل ميعاد قيـامه ويجب ان لا نتوقع بعد اليوم حدوث الظهور بسرعة وربما يمتد المدى الى الف سنة أخرى) فعند ذلك انقسمت الفرقة الشيخية الىفريقين، فريق ضرب صفحا عن هذا المقال وأقر واعترف بصحة دعوى البـاب وصدقها وهب لنشر امره وتبليغ ندائهوسموا «البابية»

وفريق آخر صغى الى كلمات (كريم خان) واحتفظ باسم «الشيخية» .

ولم تكف كريم خان المذكور هذه المجاهرة والمشافهةبل جعل يصنف الـكتب والرسائل العديدة ومن جملتها « ارشاد العوام » و (كتاب رد الباب والبابية) ونضح اناؤه بما احتواه من المطاعن وسدد سهام اللعن والسباب الى حضرة السـيد الباب ارضاء لناصر الدين شاه وطموحاً الى اغتنام توجهاته الـنية ، وظل مدمنا ذلك شطراً من الزمان مهموماً بهجاء الطائفة البابية وتـكفيرها ورشقها بتهم الفسق والافـساد، حتى أمسى جرثومة قلاقل وعلة في سفك دماء وازهاق أرواح . وسطا على زعامة الطائفة الشيخية . وأضحى عقبة كؤوداً في سبيل الـكثيرين من أفرادها الراغبين في التعرف بحقيقة امر الباب، وحال بينهم وبين ما يشتهون . واستمرالحال على

هذا المنوال حتى وصل الزمان وآل الدوران الى قيام حضرة بهاء الله وظهوره الى عالم الشهود والعيان .

وبالقسر من ان كريم خان كان عزيزاً في قومه ، صار يلقب نفسه (بالعبد الاثيم) كما جاء في مؤلفاته من نحو قوله : « هكذا يقول العبد الاثيم كريم بن ابراهيم » لا جرم اطلق عليه حضرة بهاء الله في كتاب الايقان هذا الوسم وكأنه ايماض الى انه مصداق قول الرب المجيد في الذكر الحكيم : « ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم » ولهذه العلل والاسباب صار معروفاً بين البهائيين بلقب « الاثيم » .

ولقد تبادل الشيخيون والبهائيون رسائل المناقشة وتجاذبوا أطراف المباحثة في الامر بين مجرّح ومصلح ومنتقد ومجيب ، مما لا مجال هنا للافاضة في ذكره ، بيد انا نأتي على ذكر واحدة منها كمثال مجتزئين بها فنقول : اعترض الحاج عبد الكريم خان في رسالة له على أحد البهائيين في استعماله لفظ القناع . ولما كان اعتراضه هذا غير متجه ومبنياً على سوء الفهم والجهل بالمعنى المراد صدر من قلم حضرة بهاء الله لوح في دحض اعتراضه ، فكان لوحاً بديعاً عزيز المثال جديراً بان ينقش على صفحات القلوب واستهل بهذه العبارة « أيها المعروف بالعلم والقائم على شفا حفرة الجهل » وهو مدرج في أكثر كتب البهائيين المطبوعة ، فلا نرى حاجة بنا الى الاتيان بجملته واستيفائه برمته .

والخلاصة من هذا التبيان ان الحاج عبد الكريم خان المذكور كان أول من استل القلم واطلق عنان اللسان في رد هـــذا الامر والطعن عليه والحط من كرامته ، فلا غرو تتقرر له رتبة السبق والاقدمية في العناد والمراء والاعراض.

ومن آيات الحدثان وبدائع الزمان ان الفئة البهائية يوماً فيوماً في نماء مستمر ، واتساع نطاق ونفوق اسواق ، بالقسر من تجمهر جماهير المعرضين حولها وجدهم في مناوأتها واضطهادها بكل الحيل والوسائل والمكائد والحبائل وبما أوتوا من حول وقوة ، منذ ثمان وسبعين حولا كما سنوضحه في الفصول الآتية حتى يصح لنا القول بانه لا حاجة في تعرف ذلك الى مراجعة صفحات التاريخ فان آثار هذا الامر المستوية في كبد سماء العيان ، ظاهرة البروز في عالمي الانفس والآفاق ، متلألئة وضاحة كالعلم الخفاق.

وبينما نرى البهائية على هذا الحال الساطع والشأن النابه اللامع اذ نجد الطائفة الشيخية رغم اصطفافها وراء مأمن من هجمات التعرض وصدمات الاغارة ، في تدهور متواتر وانفراط متواصل يوماً فيوماً وآنا بعد آن . ولقد أفل نجمها وطاش سهمها بحادثة تافهة وقعت في مدينة همدان حينما قامت عليها الضوضاء ، وقتل من أفرادها اثنان ونهبت أموال البعض ، والاغرب من ذلك ان كريما خان نفسه شكر الله في مؤلفاته على انقراض هذه الطائفة وقال : « لو لا سيف ناصر الدين شاه لوضع البابيون والبهائيون الجزية على

الاسلام ، عفا الله عنه، فقد استحوذ عليه الوهم والخطل، وحتم عليه ان يكون من الغافلين .

والآن بعد ان نقبنا في الظلمات، عن رفات الاموات، والعظام النخرات ، ومررنا مراً بتذكار شرذمة من المعارضين لامر الله . فلنرجع ولنزف الى القراء أنباء المؤمنين ونرصع باسمائهم صفحات البقاء بنور البهاء فنقول :

الحاج ميرزا جاني الكاشاني

في غضون اجتياز الباب بمدينة كاشان ويوم وصوله اليها وهو في طريقه الى طهران سعى الحاج ميرزا جاني الكاشاني ابلغ المساعي حتى تسنى له ان يقابل حضرته ويدعوه لضيافته في تلك الليلة وبذل في ذلك السبيل مالاً طائلا اذ لم يتوطأ له الطريق حتى رشى موظفي الدولة بمائة تومان، فسمحوا له بتلك المقابلة والضيافة . وكان يومئذ بمدينة كاشان ، رجلان من كبار التجار يسمى كلٌّ منهما الحاج ميرزا جاني الكاشاني . ولكن تميزا بينهما دعي أحدهما بالكبير والآخر بالصغير او التركي . وكان للحاج ميرزا جاني الكبير ثلاثة اخوة وهم الحاج محمد اسماعيل والحاج ميرزا احمد والحاج علي أكبر، وكلهم من أعيان أهل كاشان وسراتهم . وقد حظى اولئك الاخوة بجوهر الايمان بالباب عدا الحاج علي أكبر وكان الحاج ميرزا جاني أكبرهم سناً وأسبقهم ايماناً وأبعدهم شهرة

وصيتا يليه في الشهرة والوجاهة الحاج محمد اسماعيل الملقب بالذبيح واتفق هذان الاخوان على كتمان أمرهما . فلم يكن عند امرىء من علم بهما ولا بوقت ايمانهما ولا بكيفية اطمئنان بالهما للامر . وكل ما هنالك ان أناسا كان لهم بعض استشعار بما في ذات نفسيهما من المحبة الخالصة لحضرة الباب ، نم عن ذلك تشبثهما بالاسباب اللازمة لتشريف الحضرة بمنزلهما ، كاعطائهما رجال الحكومة تلك الرشوة الطائلة .

وخلاصة القول انهما نالا ماحاولاه ، واقاما بين يدي الحضرة تلك الليلة حتى الصباح ، ثم سلما جنابه لرجال الضبط فسافر من كاشان ، وعند المؤلف اسماء من حضر وتشرف بلقاء الباب في تلك الليلة من اكابر كاشان ووجوهها ، ولكن نبوّ احفاد اولئك الرجال عن الايمان حدا به الى الكف والامساك عن ذكر اسمائهم تجافيا عن اثارة غضب احفادهم .

وبعد هذه المقابلة التي اشهرت هذين الاخوين بانهما من خاص اتباع الباب استصعب عليهما امر الاقامة بوطنهما اذ أصبحا موضع اضطهاد الناس ، فهاجرا الى طهران وتوطناها الى ان وقعت واقعة قلعة الطبرسي التي سنأتي على تفاصيلها ، واتصل خبرها بسمع الحاج ميرزا جاني فرأى ان فداء هذا السبيل بالروح اولى له واشرف من الضنة بها فجمع مبلغا من النقود واصطحب بعض الامتعة ، وأخذ اتجاهه الى ذلك النحو مع فريق من الاحباء

قصد نصرة الاصحاب وشد أزرهم ، ولكن لم يكد يصل الى القلعة حتى كان الجند قد حاصروها اتم محاصرة ، واحاطوا بها احاطة السوار بالمعصم ، فحيل بينه وبين نيل المراد.

ولما انكشف امره مع رفاقه لرجال الدولة القي القبض عليهم وبعد ان نهبت أموالهم وجردوا من ثيابهم ، اقادهم الجند الى المعسكر حفاة عراة ، وكادوا يقتلونهم ولكن من محاسن الصدف واعاجيب الاتفاق ان احد كبار الجيش كان له سابقة معرفة بالحاج ميرزا جاني ، بواسطة تاجر مقيم بمدينة (بار فروش) له علاقة تجارية بالحاج ، فلما وقعت عين هذا القائد على الحاج امر بارساله الى ذلك التاجر البارفروشي على ان يباع له بار بعمائة تومان فكان ذلك. وفي عقب ذلك سافر الحاج ميرزا جاني الى طهران واقام بها الى ان حدثت حادثة التعدى على حياة ناصر الدين شاه ىالتالية لسنة شهادة النقطة الاولى اعنى الواقعة في سنة ١٢٦٨ هـ ، ولما صدر امر الشاه بعد هذه الكارثة باجتثاث جذور البابية وابادة رجالها ، قبض على الحاج ميرزا جاني فيمن قبض عليهم وسقوا كأس الشهادة في ذلك الحين.



كتاب التاريخ الموهوم

الذي نحل لميرزا جاني

ونذكر بالمناسبة والاستطراد ان من الاخبار والاشاعات المتداولة بين الاحباء ، وجود كتاب في التاريخ الفه ميرزا جاني المذكور ، وضمنه جميع الحوادث المختصة بالامر والتي كان لوقوعها علاقة بشخصه ، ولكن رغم بحث المؤلف الدقيق عن هذا الكتاب رغبة في الوقوف على ماجاء به من الوقائع والاخبار ، ورغم السؤال عنه في كل بلد مرّ به وهو يطوف في الانحاء الايرانية ، لم يعثر من هذا الكتاب على عين ولا أثر ، ولم يجد عند الناس الا اسمه فحسب .

وفي سنة ١٣٢٥ هـ بينما كان المؤلف في قرية جاسب المجاورة لبلدة نراق احدى اعمال مدينة قم ، يبحث مع الاحباء البهائيين عن انباء الامر ، جاء حديث هذا التاريخ ، فقال احد الحاضرين ان لديه منه نسخة وقام من فوره وجاء بها ، ولكن المؤلف الفاها مخرومة من الصدر والعجز ناقصة جملة اوراق ، فلم يعلم من هو مؤلفها . فاخذ يدرسها من بعض اجزائها بكل تأمل وتمعن حتى رأى ان مؤلفها يعزو بعض ماجاء فيها من الاقوال الى الحاج ميرزا جاني ، فتحقق لديه من ذلك ان هذا التأليف ليس من وضع ميرزا جاني نفسه ، ومع هذا فان غرام المؤلف بالاستطلاع وكبير ولوعه

بدرس التاريخ الذي أخذ على عاتقه البحث عنه وجمع شمله ، دعاه الى ان جمع كل ماعزى في هذا السفر الى ميرزاجانى ، ورقمه في اوراق خاصة ، غير انه بعد الدقة ومزيد الفحص والاستقصاء علم اخيرا ان كل تلك الروايات على غاية من الوهن والسقم من حيث المواقيت والحوادث والاسماء ولم ير نهائياً من جمعها ولا من تدوينها اى ثمرة فأهملها .

واليك مثالا مما جاء في هذا التأليف : ذكر مؤلفه ان مقام القدوس كان أعظم من مقام الباب نفسه ونسب اليه الكرامات العديدة ، وذكر اسماء حروف الحي على غير الحقيقة كما سنبينه في حينه ان شاء الله ، هذا عدا مافيه من المسائل المخالفة لكتاب البيان مخالفة صريحة فكانت تلك المخالفة احدى الدواعي لاعراض المؤلف عن العناية بامر هذا الكتاب ، والموجبة لجزمه بانه كتيب مصطنع منحول لميرزا جاني وان نسبته اليه ليست من الصحة في شيء ، وقد تقرر في علم المؤلف اخيرا أنه ليس ثمة كتاب للحاج ميرزا جانى ، نعم هناك اسم كتاب لا كتاب ، واليك الشهود والاسباب : الشاهد الاول انه كان من التجار لا من حملة الاقلام ، ولم يتشرف بحضور حضرة الباب مدة تسوغ لنا القول بأنه استفاد من فيوضات الحضرة ماطلع به على جميع الاسرار والمطالب واحاط بها علماً ، او وقف على الاحوال الماضية وقوفا حقا . الشاهد الثانى ان الاحتفاظ — في حين حدوث ذلك الانقلاب العظيم — بما الذى

القائمين بالدعوة ولاسيما المخطوطات المتعلقة بالامر كان من صعاب الامور المستصعبة ووصل الحال بالمؤمنين في حادثه التعدى على ناصر الدين شاه ان صاروا يدفنون اوراقهم تحت اطباق الثرى ، فلا يمكن والحالة هذه ان يقال ان كتاباً ابتلي صاحبه بالتعذيب ثم بالقتل، صين وحفظ ثم جاء من نسخه . الشاهد الثالث أن اى كتاب كان اذا لم يوجد منه عدة نسخ متداولة بين الناس لايمكن الاطمئنان اليه زد على ذلك انه اذا وجدت نسخة واحدة في يد شخص واحد فليس من المستحيل أن تمتد يد التلاعب اليها

ومما يعزز هذه الشواهد والبينات مادب في رؤوس كبراء الامر بعد أن هدأت الزوابع وصفا الجو من الدعاوي والاهواء ، ولو لم تكن قدرة بهاء الله وعظمته واعجاز بيانه المبطل للسحر والشعوذة والاوهام ، لرأينا امتداد تلك الاباطيل والمزاعم الى يومنا هذا منتشرة رائجة السوق في جميع الاقطار والامصار .

فلهذه الاسباب والعلل لايمكننا الاعتماد على تلك الاوراق التي وجدت لدى ذلك الشخص ، واعتبارها كتاباً كتبه ميرزا جاني حقيقة ، ولا الاطمئنان بان مثل هذا السفر عصم من التحريف والتلاعب والتبديل ، وبالاجمال فان قلب المؤلف لم يطمئن الى صحة هذه النسخة الفذة التي نحلوها لميرزا جاني ، ولم يثق بها ، بل يقينه وجزمه ان كل منحول لميرزا جاني لايصح الاعتماد عليه ولا الاستنامة اليه .

ملحوظـة : يقول المعرب : زعم البروفسور ادوارد براون المستشرق في جامعة كمبريدج ان النسخة الموجودة في مكتبـة باريس تحت نمرة SUPPL. PERSAN, NO.1071 هي النسخة الوحيدة الحقيقية لمؤرخها ميرزا جاني الـكاشاني فأقدم على استنساخها وطبعها ولـكن لما كانت هذه النسخة في الكثير من مواضيعها تناقض نفس كتاب البيان الذي نزل من قلم حضرة الباب وهي مناقضة للحقائق الاعتقادية والتاريخية الظاهرة ، تبين لنا كما يتضح بسهولة لـكل مدقق منصف أن هذه النسخة وجميع ماطبعه البروفسور المذكور مشكوك فيـه عموماً ولو جاء في بعض ذلك ماقد يوافق الحقيقة .



محمد بيك جابارجي المامور بنفي

حضرة الباب

قد علم مما اسلفناه أن محمد بك چاپارجي كان رئيس الفرسان الذين عهد اليهم نفى حضرة الباب من اصفهان — ونقول بما انه كان رجلا معروفاً بالامانة والصدق اعتمدته حكومة طهران رئيساً وناطت به إيصال حضرة الباب الى تبريز فتحرك بالحضرة ميمما تلك الجهة وذلك في شهر جمادى الأولى من سنة ١٢٦٣ ﻫ التي هي السنة الثالثة من بعثة حضرة الباب.

وهنا نستحسن ان ننقل للقراء ماقصه محمد بك عن رحلته هذه بعد ان قاء الى تبريز وهو قوله : (كنت في ابان ماموريتي ضجراً متكرها من قيامي بهذه المهمة (نفى حضرة الباب) ولكن بعد ان سرت في معيته بضع مراحل أدركت بعض الحقائق وعاينت أموراً غدوت على اثرها في جذل وسرور واغتباط بوظيفتي لامزيد عليها، ولم أكن الوحيد الذي افتتن بأقوال حضرته وأحواله وسيرته وأعماله، بل كان كل من جلس اليه ساعة زمانية يعترف بعظمته وجلالة قدره. ولما كانت الاوامر الصارمة التي تلقيتها تقضي علي بأن لا أدخل بالحضرة الى البلاد التي تمر بها في طريقنا كنت انزل للاستراحة حوالي البلاد وعلى منأى من العمار. وعند ما صرنا على

مقربة من بلدة زنجـان استخرت لنزول الحضرة (نزل سنك) القائم في ضاحيـة البلد إذعاناً لتأكيدات المغلظة التي أوعزت الحكومة إلي بها والقاضية بألا أدخل هذه البلدة . وكان (اشرف خان رئيس زنجان) قد راسلني قبل ورودنا يريد مقابلة الحضرة سراً ، وما كدنا ننزل بذلك النزل حتى ارتفعت ضوضاء عظمى بورود اهالي زنجان زرافات ووحداناً ودخولهم للتشرف بالحضرة. وكان الخدم يمانعون الزائرين قصد ابتزاز اموالهم، ولكن من جهة صعب عليهم المنع ومن جهة أخرى كان القصاد يسمحون بالهبات والرشى لاولئك الخدم والغلمان لكيلا يحرموا من زيارة ذلك العظيم . وحينما اتصل هذا الخبر بحاكم البلدة (اشرف خان) المذكور استولى عليه الخوف وملكه الوجل ، ورغب عن فكرة الاجتماع بحضرة الباب ، وارسل إلي يطالبني أشد المطالبة بالتنائي السريع والنزوح الحثيث عن تلك الجهة فاضطررت حينئذ ان ادخل على الحضرة وابلغه الامر الحاتم بحركتنا على جناح السرعة. فعندما افضيت اليه بالخبر ، بدت ملامح الشجن والجوى على غرته المباركة ، ورفع طرفه الى السماء قائلا (انظر يا إلهي الى فعالهم بآل رسولك) وكان شجاه هذا ، لورود ذلك الايعاز قبل زوال وعثاء السفر عنه [١] وقبل ان يأخذ من الراحة القسط الوافي . ثم لم يكن إلا عشية او ضحاها حتى هززنا الركاب ، وما ابتعدنا عن زنجان فراسخ قلائل

«١» لابد لهذا الحزن من سبب جوهري آخر. «المعرب»

حتى بلغنا وقوع أشرف خان في بلية كبرى افتضح بها فضيحة هائلة وذلك انه كان عاشقاً لسيدة سرية من سيدات زنجان هائماً بها ولما غلب على امره باستيلاء الشهوة البهيمية عليه ، قاد تلك السيدة بقوة العنف والاكراه والجبروت الى بيته كي يفترسها فعندما تناهى خبر هذا الحادث الى مسامع كبراء زنجان وجلهم ذوو علاقة عائلية بتلك السيدة ، اثاروا غيرة الاهالى على الحاكم ، حتى هجموا على منزله وفعلوا به من الافاعيل ما لا يليق ذكره ، ثم اخرجوه من البلد ورفعوا في حقه تقريراً الى مركز الحكومة اسقطه اقبح سقوط في نظر أولياء الامور ، وحط من قدره لديهم ، حتى لم يتأت له بعد ذلك الوصول الى أصغر المناصب) انتهى

يقول المؤلف : وليس ببدع وفود الجموع الجمة من اهل زنجان لزيارة حضرة الباب وتفانيهم في الوصول اليه بعد أن قام فيهم ملا محمد علي الحجة الزنجاني ، عند ورود التوقيع المبارك اليه على نشر الامر وتبليغه ايما قيام حتى آمن على يد مابذله من الجهد البليغ آلاف النفوس التي برهنت على إيمان قوي الاركان راسخ البنيان ، وثبات واستقامة لامزيد عليهما في حادثة زنجان ، التي سنأتي على ذكرها في موضعه من البيان .

الطائفة الفرهادية بمدينة قزوين

كان لهذه الطائفة مكانة سامية ، ومنزلة رفيعة عالية بين طوائف قزوين وقبائلها ، وكان رئيسها (الحاج الله ويردى) ذا شأن خطير في انظار الجميع ، كما ان افرادها كانوا على جانب قويم من التقى وحسن الخلق والصدق والتدين ، وكان جلهم من المحبين للشيخ والسيد . ويقال ان الشيخ في خلال اقامته بقزوين نزل عليهم ضيفاً فلذا صارت تلاميذه تبجل افراد هذه الاسرة المجيدة وتجلها ، وكان اول من آمن من هذه الطائفة بالباب واعتنق امره هو (آقا محمد جواد) الملقب (بعموجان) وهو الابن الارشد (للحاج الله ويردي) المذكور ، وكان الحاج ملا جواد هذا صهراً لعمه الحاج اسد الله وله اخ شجاع يدعى (ميرزا هادى الفرهادي) وكان باسلا مقداما ايضا كاخيه واشترك اخيرا في قتل الحاج ملا تقى .

وبينما كان حضرة الباب في طريقـه الى تبريز ،عرض بعض الاحباء على ميرزا هادي هذا ان يقوم باستخلاص الحضرة وانتشاله من ايدي الفرسان، وحمايته من تعدي الدولة، والملة وايوائه بمكان حريز مؤيداً بالحياطة والحراسة، فأجابهم ميرزا هادي الى ماعرضوه وجمع نفراً من اصحابه ممن يضارعونه شجاعة وبسالة ، ومضى بهم الى الجهة المنشودة حتى لمح الفرسان وهم على بعد ثلاثة فراسخ من زنجان معرّسين بأحد المنازل .

وفي ثنايا ذلك خرج حضرة الباب لقضاء حاجة ، فتقربوا منه وعرفوه بأنفسهم وكشفوا له عن السر الذي جاؤا من جرائه ، فنهاهم حضرته اشد النهي وامرهم بالانصراف الى وطنهم . وبعد ان اشتبه فرسان الدولة بهم سألوا الحضرة عنهم ، فصدقهم الخبر ، وعند وقوفهم على شأنهم داخل قلوبهم الطمع وجدوا وراءهم طموحاً الى النهب والسلب . ولما خاب املهم وفشل سعيهم رجعوا باليأس والاندحار والخذلان ، وقابلهم محمد بك بقوارص التعزير ولواذع الملام .

ولما اجتاز حضرة الباب بلدة (ميلان) حصل ما حصل في زنجان ، من ورود الناس زمراً وأفواجاً لزيارة الحضرة ، واقبلوا من كل فج وأوب للقدوم عليه وتقديم مراسم الخلوص بين يديه فكان محمد بك كثيراً ما يتفوه بهذا القول (لو كان للحضرة مطمع في الفرار لتيسر له ذلك في بلدي زنجان وميلان وبلدان أخرى ، وما كان عليه إلا ان يبدي إشارة واحدة لبعض محبيه ، فيختطفونه من ايدينا في حملة واحدة)

(استطراد) ظن فريق من الناس ان حضرة بهاء الله اجتمع بحضرة الباب في رحلته هذه ، مسندين هذه الرواية الى الحاج ميرزا جاني الكاشاني ، ولكن التواريخ والاقوال الموثوق بها يفهم منها ما يقتضي ان اجتماعاً مثل هذا لم يقع ، والروايات المنحولة لميرزا جاني لا أساس لها ، ولا نصيب لها من الصحة .

وخلاصة القول ان وقائع عديدة وقعت في خلال سفرهم ، الى

ان شارفوا مدينـة تبريز ، فاختار محمد بك محطاً خارج البلد طبق الاوامر الصادرة اليه من طهران وأنزل به الحضرة .

وكان والي تبريز في ذلك الزمان (بهمن ميرزا) فأبلغه محمد بك خبر الورود بالباب على تبريز ثم حمل اليه رسالة من حضرة الباب يطلب اليه فيها مقابلة العلماء بحضوره والمذاكرة معهم لرفع اسباب الخلاف من بين الجميع ونفي العلل التي تمخضت عن سوء التفاهم . اما العلماء فانهم طالبوا الامير بابعاد الحضرة من تبريز الى ماكو ، ولـكن الامير لازم السكون والاغضاء ولم يجب احد الفريقين الى طلبته آبياً ان يأتي عملا من تلقاء نفسه وكتب الى طهران يستفهم عن دستور العمل من الوزير الكبير الحاج ميرزا أقاسي . فبعـد اربعين يوماً من عريضته جاءه الامر القاطع بابعاد الحضرة ، وتحتم سجنه بقلعة ماكو ، وأن يقطع عنـه جميع طرق المواصلة ووسائل المخابرة ، ويمنع من الدخول في مناظرة او محادثة ، حتى يتناسى الناس هذه الافكار وتنطفىء هذه النيران المندلع لسانها .

بناء على هذا الامر الصاوم الجازم قام محمد بك من تبريز ومعه الحضرة ، قاصداً قلعة ماكو القائمة على قمة جبل خارج المدينة ، والمخصصة لسجن العصاة والخوارج على الدولة وعند ما وصلوا اليها سلم الحضرة ليد (علي خان الماكوني) رئيس القلعة .

وفي اثر ذلك أقبل محمد بك لوداع الحضرة ودموع الحسرة تنهمر على خديه من مرارة الفراق ، والتمس منه السماح عما عساه

يكون قد فرط منه من تقصير في الخدمة أو إيفاء بالواجب، فأعرب له الحضرة أفصح إعراب عن رضاه التام، وزوده بالادعية الخيرية وأذن له فى الانصراف، فانصرف وكان رفيق الحضرة الذي رافقه بسجني ماكو وجهريق، ولازمه ليل نهار حتى أواخر أيامه هو

(آقا السيد حسين الكاتب)

كان هذا السيد من وجوه بلدة يزد النبلاء وسمي كاتب الوحي وعرف بهذا اللقب. وهو من حروف الحي على ماسنذكره في حينه. وقد تعذر على المؤلف الوقوف على شرح أحواله وكيف كان ايمانه وكل ما ذكر في التواريخ وسمعه المؤلف من اقدم قدماء الاحباء هو ما روي عن اقواله واعماله بسجني ماكو وجهريق ليس إلا. وللمؤلف وطيد الامل بأن المكملين لكتابه والمحررين في مستقبل الازمان سيعنون بهذه النقطة الدقيقة ويكشفون عنها الغطاء.

أما سائر الرجال الذين كانوا بمعية الباب في هذا الترحال فهم ملا على العظيم والسيد حسن شقيق السيد حسين الكاتب والسيد مرتضى وملا محمد المعلم النوري. وكان للسيد حسين الكاتب والسيد مرتضى نصيب بصفة رسمية من الوقوع تحت المراقبة والمحافظة، أما الباقي فكانوا من توابع القافلة، منفصلين عنها في الظاهر، ولكنهم على اتصال بها في الحقيقة.

التوقيعات

كان للفظ (التوقيع) في الايام الخالية استعمال خاص وذلك انه كان يطلق عند الشيعة على التحريرات التى تعزى لصاحب الزمان وحجة الوقت ، ثم أخذت معنى آخر عندهم فصارت تطلق على ما كان يأتي به نواب الامام الحي الغائب الاربعة من ناحيته في أثناء غيبته الصغرى ، و كانوا يعدون ما جاء في تلك التحارير من أمر ونهي واجب الاتباع مقدس الامتثال والاستماع وسار الامر على ذلك ردحاً من الزمن ، الى ان أعلنت الغيبة الكبرى فأوصد هذا الباب ولم يعد في بطون الاسفار سوى منطوق اللفظ ثم لم يجرأ أحد من بعد على الادعاء بأنه لاقى الامام الحي الغائب وتلقى منه توقيعاً . ودام الحال على هذا النمط الى أن ظهر حضرة الباب ، فاستجد استعمال هذا اللفظ ، وصار كل ما يصدر عن قلمه المبارك ينتشر في الاطراف باسم التوقيع . ولما كان جل الناس ودهماؤهم قلما يلتفتون الى فهم أساس المطالب ولا يهمهم الا مجرد الشهرة والسمعة فقط كانوا يهتزون لسماع هذا الاسم في اوائل الحركة وكان كل شخص يؤوله حسب فهمه وميله . أما بعد رفع الحجاب وظهور صاحب تلك التوقيعات فافترق الناس الى فرقتين فرقة هي الاكثرية رأت هجر تلك التواقيع والعدول عن تلاوتها نهائياً وحظرت النظر اليها لما علمت بأنها ليست من لدن ذلك الغائب الذي مضى على غيابه نحو

من الف سنة ، بل من فتى لا يتجاوز سنه خمسا وعشرين حجة واحتسبت النظر الى تلك الصحف ولمسها حراماً — وفرقة أخرى هي الاقلية ذهبت الى مذهب آخر قائلة : ان مازعمه هذا السواد مجرد وهم وخيال ، وانما الواجب هو فحص تلك التواقيع بدقة لان القول يدل على القائل والكلام صفة المتكلم ، فلو اننا حققنا في تلك الكلم والعبائر فلابد من أن نصل الى نقد الحق من الباطل ، وعلى هذا المبدأ درجوا .

وكان عدد التوقيعات التي صدرت من حضرة الباب ، وانبثت في الاطراف والاكناف ، كبيراً جداً ، إلا ان الاضطهادات الجسيمة والانقلابات المدهشة العظيمة ، لم تذر منها إلا النذر القليل . والذي لم تصل اليه يد التحريف والتبديل كان قليلا من هذا القليل .

على أن كل ما صدر عن الحضرة ودون بشكل سفر أو كتاب ، حفظ تمام الحفظ . فمن ذلك « كتاب البيان » العربي المعتبر لدى الجميع ورسالة « أحسن القصص » في تفسير سورة يوسف « وتفسير سورة الكوثر » و « الادلة السبعة » والنسخ الصحيحة من تلكم الكتب والرسائل موجودة بوفرة .

ومن التوقيعات الشهيرة توقيع صدر باسم الحاج ميرزا أقاسي قبل تحرك ركاب الجناب الى تبريز ، ثم توقيعات صدرت في قلعة ماكو ووصلت الى أربابها بوسائل في غاية الغرابة ، منها تواقيع ارسلت الى مدينة قزوين بتوسط (محمد دابدال) وأدهشت علماء

تلك المدينة عند ما طالعوها، وأخذ منهم العجب كل مأخذ بمضامينها.

نذكر من هؤلاء العلماء (الحاج ملا عبد الوهاب الكبير) وكان عالما فاضلا، واستاذا أريباً كاملا، فهذا اللوذعي بعد ان تلا التوقيعات وتفرس فى مجاريها، وسرح الطرف في محاويها ومعانيها، وذاكر (الشيخ ابدال) وتناظر معه، تحريا للوصول الى الحق واليقين، وفهم معانى البرهان، وبدائع الاستدلال والتبيان، أسرع الى الايمان والاذعان، وانتهض لتبليغ مريديه والمتلمذين عليه، وايقاظ محبيه والمنتمين اليه، ثم ما عتم ابنه (ميرزا علي محمد المجتهد) ان دان بالايقان، واعتنق رأي أبيه. واقترن بشقيقة قرة العين (مرضيه خانم) ثم تلاه في الايمان واستن بسنته أخوه (ميرزا هادي) الذي كان من أكابر أهل التقى والصلاح. ومابرح هذان الاخوان قائمين على قدم الثبات والسداد، والاستقامة والهداية والرشاد، حتى استشهدا في واقعة قلعة الطبرسي الشهيرة. واحتملت السيدة مرضية - من جراء تلك الشهادة ويتم أشبالها - من البلايا الجسام والارزاء الفادحة، ما لا تحتمله سيدة من السيدات.

وايضا صدر من قلعة ماكو توقيع ثان للحاج ميرزا آقاسي معنون في مطلعه بهذا العنوان :

الخطبة القهرية

وها نحن نورد للقاري، طرفاً مما جاء فيه ابتغاء أن يحيط علما بنبذة من محتوياته، وهو قوله :

(أما بعد) فاعلم يا أيها الكافر بالله والمشرك بآياته والمعرض عن جنابه والمستكبر عن بابه * ان الله عز وجل لا يعزب عن علمه شيء ولا يعجز في قدرته شيء * وانه ما أمهلك في مقامك ولا أغفل عن حكمك في أعمالك لأنما يعجل من يخاف الفوت وانه يسمع الصوت ويدرك الفوت وينزل الموت * فاشهد باليقين ثم انظر بعين اليقين ثم لاحظ بحق اليقين في نفسك فان الله عز وجل قال (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) فو الذي نفسي بيده ان غفلتك عن ذكري وعصيانك في حكمي واعراضك عن طاعتي لك أشد من نار جهنم بل انها هي يظهر لنفسك في يوم القيامة * وان الآن لو تعلم بعلم اليقين (لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين) فوالذي هو مليك وجودي قد تغيرت البلاد ومن عليها من حكمك وما الآن شيء في علم الله وهو معرض عنك ولا عنك فهلا مهلا لك يا عدو الله وعدو أوليائه لو تعلم ما اكتسبت يداك في أمري لتفر الى قلل الاوتاد وتجلس عريانا في الرماد وتشهق من حكم الايجاد وتصعق لاهل الفؤاد * أما تعلم ما فعلت يا مظهر ابليس فكأنما ظلمت على كل من في الوجود من الغيب والشهود وقتلت كل من في ملكوت الودود * فان الامام عليه السلام قال : (من احتمل ذنبا فكأنما احتمل كل الذنوب) فآه آه بظلمك تشهقت الفردوس ومن فيها وتصعقت الارض ومن عليها فقد تغيرت المياه والارياح وتخربت البلاد واندك الجبال واصفرت الاوراق وايبست الاغصان والاثمار *

فآه آه كيف أذكر ما اكتسبت بغير حق تكاد السموات يتفطرن وتنشق الارض وتخر الجبال فقد احترقت كبد محمد صلى الله عليه وسلم وآل الله في غرفات الرضوان ولطمت الحوريات بسوء حكمك على وجوههن في روضات الجنان * أما تعلم ما فعلت ولقد أعرضت عمن هو مولاك مجليك في عوالم التي قد خلقها الله لك وأنت عبد رق في ملكه فو الذي هو محبوب فؤادي لو كشف الغطاء عن عينك لترضى أن تقرض بالمقاريض وتمشي في الدنيا وراء المجانين وما خطرت ببالك ذرة خردل ظالم في حقي بل لو ملكت شرق الارض وغربها لتعطى بان تنظر الى وجهي مرة واحدة ولا يقبل عنك لعظم مقامي الذي خصني الله به * أزعمت أنك تستلذ في الدنيا وقعدت على بساط العظمة وتكبرت على من حولك بما جعل الله الحكم في يديك لا وربي ما قعدت الا صدر النيران ولا تستلذ الا بنار الخسران ولا تأكل الا من أثمار شجرة الحسبان ولا تشرب الا من حميم الغسلان * فمهلا مهلا لك أتأخذ اموال الناس بالباطل وتصرف الى ما تهوى اليه نفسك بالعاجل وتزعم ان الله لا يسئلك عنه لا وربى ان لك موعداً يوم القيامة بين يدى الله ورسله وملائكته وجميع عباده هنالك لتعرف مقامي وتجد نار جهنم في نفسك وان الآن ما لبست الا من ثياب القطران وما تنعم الا بما تعذب الشمس والقمر بحسبان * فمهلا مهلا لك ادعوت بعلا ورضيت ظلماً ونسيت عدلا بعد ما قال الله عز

وجل في حق الظالمين حيث قال وقوله الحق للمؤمنين (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين) فيا أيها المغرور بنار السجين وحجر السجيل تفكر لحة أين سليمان وذو القرنين ثم ملكهما في رضا الله عز ذكره ثم أين شداد ونمرود ثم ملكهما في سخط الله عزوجل أليس انهما فانا فكانا معذبين ولا لهما من محيص أبداً * وان كان الشرف ملك الدنيا وسعة ارضها واموالها فان اليوم ملوك الكفر لا كثر ملكا عنك واكثر اموالا منك * وان كان الشرف رضاء الله واطاعته فمن أين تحرق نفسك بايديك وتغفل عن يوم الذي يأتيك أليس الله قال في حق الذين عمروا الدنيا «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين» أليس الله قال «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» فكر لحة هل تبقى في الدنيا فكيف ترضى بعزتك في عمر لا يذكر في جنب حيواة الآخرة كانك فيها تبقى ما شاء الله وأراد ومالك عن موت ابدا * فو الذي اختارني لحبه ما أردت عليك الا رحمة الله لتخلص نفسك عما غفلت عنه وترحم عليها بما نسيت حكمه فكيف اذكر موبقاتك العظيمة وجريراتك الكبيرة * انظر من اول يوم الذي انا كتبت في حقك خف عن الله ربك الى الآن قد مضى أربعين شهراً وانك لو أظهرت المحبة وخفت عن الله في الحقيقة فو الذي نفسي بيده لم ينقص عن عزتك قدر خردل ولا انني طمعت في دولتك اقل من خردل

لان كل الدنيا والآخرة مع كفين الصفر كـكف رماد بل ان العارف بربه لم يطلب دون الله شيئاً ولا يرى عزاً الا في رضائه ولا ذلا الا في سخطه * وان مقامك الذي به استكبرت على الله لم يمل عليه أحد ممن عرف حقي بل ان أدنى المساكين العارفين قد ضرب بظهر نعليه مقامك فكيف انك مع ما تدعي خشية الله قد أخذته بايديك كأن الله ماخلق ذلك لعزك * فكر لمحة قد أطلعت بما فعل بي وشيعتي من جملته حاكم الفارس لعنة الله عليه حيث لا يرضى كافر الكافر أبداً وأنت تقدر على دفعه وما كتبت اليه حرفاً لعل ينقص من فعله ظلماً وعدواناً حتى فعل ما فعل وبه افتضح نفسك واجمع حطب جهنم لزادك مع انك لو كتبت اليه سطراً لا يقرب إلي أبداً ومع انك تعلم نسبه هو أرذل الانساب وحسبه هو أرذلى بلغة أهله لاحد من العصاة ونسيان حكم الصلوة وشرب خمره وقتل نفسه وكثرة ظلمه وما أظن انه ترك كبيرة ولا صغيرة بل والذي نفسي بيده لو احتمل كل الجريرات في أيام دولاتك لم يضرك بمثل ذرة ظلم احتمل في حقي فأف له ولعنة الله وسطواته عليه ما دامت السموات والارض فسوف ينتقم الله عنه بعدله انه المقتدر القوي * ولعمري قد اضطررت في أرض وطني بشأن قد خرجت خائفاً مترقباً حتى نزلت على من ولد في النصارى فقد وقرني وعززني واستقرني في مقام لا يوجد عنده أعظم منه بما بما استطاع في دين الله حتى قضى نحبه فأسأل الله أن يعطيه جزاء

احسانه خير الآخرة ولا شك ان الله لا يخلف الميعاد * ثم بعد ذلك اطلعت بموقفي الذي ليس لاحد به علم ولا الى سبيل ورضيت بما فعل الذي لا شأن له الا شأن الانعام فأسأل الله أن يمزقه بكل ممزق جزاء كذبه وطغيانه انه هو المقتدر الجبار العسوف * ثم نزلت عليك وما استحييت من الله ولا من جدي رسول الله ولا من أحد من آبائي أئمة الدين عليهم الصلوة والسلام وخفت من أن يقطع من كف جبرك وأمرت بما أمرت . (الى قوله العزيز) فسوف ترجع الى تحت التراب وتقول ياليتني كنت ترابا . وليس لك اليوم حبيب يخلصك ولا صديق ينفعك ولا ولد يستغفر الله ربه لك الا الذين يلعنونك ويسئلون الله لضعف العذاب في حقك الا ان ذلك لظلم عظيم * قد عمرت قبور الاموات وأحييت نفوس العصاة وخربت القلوب اللاتي هن محال الفيض والالهام حيث أشار اليه عز ذكره (لايسعني أرضي ولا سمائي بل يسعني قلب عبدي المؤمن) وأفنيت نفوس الراضية المرضية غافلا عن مفهوم قوله عز ذكره (من قتل مؤمنا فكأنما قتل الناس جميعا .... الى أن قال راقب نفسك وانتظر أمر ربك فان أجل الله لآت ولا مرد له ان ربك لبالمرصاد ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون

يقول المؤلف : والمقطوع به عندي ان هذا التوقيع لم يصل الى يد الوزير كيف ولو وصل اليه مع ما تضمنته طوالعه من العبارات القارصة والمخاطبات الشديدة اللهجة المفصحة عن أشد بغض من

الحضرة له لما تردد هنيهة في اصدار الامر الحتم بقتله للوقت والحال .

وقبل ان نختم هذا الباب ندرج هنا صورة توقيع آخر صدر في مدينة اصفهان لاحد أحباء شيراز (على ما هو المظنون) وذلك لما احتواه من المواضيع التاريخية التي تبرهن للقاري، درجة صدق ما وفق المؤلف لتدوينه من الوقائع ومقدار قربها من الحقيقة . قال الجناب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من عليّ بالبلاء واحمده بما نزل علي من الباساء والضراء بما فعل بغير حق اهل الشرك والعصيان وان الى الله اشكو بثي وحزني وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . وبعد قد نزل ما سطرت من عندك واطلعت بما أشرقت من حبك فجزاك الله بما عملت في دين الله وتريد في سبيل الله فو الذي نفسي بيده ان الشاربين من كاس المحبة هم الآمنون وان المعرضين عن حكم الولاية هم الخاسرون فكيف افصل ذكر ما قضى على تلك الارض وان المداد ليفنى واللوح لا يسع ولكن الاشارة اليه يعرفك بعض ما جرى البداء بالامضاء وهو لما هاجرت من تلك الارض لعرض الحال الى الذي جعله الله مليك الارض قد بلغت الى هذه الارض ونزلت عليها باذن حضرة معتمد الدولة العالي أدام الله اقباله وجزاه الله من عناياته كما هو أهله فبالحقيقة ما قصر عن التوجه والرحمة ولقد وقع ليلة في محضره مع بعض الرجال ما

أراد الله وشاء. وليتم الامر اذا شاء الله مع العلماء اذا حضروا يوم العرفة أو الاضحى المباهلة وان ذلك كان حكمي بينهم فسوف يحق الله الحق بكلماته ويظهر عمل الناس أجمعين فسوف نسافر الى ساحة قرب مليك الفضل فاذا سمعت فاحضر هنالك واظهر ما رأيت من عمل الجاهلين فانا لله وانا الى ربنا لمنقلبون والسلام عليك وعلى احمد وعلى الذي أجبته بالكتاب وعلى الذين اتبعوا أمر الله والذين بهم يلحقون واليوم يقضى ما وعدتك به في قرب الزوال بخمس دقيقة مؤرخة يوم جمعة سابع شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٢٦٣

ملحوظة : — من يمعن النظر فيما يخطه يراع كتاب الفرس باللغة العربية ير أن جلهم يكتب بلغة محرفة بعض التحريف لان القراء لايفهمون سواها لا لانه جاهل بدقائق اللغة العربية الفصحى ولا جاهل باساليبها البديعة وعلى هذا النحو كتب حضرة الباب عملا بقوله تعالى « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » الخ . كما ان الكثيرين ممن نقلوا كتب حضرة الباب كانوا من الفرس الذين لم يعرفوا من اللغة العربية الا اسمها لذلك وقع منهم بعض التحريف ايضا وعلى هذين الاعتبارين نرجو من حضرات القراء ان يغضوا الطرف عما يجدونه مخالفا للحن العربي البديع لانا — مراعاة للامانة — حافظنا على أمانة النقل من غير ان نحدث أى تغيير في العبارات الواردة . « المعرب »

محمد بك جابارجي وعلي خان الماكوئي

حينما فارق محمد بك حضرة الباب غب وصولهما الى قلعة ما كو ووداعه اياه لم يكن يشعر من آلام الفراق الا بالقدر اليسير ولكنه لم يكد يزايل القلعة ويخطو خطوة خارجها حتى انقلبت حاله وتبدت عليه آثار تلك المحبة العظمى التي كانت مكنونة في صدره ، وثارت بقلبه بلابل الاشجان وعواصف الاحزان ، وما وصل الى بلده حتى استولت عليه أعراض مرض شديد ألزمه الفراش الايام والليالي الطوال ، وفي تضاعيف تلك الليالي وردت الانباء بتكشف الايام عن دولان دولة حاكم فارس وافتضاح حاكم زنجان (أشرف خان) وعزل الامير (بهمن ميرزا) عن ولاية الحكم بتبريز وانكساف عزه وموت (كركين خان) ابن أخي منوجهر خان معتمد الدولة في اصفهان بمرض الخناق .

ولما كان وقوع هذه الحوادث كلها في مدد قصيرة متقاربة وفي ظرف أشهر معدودة وبسرعة عجيبة ، من الشواهد الملفتة للانظار والعبر الغريبة المستوجبة لتفكير أولى الايدي والابصار أقسم محمد بك ونذر على نفسه انه ان نصل من مرضه وعوفي من علته وسقمه ليزورن حضرة الباب في معتقله ويقص على مسمعه

جميع هذه الحوادث . فلما أبل من سقامه غدا الى ماكو وتشرف بلقاء محبوبه ، وقص على مسامعه تلك الاحاديث بأسرها .

فأجابه الحضرة قائلا : (انني لم أكن قط لأرضى بافتضاح أشرف خان ومن ذكرتهم وسقوطهم في النكال الى هذا الحد ، ولكن قلوب مهابط الوحي والالهام ومصادر الامر اذا تكدرت من انسان فلابد من وقوعه في فخ المصائب ليكون عبرة لمن سواه)

وبعد أن أوصى محمد بك (رئيس القلعة علي خان) خيراً بالحضرة وأكد عليه في أمر الاعتناء بوجوده المبارك ، استأذن وما عتم أن فاء الى بلدته .

ولم يمض الا قليل من الزمان على استقبال علي خان للحضرة ومعاشرته اياه حتى مال اليه كل الميل وأحبه الحب الذي لا يوصف وطفق يتفانى في خدمته ورعايته بما لامزيد عليه ولم يعد في نظره من السجناء الذين يصح التضييق عليهم بل صار يعامله معاملة المؤمن المصدق ويعاشره معاشرة الاب المشفق ، ولم يكن يحجز أحداً من أخصائه والوافدين لملاقاته وزيارته حجزاً يعتد به فكانت وفود عديدة تفد عليه ، بعضها نال ماطلب وظفر بالوطر والارب ، وآخرون لم يتح لهم الدنو من ساحة المحبوب ومنهم من ابتلي بمحن واصيب بخطوب وكرب على ماستفصح عنه مقالاتنا الآتية .

الحاج الشيخ محمد القزويني

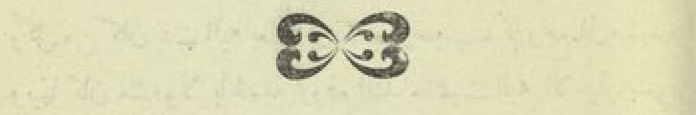
كان الحاج المذكور من اتباع الشيخ والسيد، وكان عالماً مفضالا وفهامة دراكا ، الا انه عاف تقلد المناصب الملية والرئاسات الفقهية وآثر الاشتغال بالمهنة التجارية، وفي الاحايين والآونة التي نحن بصدد ذكرياتها حول مركز شغله التجاري الى قصبة لاهيجان احدى أعمال رشت. وكان حفيا محترماً مؤتمنا لدى الاهلين عامة لما كان عليه من النزاهة وشرف النفس ونقاء السيرة والسريرة فلما ارتفع نداء حضرة للباب وذاعت وشاعت الانباء بنفيه الى تبريز واعتقاله بقلعة ماكو، طوى بساط تجارته وفرغ نفسه من العلائق والعوائق ودلف الى مسقط رأسه (قزوين) قاصدا بذلك كله الاحتظاء بزيارة الباب ، فلما استشعر بذلك زعماء الشرع وقادة التقاليد ووقفوا على نواياه، القوا القبض عليه وساموه افنان الاهانة والضيم ونهبوا أمواله وسلبوا عروض تجارته وانتهت حالته معهم الى حد أن شدوا رجليه بالوثاق (المسمى في عرف اليوم بالفلقة) وضربوه أبرح ضرب غير ان هذا الاضطهاد والاعنات كله لم يثنه عن عزمه وطرق جميع الوسائل وتلطف بلطائف الحيل والذرائع وشخص الى ماكو . وبواسطة حاكم القلعة (علي خان) تشرف بالحضور المبارك فكان موقع تلطف الحضرة وايناسه وبسطه واكرامه ،

وقال حضرته له : (ان لك فيما أصابك من الضر والأذى أسوة حسنة بصاحب الرسالة الذي قذف بالحجارة وأصيب بافانين الاصابة ، وما مسه في الحقيقة منها سوء ، وانما وقعت وخامة المغبة والعقبى على رؤوس المعاندين ورجعت بالوبال عليهم وارتد كيدهم في نحورهم ، وذلك هو القانون الالهي الذي تجري بموجبه مجاري الامور في كل كور ودور ، فلا يزال النبيون والمرسلون وأئمة الدين المبين فى كل عصر ودهر عرضة لسخط المعاندين ومحلا لانسكاب جام غضبهم وشرتهم ، فسوف يعلمون وسوف يدركون وسوف يعقلون) هـ .

والخلاصة ان الحاج الشيخ محمداً هذا تلقى كثيراً من الصدمات والاضرار العديدة والمغارم الجمة وتحمل الضير والضرار في سبيل المحبوب ولكن تسرى عنه كل ذلك وانجابت عنه سحب الغمم عندما تشنفت آذانه بالبيانات الشفاهية التى جاد بها السيد له . هذا ولم تحرم أولاده واحفاده ولا اقرباؤه من التشرف بقبول الامر بل ابدوا من ثبات القدم وعلو الهمة والنجدة الامر العجيب والمقدار الغريب ونالوا شرفا باذخاً ومقاماً شامخا ، نذكر منهم نجله جناب (آقا الشيخ كاظم سمندر) الآتي ذكره في الموضع الانسب ، ومنهم شقيق حرمه المصون (الحاج الشيخ محمد خال سمندر)

ومنهم المعروف باسم (محمد صادق كلاه دوز) الذي كان يشتغل بالتجارة في لاهيجان .

ثم قبض عليه في احدى الحوادث . وساقوه الى سجن رشت وضربوه فيه ضربا قضى عليه فأثبت اسمه في دفتر شهداء هذا الامر .



عود الى شرح احوال باب الباب

بعد ان حاز جناب ملا حسين البشروئي لقب (باب الباب) وصدرت له الارادة بالسفر تحرك من شيراز لاعلاء الكلمة وابلاغ العالم صوتها فكان في كل نحو وشطر يجتاز به، يمد بساط التبليغ والدعوة ويقيم الحجج والبراهين بافصح بيان واجلى تبيان، ولم يفتأ يجول في الامصار والبلدان حتى وصل به التجوال الى مدينة طهران، وقد تلاقى فيها مع حضرة بهاء الله فارتبط قلبه بأهداب مودته بل شغفه حباً، ثم سافر الى خراسان مشغولا ليل نهار بالتبشير والاشعار والتبليغ والاعذار، ثم عاد الى وطنه (بشرويه) وبلغ مجموعاً دهماً، وكشف الحجاب عن الامر لكثيرين من أقربائه وكل من كان يمت اليه بعلاقة ونسب وسبب، ثم رجع الى مشهد، وبينما كان مشغولا بالخدمة ورفع النداء نميت اليه الاخبار بنفي حضرة الباب الى تبريز واعتقاله بماكو فاشتعلت بفؤاده نيران الاشواق وحن الى لقاء سيده ومشاطرته المصائب والنوائب فقام من وقته واتجه نحو تبريز غير مبال ولا عابيء بالمصاعب والمشاق التي كانت تنتظره على الطريق.

والخلاصة انه بعد ما وقع في مشاكل لا تحصى في كل يوم وفي كل بلد واوب، وصل سالما الى ماكو وسمح له علي خان بلقاء سيده ومولاه مدة طويلة بكيفية استثنائية، وهناك تسلم من مولاه جميع

الاوامر والتعليمات التي يقتضي املاؤها والقاؤها مليا من الوقت ، وسافر الى خراسان على شريطة المرور بايالة مازندران لمقابلة القدوس ونشر الامر وتبليغه في هذه المقاطعة ايضا .

وجاء في تاريخ النبيل ، وسمع من افواه جل القدماء العريقين في الامر ان من جملة التعليمات والاعلامات التي القاها حضرة الباب على مسمع باب امره هي ما تضمنه واحتواه قوله له : (ان انتقال محمد شاه قد أمسى قريبا وبعد وفاته سيقع الامر في مصاعب جمة وستكون الحكومة والعلماء أشد قياماً وثورانا وتألبا منهم الآن فمتى سمعتم بخبر موته فخذوا الاهبة والاستعداد للورود على مشهد الفداء وستسد في وجوهكم جميع السبل الا سبيل المصائب والبلايا والشهادة المحتومة)

عود الى شرح احوال باب الباب

بعد ان حاز جناب ملا حسين البشروئى لقب (باب الباب) وصدرت له الارادة بالسفر تحرك من شيراز لاعلاء الكلمة وابلاغ العالم صوتها فكان في كل نحو وشطر يجتاز به ، يمد بساط التبليغ والدعوة ويقيم الحجج والبراهين بافصح بيان واجلى تبيان ، ولم يفتأ يجول في الامصار والبلدان حتى وصل به التجوال الى مدينة طهران ، وقد تلاقى فيها مع حضرة بهاء الله فارتبط قلبه بأهداب مودته بل شغفه حباء ثم سافر الى خراسان مشغولا ليل نهار بالتبشير والاشعار والتبليغ والاعذار ، ثم عاد الى وطنه (بشرويه) وبلغ مجموعاً دهماً ، وكشف الحجاب عن الامر لكثيرين من أقربائه وكل من كان يمت اليه بعلاقة ونسب وسبب ، ثم رجع الى مشهد ، وبينما كان مشغولا بالخدمة ورفع النداء نميت اليه الاخبار بنفي حضرة الباب الى تبريز واعتقاله بماكو فاشتعلت بفؤاده نيران الاشواق وحن الى لقاء سيده ومشاطرته المصائب والنوائب فقام من وقته واتجه نحو تبريز غير مبال ولا عابيء بالمصاعب والمشاق التي كانت تنتظره على الطريق .

والخلاصة انه بعد ما وقع في مشاكل لا تحصى في كل يوم وفي كل بلد واوب ، وصل سالما الى ماكو وسمح له علي خان بلقاء سيده ومولاه مدة طويلة بكيفية استثنائية ، وهناك تسلم من مولاه جميع

الاوامر والتعليمات التي يقتضي املاؤها والقاؤها مليا من الوقت ، وسافر الى خراسان على شريطة المرور بايالة مازندران لمقابلة القدوس ونشر الامر وتبليغه في هذه المقاطعة ايضا .

وجاء في تاريخ النبيل ، وسمع من افواه جل القدماء العريقين في الامر ان من جملة التعليمات والاعلامات التي القاها حضرة الباب على مسمع باب امره هي ما تضمنه واحتواه قوله له : (ان انتقال محمد شاه قد أمسى قريبا وبعد وفاته سيقع الامر في مصاعب جمة وستكون الحكومة والعلماء أشد قياما وثورانا وتألبا منهم الآن فمتى سمعتم بخبر موته فخذوا الاهبة والاستعداد للورود على مشهد الفداء وستسد في وجوهكم جميع السبل الا سبيل المصائب والبلايا والشهادة المحتومة)

رجوع الى تاريخ قرة العين

وذكر اسباب اشتهارها بلقب الطاهرة

انتهى بنا الحديث السالف عن هذه السيدة الخيرة الى الاعلام بشخوصها الى دار السلام (بغداد) ونزولها بمنزل الشيخ محمد شبل ومبارزتها للكثيرين العديدين من رجال العلم وافحامها اياهم ودعوتها الناس الى مأدبة الامر (الجديد) جهرة ، وتبليغها جماعات من اهالى الكاظمية وبغداد معتضدة في ذلك بما لها من خلابة اللسان وذلاقة البيان وقوة الحجة والبرهان حتى ورد عليها الامر من مصدر الحكم في بغداد بالتحول الى منزل المفتي السيد محمود الالوسى المحترم. ونقول الآن:

ان هذا التحول لم يمس حاجزاً بينها وبين المضي في التبليغ والاعلان والتبشير والايذان ، فانها طفقت تفتح أبوابها على الدوام للدرس والبحث كما شهد بذلك أعداؤها وأصدقاؤها معاً ودونته أقلام التاريخ والاثر ، غير انها لم تكن ترفع الحجاب أمام الاغراب قط بينما كانت لا تستعمله في وجود من عاشرها مدة كافية اطمأنت فيها الى ذمته وصدقه وديانته مثل الشيخ محمد شبل والشيخ صالح الكريمي والسيد محسن الكاظمي والسيد احمد اليزدي والد كاتب الوحي (السيد حسين) وكذلك الشيخ سلطان الكربلائى وملا

ابراهيم المحلاتي والسيد محمد البايكاني فان هؤلاء الرجال جميعهم لازموا عشرتها وصحبتها مذ ارتحل السيد الرشتي ولبثوا يرتشفون من أنهار علمها وفضلها منطوين على العقيدة القوية بسمو مقامها وعلو مكانتها جازمين بشرفها وعفافها وعصمتها وقداستها ، لذا تأثروا خطواتها وولجوا حظيرة الايمان بالباب من مصراع دعوتها ثم كانوا في ركابها الى العراق العربي وآبوا معها الى عراق العجم كما سننبيء عنه .

ولما استفاض الحديث عن سفورها تلقاء صحبها وتلاميذها نشب الخلاف بين علماء تلك الناحية وقام بينهم الجدال والشقاق على قدم وساق ، وعند ما سألوا التلاميذ عن ذلك أجابوهم بلسان مصطلحاتهم وقالوا ان الوجه والكفين لم يكونا في وقت ما عورة في نظر القانون الاسلامي حتى يلزم سترهما ، وساقوا أقوال الحجاج كشاهد لهم في هذا الموضوع ، وقالوا ان أزواج النبي عليه السلام لم يسترن الوجه والكفين رغم ذلكم الازدحام العظيم ولكن هذا الجواب المؤيد بالشواهد لم ينه المسألة ولا قضى المشكلة بل استشرى الخلاف والجدال واستنهر النزاع والنضال في هذا المجال وتخطى الى مابين أصحاب الشيخ والسيد والمؤمنين بالباب أيضاً ووقع شجار أفضى الى القرار بوجوب رفع المشكلة الى جناب الباب نفسه وأخذ الجواب الحاسم لمادة النزاع من حضرته ، فاجتمع الاحباء في الكاظمية ورقموا عريضة بقلم السيد علي بشر وبعثوا بها مع

رسول من أخصاء الشيخية يدعى (نور علي) الى شيراز فسافر الرسول اليها ولكنه لم يتح له المثول بين يدي الحضرة، فارتحل الى اصفهان فكان نصيبه فيها كنصيبه في شيراز اذ وصل اليها والحضرة فى حالة الاعتكاف والانزواء بمنزل معتمد الدولة الخاص.

وبينما كان في حيرة من أمره اذ علم ان الحضرة نفي الى تبريز فواصل السعي والسير نحو تلك الجهة ومازال مجداً في الاستحصال على المرام حتى تسنى له التشرف بالحضرة في ما كو ولما قدم العريضة (وكانت حاوية لعدة مسائل منها مسألة قرة العين) صدر الرد عليها فاستلمه الرسول وسار من حيث أتى. وبوصوله الى بغداد اجتمع في الكاظمية نيف وسبعون نسمة من الاحباء وتلى التوقيع المبارك بمحضرهم فاذا بالسيد الباب يخاطب (علي بشر) بالمنزلزل وما وصلوا الى ماسألوا عنه في شأن قرة العين حتى وجدوا الحضرة يقول: (فاعلم انها امرأة صديقة عالمة عاملة طاهرة ولا ترد الطاهرة في حكمها فانها أدرى بمواقع الامر من غيرها) فاستبشر الحاضرون واطمأنوا وتفاءلوا خيراً وشكروا الله على ذلك ما عدا السيد علي بشر المذكور فانه لم يتقدم في سبيل هذا الامتحان خطوة وأخذه الزلزال في الحال طبق ما تنبأ به الباب على التمام: ثم اقتفى نهجه رهط من الحاضرين مثل السيد طه وكاظم الصوفي والسيد حسن جعفر وارتدوا على أعقابهم عن الصراط القويم وأما سائر أفراد المجتمع فانهم ثبتوا على الايمان ورسخت أقدامهم ثم استضاء بضياء

هديهم أناس آخرون، وأقر واعترف الجميع بطهارة الطاهرة و نزاهتها وقبلوا أقوال الحضرة بالرضى والتصديق والتسليم ، وازداد حبهم وارتباط قلوبهم به .

(وبعد) فمن تتمات وبقايا أنباء هذا الباب التي لم نسردها بعد ان جماعة من مقدسات السيدات كنّ على الدوام في معية الطاهرة يقمن بخدمتها ، ومن عديدهن شقيقة باب الباب وقرينة ميرزا هادي النهري، وبلغ الحال بمعشر أن قالوا بأن والدة حضرة باب الباب أيضاً كانت معهن في ذلك ولكن اذا صح هذا القول فلا يعزب عن أذهان الناظرين ان هذه السيدة كانت في ذلك الحين طاعنة في السن فان عمرها كان اذ ذاك يربى على التسعين عاماً.

وكانت الطاهرة أيام إقامتها ببيت الالوسي تصطحب ناظرة بيته إضافة على السيدات اللواتى اعتدن الخروج مع حضرتها .

ولقد انتشر صيت الطاهرة في جميع أطراف العراق واشتغل الناس من عالم وجاهل بتناقل حديثها وتداول خبرها .

وفي خلال تلك الاحوال رفع نجيب باشا حاكم بغداد الى القسطنطينية تقريراً شرح فيه أحوال هذه المخدرة وأقام ينتظر الجواب. أما الاحباء فكانوا من هذا الامر على حذر، لما يعرفونه عن آل عثمان من الاستبداد في الحكم والاستئثار بالامر والنهي ، وكان نفر من العلماء الذين تم عليهم الالزام والافحام يقولون لها وللاحباء (نعم . ان كل ما تقولونه صحيح ولكن سيف آل عثمان يمنعنا عن قبول مبدئكم)

تحرك الطاهرة من بغداد الى كرمانشاه

بعد أن استقر بقرة العين المقام في منزل المفتي المذكور زهاء شهرين من الزمان ، جاء الامر من الباب العالي بجلائها عن بغداد الى ايران ، فتلطف ما كان قائماً بالاحياء من القلق والخوف والانزعاج عليها ، وسكنت ثائرتهم إذ كانت تصوراتهم وظنونهم تحوم حول أمرين نفيها الى أقاصي نائية أو قتلها ، فلما جاء الجواب على هذا الوجه هدأ روعهم وقل فزعهم واعتزمت الطاهرة مغادرة البلاد والظعن الى القطر الايراني ، وأخذت في الرحلة والشخوص ورافقها في الرحيل ماينوف عن ثلاثين نفسا من تلاميذها وصحبها مابين عربي وعجمي وسافروا في معيتها ، وأرسل الحاكم معها رجلا من ذوي المناصب يدعى (محمد افندي) انتدبه لملازمتها الى نقطة « خانقين » التي هى رأس التخوم بين الدولتين العثمانية والايرانية فانجذب هذا الرسول الرفيق من رائع سلوك الطاهرة ودماثة أخلاقها وكرم اعراقها وماعاينه فيها من فضيلة الورع والعفة ومنقبة الادراك والمعرفة . ولما آب الى بغداد طفق يلهج بوصفها ونعتها ويذكرها بالاجلال والاحترام ويومىء اليها بلقب السيدة .

وجدّت تلك القافلة في المسير حتى أشرفت على قرية (كرند) التي كان قطانها من طائفة (علي اللهية) المعروفة بالصدق والميل الى الحق فلما وصلت الطاهرة بمن معها الى هذه القرية هب رؤساء

تلك الطائفة الى استقبالهم وقابلوهم بالحفاوة وأكرموا وفادتهم ونحروا لهم الاغنام وأضافوهم بكل تجلة وترحاب واحترام مدة ثلاثة أيام، وفي بحر هذه المدة مدت الطاهرة بساط البحث والتبليغ ودعت الاهلين علانية الى الاقبال على دعوة الباب فوجد دعاؤها موقعاً من القلوب، وتقاطر رؤساء القبيلة وأمراؤها والتمسوا منها الاذن بأن يكونوا في ركابها لخدمة الامر مع جميع رجالهم الذين لا يقلون عدداً عن اثني عشر الف فارس فشكرتهم الطاهرة ودعت لهم جميعاً بالفيض الروحاني والجود الرحماني، وودعتهم ورحلت ومن هذا الحين انتشر أمر الباب فى جميع قرى تلك الطائفة.

ولكن بعد أن نجمت نوابغ الفتن ونشأت ناشئة المحن، لم يثبت منهم على الامر الا قليل، ولما ودعتهم أخذت اتجاهها شطر «كرمانشاه» وعند وصولها المدينه أمرت رجالها باكتراء ثلاثة منازل، يكون احدها مخصصاً لها وللمخدرات، والثاني للرجال والثالث للاستقبال والتبليغ، ثم أمرت الاحباء بأن يدعوا الاهالي الى صلاة عامة فأقبل سواد عظيم يفوت العد ووقع الازدحام حتى ضاق المكان بالمقبلين، ووقف فريق منهم بأرباض المنزل فقام الشيخ محمد شبل وألقى خطابة ثم تلاه الشيخ صالح الكربي، وأعلنا للملأ والاشهاد ظهور حضرة الباب، ثم تليت سورة الكوثر بتفسيرها وكان المترجم من العربية الى الفارسية ملا ابراهيم المحلاتي، ووجه قبيل من علماء البلدة أسئلة الى الاحباء فأجابوهم عنها. هذا من

جهة وكانت سيدات الامراء وعقيلات أولاد الملوك من جهة أخرى يزرن الطاهرة وكذلك السيدة حرم الامير حاكم كورمانشاه وقيل ان الامير نفسه اتى لزيارتها وبعد ان سمع منها الآيات والبينات آمن مع جميع أفراد أسرته وحاشيته. فأخذت حركة الامر هنالك شأناً فخماً وامتد بساط البحث والتبليغ والمناقشة وأخذت الكلمة يتسع انتشارها ويتضاعف رواجها يوماً فيوماً وقبائل المستمعين والمستفسرين تزيد عدداً وكان الزوار والوافدون لا يجتزئون بالاسئلة الشفاهية بل صاروا يقدمون الاستفسارات التحريرية فتكتب لهم الاجوبة. ولما عيل صبر العلماء ونفدت مادة انتظارهم اجتمعوا عند المجتهد (أي شيخ علماء البلدة) وهو آقا عبدالله البهبهاني وتقدموا اليه بقولهم له إما ان تعطى القياد للايمان وتنزل على الاذعان والتسليم بهذا الامر الجديد حتى نأتم بك جميعاً أو ان تقوم على الانبراء لقرة العين وتلزمها الحجة حتى يتبين انك عميد علمائنا وهنالك نقوم نحن أيضاً على صد الناس ومنعهم عن هذ الامر.

ولما كان المجتهد على اكبر يقين بعجزه وقصوره عن النزول الى ميدان البحث والمناقشة مع الطاهرة رفع تقريراً الى الحكومة طلب فيه اليها اجلاء قرة العين من البلد.

فبناء على هذا الاجراء الذي سلكه المجتهد خف الامير وقابل الطاهرة مرة أخرى وبعد هذا كرتها قر القرار على عقد مجلس للمناظرة بين الطاهرة والمجتهد آقا عبدالله. واذا لم يأت هذا

الاجماع بالفائدة المطلوبة، يعدل الى المباهلة بين الطرفين حتى يتميز المحق من المبطل .

ولما أنهى الامير الى المجتهد أمر هذا القرار، سقط في يده ووقع في أعقد ارتباك واضطراب ولم يسعه إلا أن تمارض ولزم الفراش وارتجى من الحاكم أن يمهله قليلا ريثما يثوب اليه صحته وقوته .

وبينا هو يتظاهر بذلك سود في الظلام خطابين أحدهما الى والد الطاهرة ملا صالح والآخر الى عمها الحاج ملا محمد، وأفرغ المسألة في صورة مشوهة مزعجه ومبالغات مضاعفة، وألح عليهما في أن يعملا جهدهما لاعادة قرة العين الى قزوين، فاهتم الحاج ملا تقي والجاح ملا صالح لهذه المسألة وأرسلا بعض من يمت اليها بصلة القرابة مع اثنين من اخوتها للعود بها من كرمانشاه الى قزوين .

فلما وقع علم قرة العـين على ما دبره المجتهد وتـكشف أمره وافتضح ستره نزحت عن البلدة تريدوجهة همدان قبل أن يصل أخواها الى كرمانشاه، وكانت ضوضاء العلماء وزمجرتهم قد علت وارتفعت وتناهى نبؤها الى أسماع أهل تلك الاكناف جميعاً وانشعبت السكان الى قبيلين قبيل تراءى بالمسرة والبهج للعلماء وقبيـل آخر أخذه الحزن والاسف على فراقها لحرمانهم من معين بيانها وسلسبيل عرفانها .

وأما الطاهرة فأخذت في التسيار، ولما وصلت الى قصبة « صحنه » عرجت اليها وعدنت بها ثلاثة أيام ثم دعت أعيـان

البلدة ووجوهها وتذاكرت معهم وبشرتهم بظهور الباب ثم استمرت في طريقها الى همدان .

وجاء في رسالة المرحوم آقا محمد مصطفى البغدادي ان الطاهرة وصحبها أصيبوا بضروب التعدي والأذى من ضرب ونهب ، وكان الجالب لذلك ما أتاه آقا عبدالله المجتهد من المكايد بتآمره مع رهط من أقاربها الذين وصلوا الى كرمانشاه قبل ورود أخويها ومضى الجميع ليلا مع « صفرعلى سرتيب » الى منازل الاحباء هجومهم عليها وضربهم ونهب أموالهم . وان الحاكم لما تناهت القضية اليه استرد الاموال وأعادها الى أربابها .



مدينة همدان

همدان بلدة من البلاد الايرانية القديمة واقعة في الجهة الغربية منها، فيها من المتنزهات مايسر النفوس ويبهج الانظار ومن الرياض والغياض ماينـــدر وجوده وتوفره في سائر تلك الديار، وكانت قديماً عاصمة ممالك عدة من السلاطين الساسانية وكانوا يدعونها بدار السلطنة واسمها العتيق (كباتان) ودامت من زمن بعيـد مركزاً معروفاً وملجأ أميناً لطائفة اليهود وفيها وقعت واقعة (استير) وما كان (لاردشير) نحوها من المحبة وما حصل لها ولعمها مردخان وما فتئت اليهود تحج الى ضريحيهما حتى يومنا هذا، الى غير ذلك من النواجم والاحداث مما هو محفوظ في ذمة التاريخ .

ولا يخفى على مطلع ان هذه المدينة العظيمة لم تزل مركزاً لليهود يسكنها العدد الوافر منهم، ولـكنهم كانوا على الدوام في متاعب ومشاق تزيد تارة وتنقص أخرى حسب الحوادث. وماوافى العالم هذا القرن البديع وارتفع نداء الامر، حتى أقبل فوج عظيم منهم عليه واعتنقوه ودخلوا في ظل البهائية على انهم في بدء ايمانهم لم تستثنهم الايام والظروف ووقع عليهم من الشدائد والاهوال والمظالم مايطول شرحه، جرها عليهم قيام المسلمين والحاخامات ضداً لهم واهاناتهم وتـكفيرهم، أضف الى ذلك تعرض العامة لهم.

ولـكن لم تمض مدة قليلة حتى انجابت هذه السحب والغيوم

وانقضت أيام ذلتهم واستقبلوا عهد رقيهم وأصبحوا يشار اليهم بالبنان في جميع بلدان ايران .

وكان أول من بذر بذور تلك التطورات هنـــاك السيدة الطاهرة قرة العين، ووقع ذلك في غضون مقامها بهمدان ، وسوف نأتي (بمشيئة الله) على شرح أحوالهم وما خدموا به الامر مفصلا في محل آخر .

وعند ورود الطاهرة على تلك الحاضرة نزلت ومن معها من السيدات والسيد احمد اليزدي (والد كاتب وحى حضرة الباب) وملا ابراهيم المحلاتي والشيخ صالح الـكريمي في منزل واحد ، وأما سائر الاصحاب (وعددهم يناهز الثلاثين) فنزلوا في منـــازل أخرى .

ومدينة همدان قريبة الموقع من كرمانشاه على ما لايخفى لذا وصلت اليها الانباء بأحوال الطاهرة بسرعة ولهج بذكرها الـكبير والصغير من الاهلين ، فمن أجل ذلك ومن أجل ان تلك المدينـة كانت أحد مراكز الشيخية ، والطاهرة معروفة بأنها من زعمائهـا أسرع أهالى تلك المدينة لمقابلتها ، واستقبلوها بالاكرام والترحاب والاحترام .

وما عتم البعض أن أجاب دعوتها وآمنوا بحضرة البـاب ولم يقف بها الامر عند هذا الحـد بل قامت بجلائل الخدمات في ذلك الصقع .

وأما أخوا الطاهرة ومن كان معهما من الرجال فانهم بعد وصولهم الى كرمانشاه علموا باقلاع الطاهرة الى همدان فاستمروا في طريقهم الى أن بلغوها. وكان ذلك بعد ورود الطاهرة بمدة، وبعد دخولهم الى المدينة لم يجسرا على مطالبتها بالعودة الى قزوين واكتفيا بمجرد عرض هذا المقترح عليها في كمال أدب وخضوع فقبلت منهما الملتمس قائلة (يجب علي أن أقيم في همدان تسعة أيام أخر أبلغ الناس فيها أمر مولاي وأقيم البراهين وأفحم بالحجة علماء هذه البلدة كما أتيح لي في كرمانشاه وبعد ذلك يصح لي أن أكون معكما الى الوطن)

وبالجملة فانه لم يمض على ذلك إلا ثلاثة أيام حتى حمي وطيس البحث والمناقشة وخفت الطاهرة الى القلعة حيث كان منزل «بهمن ميرزا» وفاوضت نساء الامير وأبلغتهن الامر فأجاب لها اثنتان جليلتان احداهما «نواب حاجيه هانم» والدة محمد حسين خان حسام الملك والاخرى (حاجيه هانم) حرم ناصر الملك الاكبر.

وكانت هذه الاخيرة أكمل ايمانا وأشد ايقانا فوقع عليها من الحوادث والكوارث في سبيل الامر مايطول بنا شرحه، وقد تشرفت في مدينة بغداد بحضرة بهاء الله وانجذبت انجذابا أفضى بها الى أن صارت تنظم القريض في وصف حضرته ونعته، وكان لبلاغة شعرها التأثير الكلي فانها كانت من العلم والفضل

والاكمال فى المحل الاسمى والمنزله القصوى .

أجل ، ان ماقامت به الطاهرة من جلائل الاعمال وعظائم الخدمات وما أبدته من بلاغة البيان وذلاقة اللسان وقواطع الحجة والبرهان ، أثر في كبراء البلد وأمرائه حتى أدى ذلك الى أن عقد الامير (خانلر ميرزا) مجلساً في دار الحكومة ودعا اليه لفيفاً من العلماء والعرفاء ولما تم عقد المجلس أخذت الطاهرة تذاكرهم في المواضيع الاستدلالية على الامر من وراء حجاب حسب عادتها ، وأفاضت في البيانات التي سبت الالباب وتركتهم يعترفون بفضلها وعلمها وعظمة شانها ، ومن جملتهم الحاج ميرزا على تقي فانه مع ما كان له من اليد الطولى في العلوم والفنون وما كان له من الاتصال بأهل التصوف والعرفان ، أقر بجلالتها وفخامتها ، وامتدح علمها وعرفانها وأدبها ، وأثنى عليه الثناء البليغ وان لم يجاهر بايمانه وايقانه .

ولما كان «ملا لالازار» و « ملاالياهو » من العلماء المعروفين بين الطائفة الاسرائيلية في مدينة همدان ومن مشاهير أحبار ذلك الاوان ، دعتهما الطاهرة الى المقابلة وأخذت تفيض عليهما بالشىء الغزير من آي التوراة وكتب الانبياء التي تثبت حقيقة هذا الامر وتتنبأ به حتى أخذتهما الدهشة وتملكهما العجب من سعة اطلاعها على الكتب المقدسة فألقيا عليها أسئلة شتى أجابتهما عليها بما أقنعهما ثم استأذناها في الانصراف وانصرفا مع كمال الخضوع

والخشوع ، وكان هذا أول اجتماع بذرت فيه الطاهرة البذور الدينية الجديدة في قلوب نقباء ونجباء بني اسرائيل .

وكتبت الطاهرة في تلك المدة القصيرة التى قضتها بهمدان رسالة خاطبت فيها عميد علماء تلك المدينة وأثبتت فيها حلول مواعيد (الموعود المنتظر) برمتها وعززت ذلك بالحجة والدليل والبرهان وطبقته على الآيات والاحاديث الصحيحة المعتمدة وبعثت بها مع الفاضل المحلاتي الى العميد المذكور فسار اليه وصادف قدومه عليه التفاف عدد كبير من العلماء والطلاب حوله وإبداء الجميع استياءهم الشديد من قيام امرأة واقامتها هذه الضوضاء التي غلبت بها معظم العلماء على أمرهم .

فدنا السيد المحلاتي من المجتهد ، ووضع الرسالة على مقربة منه ولما فتح المجتهد الرسالة وقرأ مطلعها ووجد انها دعوة الى الايمان بالامر الجديد ، استشاط غضباً وحفيظة واحتد وأخذ يلعن ويسب بأشنع الفاظ الطعن والسباب ، فعند ذلك أجابه ملا ابراهيم ناصحاً له بقوله : (ليس من شأن أهل العلم والعرفان مقابلة الدليل والبرهان باستعمال لسان الطعن والقدح) فاضطرم المجتهد حقداً وحنقاً من تلك الاجابة وأمر بضربه واهانته ، فهجمت عليه الطلاب والعلماء وأوسعوه ضرباً حتى أشرف على الهلاك ، ثم سحبوه وألقوا به خارج المنزل .

فقام بعض من أهالي تلك الناحية الذين لم يستحسنوا من

المجتهد هذه الفعال ولم ترقهم تلك الاعمال وبعض آخر ممن سمعوا كلمات الرسول الحلاني المعقولة المقبولة فاحتملوا الجسد على أكتافهم الى منزل الطاهرة . ولما سمعت الطاهرة تفاصيل الواقعة ظهرت دلائل السرور على طلعتها ، وأمرت الاصحاب بمعالجته فاهتموا بذلك وبذلوا الخدمة والهمة ، ولم ينقض أسبوع حتى تماثل للشفاء ، وعلى أثر هذا الحادث أقلعوا جميعاً من همدان ميممين شطر قزوين وكانت الطاهرة تكرر هذه الجملة الآتية على مسامع ابراهيم الحلاني وهي قولها له (طوبى لك وصلى الله عليك بما قدمت نفسك فداء لاعلاء كلمة ربك الاعلى) وكانت البرهة التي مرت منذ أن غادرت الطاهرة مدينة بغداد الى وقت اتجاهها نحو قزوين وتضمنت كل هاتيك الوقائع ، سنة واحدة ، وهي سنة ١٢٦٣ ه

قرة العين في قزوين

لما اعتزمت قرة العين المضي الى قزوين أمرت فريقاً من الاحباب والاصحاب العرب بالاوبة الى العراق العربي ، وزودتهم بالادعية الصالحة ومضت هي مع سائر أصحابها الى قزوين وكان أكثرهم من الاعاجم ولم يكن بينهم من العرب الا اثنان فقط من نبلائهم نذكر منهما الشيخ محمد شبل وبعد وصولهـــا الى ذلك النحو ،قضت أيامها الاولى فيه بالمباحثة والمناقشة مع والدها وعمها الحاج ملا تقى . بيـــد ان والدها لم يسعه إلا الصمت والسكوت وانسحب من ميدان البحث ، وأما عمها المـذكور فلم تزده الايام وتكرار الاخذ والرد إلا إمعاناً في الاعتراض والعناد والاشتداد فى التنكير واللجاج .

وفي خلال ذلك تقدم الاقرباء اليها يلتمسون منها أن تصطلح مع قرينها ملا محمد إمام الجمعة وأن تلزم بيته للقيام بأعماله ، ولكن ما سلف من هذا القرين معها من أعمـال المعارضة لها فى إيثارها مسلك الشيخية ، ومقاومته لها في اعتناق أمر الباب ، منعها من قبول هذا التكليف وكان جوابها عليه أن قالت لهم : (لم يكن الخبيث ليقع كفؤاً للطيب قط) فأوقع هذا الجواب في نفوس الملتمسين العداء وقطع عليهم الرجاء وتم النفور النهائي

ولا يخفى ان سيدة مثل قرة العـين بذت الرجال فى العلم

والعرفان ، وذاقت روحها من حلاوة شهد الفضل والايقان وأدهشت كل من سمع بياناتها الفائضة من لسانها الطلق، لن تقبل قط أن تقيم صاغرة كسائر النساء في منزل قرينها المستبد المنتقد لجميع أعمالها وأقوالها وسلوكها وتقبع في كسر بيتها مكتفية بالاشتغال في بسائط الامور المنزلية وتجعل نفسها أسيرة في يد شخص فيه من الاطوار والاخلاق مثل ما كان عليه ابن عمها هذا . فلا جرم لم تقبل بوجه من الوجوه أن تجيب هذا الطلب ورفضته الرفض البات ووقع حينئذ فراق البينونة بينهما وصرفت النظر عن أولادها وتركتهم .

ولما كان السبب الاولى والاساس الاصلى فيما طرأ على أفكار الطاهرة وأطوارها من الانقلاب والتجدد ، هو طائفة الشيخية ومبادئها ، جعل عمها ملا تقي يرتقي المنابر بعد كل صلاة وينهال باللعن والسب والطعن على الشيخ والسيد ، ويوسع الطائفة شتماً وقدحاً وقذفاً وجرحاً وينهى الناس ويزجرهم عن اتباع تعاليمهما وسلوك سبيلهما .

ولما خرج الحاج ملا تقي عن دائرة التروي ، وجاوز الحدود في ابداء البغض والشنآن الشديد للطائفة الشيخية ، وطفح الكيل بالصخب والعدوان ، نفد صبرهم واحتمالهم فأصر بعضهم أخيراً على قتله . وفي هذه الغضون أمرت الطاهرة جميع أصحابها بالنزوح عن قزوين ولم يبق منهم سوى الشيخ صالح الكريمي وملا

ابراهيم المحلاتي وميرزا صالح الشيرازي وما كان بقاؤهم على الاقامة الا لانها لم تأمرهم بالترحل .

ولقد تضاربت الآراء في تعليل حادثة قتل ملا تقي هذا فقيل ان الطاهرة كانت طاهرة الذيل من هذه الواقعة ولم يكن لها يد فيها وما رحل أصحابها إلا لاخماد نار الفتنة وقطع دابر الشقاق على ان أعداءها قالوا بأنها هي العامل الاكبر في هذا الحدث وزعموا انها ماقصدت من رحيل أصحابها إلا خلاصهم من الوقوع في المصائب .

والذي زاد في نفرة القلوب من الحاج ملا تقي وكرّهه الى النفوس وانضاف الى هياجه المذكور على طائفة الشيخية، وقوع حادث آخر .

وتفصيله ان ملا جليل الارومي قدم قزوين في خلال هذه الاحداث وهو أحد تلاميذ الشيخ الاحسائي وكان ذا زهد ورجل وداعة ولين جانب خالياً عن الكبرياء والعجب والخيلاء ، ولما ارتفع نداء النقطة الاولى سابق الى التشرف بحضوره وعانق الاذعان والايمان فصدرت له الاوامر بالسفر والتسيار والطواف في النواحي والديار للتبليغ ونشر الامر ، وبينما كان يتجول في البلدان والاقطار اجتاز بمدينة قزوين ، وعواصف الخصام والنزاع في ابان ثورانها وبركان الجدال في فورانه بين الطاهرة وعلماء البلد فاشتغل بالتبليغ وفاقاً لما لديه من التعليمات ،فلم يكد هذا النبأ يقرع

مسامع الحاج ملا تقي حتى انبرى لبث الفتن وايقاظ الشحناء والاحن ، وأرسل بضعة من الطلاب فقبضوا على ملا جليل هذا وساقوه الى منزله . وهناك اندفع بلا ترو في عواقب الامور ولا تهيب من التبعات الى ضربه وشتمه ، ثم أحضر (الفلق) وشد بها رجليه وأصدر الامر الى الطلاب بضربه .

ولما بلغ مسامع أفراد الطائفة الفرهادية هذا الخبر ، قام الحاج (الله ويردي) والحاج (أسد الله) وجماعة آخرون الى منزل الحاج ملا تقي ، وبعد المقاومة الشديدة ، وبشق الانفس ، أنقذوا ملا جليل من براثنه ، فتفاقم الخصام واستشرى العداء بهذه الواقعة واستحكمت البغضاء بين الحاج ملا تقي والطائفة الفرهادية . ومن جراء ذلك عزى الناس قتل الحاج ملا تقي الى ميرزا هادي وقالوا انه بطل هذه الرواية

مقتل المجتهد الحاج ملا تقي

أصح ما أثبت من تفاصيل هذه الواقعة هو مايلي: كان في مدينة شيراز شاب يدعى ميرزا صالح يميل بعظيم الميـل الى الشيخ والسيد ويخصهما بفرط المحبة، وهو وان كان معروفاً «بميرزا صالح الخباز» إلا انه لم يكن ثم شك في علمه وفضله وتحصيله ولا في كونه من ذوي الفراسة والتحقيق والذوق السليم.

فهذا الشاب لما رأى ان الحاج ملا تقي لاينى في بذر بذور الشقاق والعداء في قلوب الناس وجعل يحثهم في كل يوم على إثارة الفتن والمشاغبات ويصعد المنبر عقب كل صلاة ويتشدق بلعن الشيخ والسيد وسبهما، صمم على قتـله وإزاحته عن جميع المجتمع عسى أن تسكن تلك الفتنة وتخمد نارها.

ومما ضاعف بغض هذا الشاب للحاج ملا تقي ودفعه الى الاسراع في تنفيذ فـكرته، مقابلة جرت بينه وبين نفر من تلاميذه وسماعه منهم الاخبار الـكثيرة عن فساد أخلاقه واختـلاسه واقباله على أخذ الرشا وحبه للدنيا وعبادته للدرهم والدينار، لذا أقدم على قتله من غير ماهيبة ولارهبة، وجاء في بعض الروايات ان ميرزا هادي الفرهادي كان شريكه في هذا الصنع لولا ان آخرين يصرون على ان هذا الفتى أقدم على هذا العمل وحده، وأكثر الروايات على ان وقوع هذه الحادثة كان في أثناء طريق

الحاج الى المسجد .

وتفصيلها ان ميرزا صالح هذا انتهز فرصة مرور الحاج من ذلك الطريق وهجم عليه وجعل يضرب به بهراوة محددة الرأس فأصاب رأسه ووجهه وبطنه ، ولم يزل يضرب به ضربا مبرحا حتى اعتقد انه مات فتركه وركن الى الفرار

ولكن الحاج لم يلفظ النفس الاخير في تلك الساعة ، ولم تمض مدة عليه وهو في تلك الحالة حتى اجتمع حوله مريدوه وأقاربه وحملوه الى منزله فعاش ثلاثة أيام أوصى في غضونها بأن لا يعتدى على امريء في سبيل قضية قتله لانه عفا عن القاتل وسامحه.

ورغماً عن هذه الوصية قامت الجلبة على ساق وقدم بعد وفاته، وشق ابنه (امام الجمعة ملا محمد) جيوبه ،وأسرع الى دار الحكومة مستغيثاً من البابية والشيخية وهو يبكي وينتحب فأحدث هياجاً اشتد الى أن أصبحت حياة الطاهرة ومن معها من الاحباء بقزوين في خطر عظيم .

وأخذت القضية مجراها من التحقيق واتهموا ميرزا هادي الفرهادي بقتله فخف الى طهران . ولما تأججت نيران الفتنة واندلعت ألسنة لهبها التي كادت تلتهم المذنب والبرىء ذهب ميرزا صالح الى دار الحكومة وهناك أبدى شهامة عظيمة إذ اعترف بأنه هو قاتل الحاج ملا تقى وقال :(إذن فلا داعي الى تعذيب الابرياء)

ورغماً عن ممانعة لفيف من الموظفين له في سبيل هذا الاقرار لم يجد سعيهم بطائل بل أصر على إقراره وثبت على اعترافه فأحضر لدى الحاكم فلم يكن منه الا ذلك ، وعند ما قيل له (لماذا لم ترحم شبابك ولا شيخوخته وقتلت شيخ العلماء) أجاب بقوله (إنه لم يكن عالماً بل كان لصاً سارقاً لانه سرق من بستان أبي حنيفة بضعاً من حبات عنبه ، وكان بهذه الحيلة يفتري على المساكين من الناس ويعتدي عليهم ويجرح قلوب الخواص ويحط من قدرهم) ثم شرح مقصوده من هذه السرقة « بأن العلوم التي كان يفتخر بها ملا تقي كالفقه والاصول هي من ثمار بستان أبي حنيفة فالاشجار غرس يده ، والبستان صنعه وتأسيسه ، ومهما اجتهد العلماء الذين من هذا القبيل لم يمكنهم أن يحصلوا الا على قليل من حبات عنب هذا البستان ، وما كان من المعلومات بهذه المنزلة والقدر لا يبلغ بعارفه تلك المرتبة الرفيعة التي هي زعامة العلماء ، ولا يؤهله لادعاء العظمة والكبرياء ، ولا يجعله بحيث يسمح له الناس ببث تلك المفاسد والشرور . وأما العالم الحقيقي فهو من استقى الناس من فيضان نهر علمه وعوارفه ، واقتبسوا من نبراس فضائله ومعارفه ، وخدم مصالح النوع الانساني بحق ، وفتح فى أوجه العالم أبواب الرحمة ، ونجى الناس من المشاكل الدينية الجمة ، وأراحهم من محاذير الخلاف والخصام » فاندهش الحاكم وحاشيته من بيان الرجل واقراره وهالهم جرأته وبسالته ولكنهم ساقوه الى السجن

دون أن يطلقوا سراح من سبق توقيفهم ، وانتهت هذه الواقعة بقتل خمسة أشخاص وهم ميرزا صالح هذا الذى أقر بأنه القاتل للحاج ملا تقي ، وملا ابراهيم المحلاتى ، والشيخ صالح الكريمي ، وشخصين آخرين لم يثبت التاريخ بعد اسميهما وعسى أن يتيسر لمن يريد سد ثغرات هذا الكتاب الوقوف عليهما فيدمجهما في صف الشهداء .

رحلة الطاهرة الى طهران

بالرغم عن وصية الحاج ملا تقي بالعفو والصفح عن القاتل قتل بالحاج ابنه امام الجمعة خمسة أشخاص ثمناً لدمه . ومع هذا لم يكتف امام الجمعة بذلك القدر من القصاص وما انقعت به غلته بل ابث يسعى أوجف السعي لالصاق التهمة بآخرين ويحرض على الفتك بهم ، وكان غرضه الاوحد هو التوصل الى اعدام الطاهرة ليأخذ بثار دالقديم منها ، أما الطاهرة فكانت في تضاعيف سير هذه الفتنة سجينة بحرم سراي الحاكم تحت خفارة موظفي الديوان وحراستهم أكثر الاحيان ، وفي بعض الآونة كان يخلى سبيلها لعدم ثبوت إدانتها حتى تضاعف القيل والقال في شأنها وشاعت في جانبها الاراجيف المتنوعة ووقعت تحت خطر عظيم .

وأصبح ممتنعاً عليها أن تبارح قزوين لان بعضاً من أصحابها هجروا البلد وسافروا الى أنحاء أخرى ، وبعضا كانوا في غيابات السجون يعانون مرائر العذاب ، أضف الى ذلك انها كانت تحت المراقبة الشديدة من رجال الحكومة المأمورين بذلك ، وعلى هذه الحال لبثت برهة طويلة الى أن يئست من الخلاص والحياة . فكتبت تفاصيل الوقائع وبعثت بها الى حضرة بهاء الله بطهران ، وكان ذلك بعد أن طار صيت حضرته وطبقت شهرته البلاد ، وعرف بانتمائه لهذا الامر منذ قام حضرة الباب بالنداء . وأضحى

المشار اليه بالبنان في جميع الشؤون والاحوال ، وملجأ الاحباء ومحط رحال أمانيهم وآمالهم .

فلما وصلت عريضة الطاهرة الى ساحة حضرته المباركة أمر ميرزا هادى الفرهادي ووجه اليه الخطاب قائلا: (يجب عليك أن تشخص الى قزوين وتتوسل بالوسائل الناجعة لانقاذ الطاهرة وتأتي بها الى طهران) فخف ميرزا هادى الى قزوين وطرق جميع الابواب والذرائع وبعد اللتيا والتي أتيح له انقاذ الطاهرة بوساطة بعض ذوات قرابتها من السيدات، وكان ذلك بتدابير غريبة في بابها جداً ، فأخرج الطاهرة الى ظاهر قزوين ، وعند ما اعتكر الظلام أحضر ثلاثة من صافنات الجياد ، وأركب حضرتها جواداً ، وركب برفقتها خادم يدعى (قلى) جواداً آخر ، وركب هو ثالثا وساروا يطوون الارض طيا متجهين وجه طهران .

وروى بعض المؤرخة انه لما تقرر عقد مؤتمر عام بين جميع البابيين رأى الزعماء من الضرورى حضور الطاهرة بذلك المؤتمر فأوفد حضرة بهاء الله ميرزا هادى المذكور لانقاذها والاتيان بها فكان ذلك على ماسردناه .

وبوصول الطاهرة الى طهران تلقاها حضرة بهاء الله ومضى بها تواً الى منزله ، وعند ماقابلته لاول مرة شعرت باحترام عظيم نحوه ، ومن العجيب (على ماروي عنها) انها رغم ما كانت عليه من طلاقة اللسان وبلاغة التبيان واقتناصها لعقول علماء الزمان بقوة

الحجة والبرهان كانت تجلس في حضور حضرة بهاء الله في صمت واطراق واحتشام كما يجلس التلميذ بين يدي أستاذه متطلعا للاستفادة من بحر علمه ، ولقد تبين أخيراً من محرراتها وشتيت اوراقها انها كانت قوية الظن بل اليقين بما كان لحضرة بهاء الله من سمو المقام وعلو المكان مما سنأتي على شرحه ان شاء الله . وسوف نشبع هذا الموضوع بحثاً في موضع آخر ، ونتحف القارىء ببعض خطب الطاهرة ومناجياتها البديعة التي وفق المؤلف للعثور عليها بعد تكبد عظيم المشاق وبذل اكبر الجهود. وقبل ان نشرع في سرد تفاصيل اجتماع (بدشت) العظيم نختتم هذا البـاب برواية قصها الخادم (قولى) فنقول :

قلنا انه حينما انقـذ الطاهرة ميرزا هادي من قزوين وسار بها الى طهران حتى وردت اخيراً على حضرة بهاء الله كان معها خادم يدعى (قولي) وهناك غموض في امر هذا الخادم هل كان خادما للطاهرة او لميرزا هادي ، وكيفما كان الحال فانه روى هذه الرواية وقال :

(لما سافرنا من قزوين واقتربنا من البلد المقصود نزلنا بمحل يقال له (اندرمان) وهو قريب من نزل (الشاه عبدالعظيم) في طهران ، وبنزولنا ناولتني الطاهرة خطاباً وقالت اذهب الى طهران وامض الى دار ميرزا بزرك النوري وسلم هذا الخطاب لابنه الارشد ميرزا حسين على واتنى بالرد، فقمت صباحا واوصلت

الخطاب ثم عدت . وفي اصيل هذا اليوم حضر حضرته الى (اندرمان) ومعه جماعة ، وبعد المقابلة والاستراحة قاموا للتوجه الى طهران . فركبت الطاهرة جواداً من جملة خيل كثيرة جيء بها مع حضرة ميرزا حسين علي النوري وركبت انا ايضا وتيممنا سمت طهران فوصلنا اليها بعد ساعة واحدة من الغروب ونزلنا بمنزل حضرته

وفي غمار تلك الايام كان يفد أناس من الطبقات الوجيهة زرافات ووحدانا لزيارة الطاهرة ، وفي ذات يوم خرجت الى السوق ثم أبت الى المنزل فالفيته خاليا لاديار به الا خادم واحد قال لى انهم أبقوا لك فرساً كي تلحق بهم بعد تناول الشاي الى (مسكر آباد) المجاورة (لسرخه حصار) فاطاعة للامر قمت مسرعاً ولحقت بهم ، وعند وصولي شاهدت خياماً وفيرة العدد منصوبة وجمعا عظيما منهم من كان يرد لزيارة الطاهرة بطهران وكنت أعرفه من قبل ، ومنهم من لم يسبق لي رؤيته قبل هذا الوقت قط . ولما علمت الطاهرة بوصولي استدعتني وقالت لي : (هل ترغب ان تكون بابيا وتقيم معنا حتى أشرح لك فيما بعد الادلة التي تبرهن صدق هذا الامر أو ترغب أن ننقدك مبلغاً من الدراهم ونأذن لك في الانطلاق الى وطنك؟ فأجبت : (ان المال احب الي من الدين) فنحتني ما أرضاني وقالت انك الليلة ضيفنا وفي صباح الغد يجب ان تؤوب الى طهران ومعك هاتان القبضتان من النقود .

وبعد تناول العشاء في تلك الليلة شد الجمع رحالهم وسافروا ومعهم الطاهرة وبقيت أنا مع نفر من الذين كانوا يتخوفون من اسم البابية ويرون وجوب المحافظة على أرواحهم وأموالهم . وبعد ان أقمنا يومين عدنا الى طهران ، وعلمت اذ ذاك ان الجمع ولى وجهه شطر خراسان)—انتهت .



مؤتمر بدشت

في عام ١٢٦٤ هـ عقد أكابر اصحاب الباب وعظماؤهم مؤتمرا فخما واجتماعا مهما في بيداء (بدشت) ودار جل ابحاثهم حول نقطتين: الاولى طريقة انقاذ الباب من اعتقاله والثانية مسألة النسخ وهل للفروع الاسلامية تبديل في هذا الامر ام لا .

وتفصيل هذا النبأ انه بعد ورود الطاهرة على طهران تحرك الجميع منها يريدون خراسان منشعبين الى شعبتين الاولى كانت برئاسة القدوس وباب الباب وهي التي تقدمت في المسير والثانية كانت تحت رئاسة حضرة بهاء الله والطاهرة ، وكان مسيرها عقيب الاولى . ولما وصلوا الى بادية (بدشت) حطوا الرحال ونصبوا الخيام . وبدشت بلد معروف بجودة هوائه وهو واقع على نهر (شاهرود) بين خراسان ومازندران ، ومصاقب لموقع (هزار جريب)

ان معظم التواريخ اغفلت ذكر كثير من الابحاث التي دارت في هذا المؤتمر لذا نرى الروايات التي جاءتنا بها الرواة والنقلة مشتتة متضاربة بيد أن الامر الذي اتفقت عليه كلمة الجميع هو ان مذاكرات المؤتمر كانت دائرة حول النقطتين اللتين اسلفنا بيانهما . ولم تكن الغاية من هذا الاحتفال الفخم غير البت فيهما ورسم الخطة المثلى التي يجب على الجميع اتباعها والجري على موجبها .

واما ما هي اسباب ذلك ، فهو ان حضرة باب الباب بعد سفره الى ماكو ومشاهدته طلعة الاعلى وما هو فيه من السجن والمظلومية غـدا مشوقا للعثور على طريقـة تخول له انقاذ حضرته مما هو فيـه وفتح باب المكاتبة والمراسلة بين الطاهرة وبينه وكان يفهم من التوقيعات الصادرة اليها من قلعة ماكو ان الوقت وقت الحركة والقيام، والزمن زمن الاهتزاز والابتهاج، وانه يلزم الاقدام المتواصل على التبليغ واتمام ما هنالك من الخدمات وان الصمت والسكون لا يجوز بحال من الاحوال : وكان أيضاً حضرة بهاء الله على اتصال دائم مع حضرة الباب بواسطة المكاتبة، وا كثر الاصحاب على علم تام بمقدرته واحاطته بكليات الامور يعترفون له بالفضل في جميع الشئون، وبالرجحان عليهم في قوة الادراك ونفوذ النظر، وكانوا يعدون استشارته والاستنارة بافكاره في جميع الاعمال حقاً واجباً عليهم، وكانت تكاليف الامر الجديد مغلقة غامضة على الاحباء حتى ذهب فريق منهم الى ان هذه الحركة تابعة للشرع الاسلامي في الجزئيات والكليات ورأوا انها تبيح لهم الاقتداء بهـديه في أصغر المسائل الفرعية ، وتمسك البعض بانها أمر مستقل وشرع مستأنف .

وكان الاحباء بادئ ذي بدء يستفتون الطاهرة كلما عرض لهم امر مشكل تتضارب فيه الآراء، وتتباين في حله الاذواق فتجيبهم عليه تحريريا أو شفهيا مقنعة اياهم بفتاويها ، ولـكن لما تشرفت

بحضور حضرة بهاء الله اضربت عن الاجابة ورهنت الافتاء باستشارته ، فصارت تعرض على حضرته المسائل في السر والعلن ثم تصدر الاجابة والافادة .

وبالاجمال فان الكبراء لما رأوا ضرورة كشف الستار عن الامور المبهمة الغامضة وانارة الافكار و توحيدها، قرروا عقد هذا الاجتماع في تلك البيداء النائية عن ضوضاء المدن الآهلة بالسكان العامرة بالبنيان التي هي نزهة الناظرين . ومما يدل على ان نفوذ حضرة بهاء الله أخذ يظهر من ذلك الحين رواية رواها الحاج مهدى الاصفهاني أحد المعروفين بالتقوى والتعبد في الاسلام وذلك انه في أثناء اجتيازه ببدشت قاصداً زيارة مشهد خراسان صادف مروره اجتماع البابيين هناك فلما آب الى وطنه قال: (حينما وصلت الى برية بدشت رأيت أمراً عجيباً وغاية في الغرابة وهو ان جمعاً من متعممين وغير متعممين قد نصبوا الخيام ورفعوا القباب في تلك المفازة المخيفة وبالسؤال عنهم علمت أنهم من البابيين وكان أكثرهم من أهل العلم والتقوى يصلون جماعة ويؤمهم شاب ذو شعر مرسل كشعر الاوانس يلبس « كلاهاً » وقد علمت فيما بعد أن هذا الفتى هو بهاء الله أي ميرزا حسين على بن ميرزا بزرك النوري أحد أبناء وزراء ايران) اه

ولنعد الى ما كنا بصدد تقريره فنقول : لما تم عقد اجتماع الاحباء في بدشت شرعوا في البحث وكانت مجالسهم متنوعة الى

طبقتين الطبقة الاولى المجالس الخاصة وهي التى تعقد بكبراء الاصحاب وعظمائهم والطبقة الثانية المجالس العامة وهي التى تعقد بمن سواهم . وكان كلما تم عقد مجلس من هذه المجالس العامة يرتقى منبر الخطابة فرد من الاصحاب المعروفين ويخطب في الجمع المحتشد شارحا لهم معلوماته ونظرياته وعارضاً عليهم مااستنبطه بفكره من النتائج ، وفي مختتم خطبته يذكر الجمهور بما يجب أن يسير عليه نحو انقاذ الباب من اعتقاله .

أما المجالس الخاصة فكانت المذاكرات التى تجرى بين خواص الاحباء وأكابرهم فيها تدور حول تغيير الفروع وتجديد الشريعة .

وبعد أن أقر الرأي العام على وجوب السعى فى تخليص حضرة الباب وانقاذه قرر أيضاً ارسال المبلغين الى النواحى والاكناف ليحثوا الاحباء على زيارة الحضرة فى ماكو مستصحبين معهم من يتسنى استصحابه من ذوى قرباهم وودهم، وأن يجعلوا مركز اجتماعهم ماكو حتى اذا تم منهم العدد القيم الكافي طلبوا من محمد شاه الافراج عن حضرة الباب ، فاذا لبي الشاه طلبهم فبها ونعمت والا أنقذوا الحضرة بصارم القوة وحد الاقتدار .

وعلى أثر هذا اذيع فى الجمهور ان يجتنب بقدر المستطاع التعرض للاغيار والجدال معهم وأن يعاملهم بالتى هي أحسن كيلا يخرج الامر الى حد الطغيان والعصيان على الدولة .

وبعد أن تم تقرير هذه الامور وتقبلها وعرفها الجمهور

واستصوبها الحضور دار البحث حول الاحكام الفرعية من حيث التبديل وعدمه .

وتبين بعد المذكرات الطويلة التي دارت في المجالس الخاصة بين أكابر الاحباء أن معظمهم يعتقد بوجوب النسخ والتجديد ويرى ان من قوانين الحكمة الالهية في التشريع الديني أن يكون الظهور اللاحق أعظم مرتبة وأعم دائرة من سابقه وأن يكون كل خلف أرقى وأكمل من سلفه فعلى هذا القياس يكون حضرة الباب أعظم مقاما وآثاراً من جميع الانبياء الذين خلوا من قبله ويثبت أن له الخيار المطلق في تغيير الاحكام وتبديلها .

وذهب قلائل الى عدم جواز التصرف في الشريعة الاسلامية مستندين الى أن حضرة الباب ليس الا مروجا لها ومصلحاً لاحكامها مما دخل عليها من البدعة والفساد .

وكانت قرة العين الطاهرة من القسم الاول وهو المعظم، لذا أصرت على وجوب افهام جميع الاحباء، واشعارهم بان للقائم مقام المشرع وحق التشريع — وعلى وجوب الشروع فعلاً في اجراء بعض التغييرات كافطار رمضان ونحوه ، وأما القدوس فانه وان كان على هذا الرأي الا أنه كان متمسكا بالعادات الاسلامية فصعب عليه تركها . هذا من جهة ومن جهة أخرى خشي احجام الجماعة عن الموافقة ووقوع الخلاف والشقاق بينهم، ولكن الطاهرة كانت مصرة على رأيها وكثيراً ما كانت تقول: (إن هذا العمل

سيبرز الى ساحة الوجود لامحالة وسيطرق هذا القول أذن العام والخاص ، إذن فكلما أسرعنا في الكشف عن هذه الغوامض كان أليق وأوفق وأنفع للامر وللعمل الذي سنقوم به حتى ينفصل عنا كل ضعيف لايحتمل التجديد ولا يبقى معنا إلا كل قوي مخلص يفدي بنفسه هذا السبيل القويم البديع)

وجاءت قرة العين ذات يوم فطرحت هذا الاقتراح الآتي على بساط البحث بين جماعة الاصحاب وقالت : (ان ارتداد النساء في الشريعة الاسلامية لا يستوجب حد القتل بل يستلزم بذل النصائح اللازمة لهن واستتابتهن وتفهيمهن ما يرجع بهن الى ورد التوبة والايمان فلا يتعسر علي اذن أن أميط اللثام وأرفع الستار عن أسرار هذه المسائل حين غياب القدوس عن باحة المجلس حتى اذا وقعت تصريحاتي موقع القبول وصادفت محل الاستحسان من الاحباب تم المرام وبلغنا الغاية وإلا فعلى القدوس أن يباشر نصحي لاعود عن هذا الجنون وأنفض اليد من الكفر وأتوب وأرجع الى أحضان الاسلام) فاستحسن الاصحاب هذا المقترح ولبثوا يتحينون سانح الفرص الى أن ألم بحضرة بهاء الله زكام وتمارض القدوس ولزم الفراش ، فعند ذلك شرعت الطاهرة في تفهيم الاحباء حقيقة المقصود وكشفت السر المكنون من تبديل الفروع وتغيير الاحكام . فلما رن في اذن الجمع هذه التصريحات دار التهامس والتناجي بينهم ففريق أعجب بأفكارها وآخر أخذ

بأطراف انتقادها وذهبوا الى القدوس يرفعون شكواهم منها اليه .
فهدأ القدوس هياجهم ولطف من ثورتهم بلسان اللين والملاطفة وأرجأ الحكم الفاصل في القضية الى حين ملاقاتها واستطلاع الحقيقة منها .

ولما أن وقعت الملاقاة والمقابلة بينهما تباحثا مليّاً وقررا أخيراً أن يعودا الى الاجتماع والبحث مرة أخرى . وقالت الطاهرة انها ستلزمه الحجة وتقيم عليه البرهان القاطع

وفي الميعاد المضروب اجتمعا وتحقق ماوعدت به الطاهرة من الاقناع والالزام، ولكن بالقسر من ذلك لم تهمد الضوضاء وما سكتت دمدمة الصاخبين الناقدين لرأي الطاهرة حتى كان من بعضهم أن جمع أمتعته وأسبابه وتناءى عنهم ولم يرجع اليهم .

وفي أخريات الامر تدخل حضرة بهاء الله في المسألة وابرز من اساليب الحكمة ولطائف الحزم ماهدأ به روع الجميع وذلك انه طلب إحضار المصحف الشريف فأحضر اليه امام الجمع كله ففتحه وتلا سورة (الواقعة) وأخذ في تفسيرها وتأويلها وأفاض في شرحها وبيانها حتى اطمأنت قلوب الجميع وعلموا بأنه لابد من وقوع هذه الواقعات وحدوث هذه الحادثات كلها

وفي خاتمة المجلس تقرر تحرير هذه المسألة ورفعها الى حضرة الباب في ماكو والتماس اصدار الحكم الفاصل الجازم منه فيها، وهذا ماقد كان . ومما علم فيما بعد وتبين ان خواص الاحباء كانوا

على حق وان رأى حضرة بهاء الله كان متفقاً مع حكم حضرة الباب على وجوب تغيير الشريعة وان القدوس وباب الباب والطاهرة كانوا أيضاً قائمين على سواء السبيل وجادة اليقين في ادراكهم وفهمهم أسرار الامر .

أما الذين ضاقت صدورهم ولم تتسع لقبول هذا التجديد العظيم فانهم قاموا بتشويش الافكار وإفساد الناس على زمرة الاحباء . ونجم عن ذلك ما نجم من اغارة عصابة من المسلمين عليهم واعتدائهم بالضرب والسلب وطردهم من الجهة ، فتفرق عندئذ جمع الاحباء الى ثلاث فرق . ففرقة سارت بركاب حضرة بهاء الله متجهة الى طهران . وأخرى ذهبت مع القدوس والطاهرة الى مازندران . وثالثة انضوت تحت لواء باب الباب وانتحت أولاً سمت مازندران ثم ولجت آخراً ناحية خراسان، ولكن الجميع أجمع العزم وعقد النية على تنفيذ ما تقرر في مؤتمر بدشت هذا من التجمع ولمّ الشعث في ماكو والعمل على انقاذ حضرة الباب .

الوصل الثاني

(في شرح حادثة قلعة الطبرسي)

في غابة مازندران قلعة تدعى قلعة الطبرسي ، ونكتة تسميتها بهذا الاسم ان الشيخ الطبرسي الشهير الذي كان أحد كبار علماء الشيعة ومجتهديها ومتميزاً بكثير من المزايا التي بذّ بها سائر العلماء ورجحته عليهم دفن بجوار تلك القلعة ، ولم تزل المقبرة التي بنيت في القرون الوسطى ودفن بها ذلك العظيم قائمة عامرة الى الآن محترمة مقدسة لدى الدهماء ، لذا عرفت المقبرة والقلعة جميعاً بالاضافة اليه .

وتنمّ أطلال تلك القلعة القائمة اليوم انها لم تكن من القلاع ذات الاهمية وانها بدئت مقاما صغيراً ثم تناولتها يد الاهمال والتخريب ، وفي عام ١٢٦٤ هـ الذي نحن بصدد شرح وقائعه ، اضطرت الطائفة البابية القليلة للالتجاء الى تلك القلعة وتجديد بنائها ولكن بعد ان ثوت بها برهة أصيبت بالتخريب ثانياً من حملات جنود الحكومة ، ومن ذلك الحين لم يتحرك امرؤ الى عمارتها بحالة لائقة .

وبالجملة فان أهم الحوادث الغريبة التي وقعت بهذه الطائفة كانت في هذه القلعة وذلك في سنة ١٢٦٥ هـ وان المناوشات والحركات الحربية المتنوعة دامت حولها مدة تتجاوز خمسة شهور .

ان التاريخ لم يوافنا بتشريح علل هذه الحادثة وأسبابها تشريحاً كافياً ومع ذلك فان من تتبع سير الحوادث وما جريات الاحوال تظهر له جلياً هذه الامور الآتية .

لما تدخلت الدولة في أمر البابية وأخذت تتصدامهم اشتدت جرأة الجمهور عليهم وأفرط في الترثب لاضطهادهم والفتك والتنكيل والتمثيل بهم وحيث كان من اول اعتقادات البابيـة الاساسـية وواجباتهم المقدسة القطعية وجوب النهوض الى نشر الامر الذي ايقنوا بصحته وحقيقته والسفر والترحل لابلاغ تعاليمه واذاعتها في كل الديار والامصار ، وانضاف الى ذلك وجوب الشخوص الى قلعة ماكو للاحتشاد هناك طبق ماتقرر في مؤتمر بدشت ، لذا مضوا في هذا السبيل وجدوا في المسير ، فكانوا في اكثر الاحايين يقعون في يد شر الناس وأشدهم تعصباً . وبما ان الدفاع عن الحياة ودرء الاضرار فرضان محتمان صار أكثرهم يحملون السلاح ويسافرون جماعات لايقل عددها عن العشرين نفساً ولم يكن ذلك الا للتخلص والتوقي من الحملات الوحشية التي كان يقوم بها الجفاة القساة .

وبينما الحال على هذا المنوال اذ فوجئت ايران بارتحال محمد شاه فأصبح وقوع تلك الحادثة (حادثة القلعة المذكورة) ضربة لازم بل يسوغ لنا أن نقول بأن وفاة الشاه والتوترات العصبية التي نجمت منذ شيوع الانباء بها ولدت هذه الكارثة الاليمة العظيمة

الجديرة بالتحرير والتدوين في صفحات التاريخ لذلك يجدر بنا أن نقول :

بعد أن ارفض مؤتمر بدشت ظعن باب الباب الى مازندران وفق الامر الموجه اليه من حضرة الاعلى في ما كو، واولع بالتبليغ ولبث ببعض الانحاء برهة اقتضاها الزمان والمكان والحال . ورفع الصوت بالنداء والانباء . وبعد أن أدى مهمته وقام بواجبه خير قيام في مازندران تحرك يريد وجهة خراسان فلم ينقض على ذلك زمان حتى صدر توقيع مبارك من ما كو يستحث من استطاع من الاصحاب على النزوح الى خراسان، ونشر الامر في تلك الايالة كيلا تحرم تلك الجهة من أنوار هذا النبأ الجديد [و]يقع في زوايا الاهمال بين ثنايا ذلك الصقع . فصدعاً بالامر خف حضرة القدوس ومن تسنى له السفر من الاصحاب معه ولم يكن ثمة مانع يمنعه عن ذلك التسيار . وتجول أياما في خراسان يبلغ كل من قابله ويشرح الامر لكل من يسأله ، وكان بذلك تارة مورد الاقبال والاجلال وتارات أخرى موقع سهام الملام والنكال

وذهب البعض الى أن ارتفاع الامر في خراسان كان على يد الطاهرة قرة العين لانها غدت اليها وجاهدت في نشر النبأ واعلاء كلمته هناك ، واذا ثبت أن السيدة سافرت حقيقة الى خراسان فلا بدو أن يكون ذلك مع حضرة القدوس فانه الوحيد الفريد الذي كانت تلك الزهراء تعتمد عليه وتركن اليه في بث أسرارها

ومكنونات اطلاعاتها، ولم يتحاش مؤرخو البابية ذكر هذه الرحلة الا تفاديا عن وهم الواهمين وقطعا لدابر أقوال المفترين وأفكارهم الساقطة المنحطة .

هذا وبعد أن اقام حضرة القدوس مدة في خراسان آب الى مازندران ولبث في بار فروش ، ولم يمض على ذلك الا زمن يسير وأيام قلائل حتى صدرت الاوامر من قلعة ماكو الى باب الباب بان يعود هو أيضاً الى مازندران فكانت هذه الحركة الاخيرة هي التي انتهت بحادثة قلعة الطبرسي .

يقول المؤلف ـ انني وان لم تقع مني العين على التوقيع المبارك (وهو الصادر باسم ميرزا احمد الازغندى) الا ان أمر هذا التوقيع مشهور بين هذه الطائفة معروف لحد البداهة، والكل معترف بأنه يحتوي على البيانات والعبارات المتنبئة بوقوع تلك الواقعة ، وكان تاريخ صدوره يتقدم الحادثة بزهاء شهرين من الزمان .

واجمال الكلام ان جناب باب الباب تحرك مع جمع من خراسان آمّا وجهة مازندران قصد التلاقي مع الاحباب وترويج أمر حضرة الباب ، ولما انتهى به السير الى موقع (ميامى) اجتمع (بالملاّ زين العابدين) أحد تلاميذ الشيخ والسيد ، وكان شيخاً هرما قد طعن في السن مشغولا بالاعتكاف والانقطاع عن الخلق في منزله ودارت بينهما محادثات تجاذبا فيها أطراف المباحث حتى افضت المحادثة والمباحثة الى البشارات والتنبؤات التى تضمنتها توقيعات حضرة

الباب ،فادرك (ملاّ زين العابدين) ان حوادث من الاهمية بمكان ستقع في القريب العاجل من الزمان ، بناء على ذلك دعا سكان تلك تلك القرية الصغيرة الى الامر وكان عددهم لايربو على الثلاثين نسمة .

وبعد ان أبلغهم إياه كلفهم بأن يكونوا رفقاءه في تلك الرحلة وأن يكونوا أنصاره فلبى الجميع طلبه وطابت نفوسهم وانشرحت صدورهم لاجابته ، وفي الحال هبوا جميعاً لاعداد معدات السفر وكان نجل (الملاّ زين العابدين) على انشراح تام وفي كمال البهجة والهزة من تلك الرحلة وهو يومئذ في شرخ الصبا يتراوح سنه بين التاسعة عشرة والعشرين ، وكان أبوه يكرر القول مازحا ومشيراً الى ماسيحدث (بأني أرغب أن أجعل ابني هذا في هذه السفرة عريساً)

أجل ، لقد تجاوزت هذه الرفقة مجرد المرافقة البسيطة وتخطوا حدود الحكمة في التبليغ والاشعار والتبشير والاعذار ، وأخذت حركتهم شكلا غريبا ، وشأنا آخر عجيبا ، فانهم بعد أن كانوا يقطعون شقة في كل يوم صاروا ينزلون للاستراحة ثم يصلون جماعة بامامة باب الباب وبعد الفراغ من الصلاة يقوم باب الباب فيهم خطيبا يحثهم على الثبات والاستقامة واحتمال البليات والصبر عند الشدائد والمصيبات ويزودهم بالمواعظ والوصايا المحذرة عن الزعزعة والافتتان ، ويقيم لهم الادلة والبراهين القاطعة على صحة العقيدة

الجديدة وظهور المهدي المنتظر، وتحقق البشائر المودعة في كتب الله .
فكانت نار ايمانهم بهذا الصنيع تزداد اشتعالا واضطراما ونور محبتهم يتضاعف لألاء وانتشاراً . وانتهى الامر بأن أصبحوا جميعا طوع أوامر باب الباب وهجروا آراءهم وأهواءهم الشخصية منقادين لرأيه الخاص .

وعند ما وصلت هذه القافلة التبشيرية الى حدود مازندران أخذ باب الباب يتمهل في المسير ويخفف من سرعة الحركة حتى صاروا لا يقطعون يوميا الا نصف فرسخ أو فرسخا واحداً على الاكثر وكان في حالة كشف عن توقعه خطبا جللا أو توجسه حادثا مهما .

ولما طال الامد على الصحب دنا بعضهم منه وسألوه (هل عدل عن فكرة الذهاب الى مازندران أو أمسى منتظراً لشخص قادم أو أمر داهم) فلم يجبهم جوابا صريحا بل قال لهم بايجاز واختصار (سيظهر كل شيء) وتركهم في لجة الفكر والتحير والاندهاش .

وعند ما صارت القافلة على مقربة من قرية (اريم) احدى قرى مقاطعة (سوار كوه) اتصل بسمع حضرة باب الباب نعي محمد شاه وبوصول هذا النبأ الى علمه تغيرت حالته وقال لاصحابه قد كنت في انتظار هذا الخبر فبعد الآن يلزم الاسراع لبلوغ قرية (اريم) وكان ذلك ، وبعد أن دخلوا القرية المذكورة واستراحوا من وعثاء السفر حل ميعاد الصلاة فقاموا جميعا لادائها ، وفي أثر اكمالها صعد باب الباب المنبر كعادته وخطب خطبة رائعة أتى في صدرها من جواهر

المواعظ بما ابهج السامعين وارقصهم طربا ، ثم اخذ يشرح الدنيا واحوالها ووجوب الاعراض والتجافي عنها شرحا مسهبا ، وفي النهاية قال : « ان اجتماع الاضداد ممتنع محال في نظر العقل السليم والفكر الحصيف الرصين فكذلك يمتنع الجمع بين الارتباط بروابط الدين والدنيا ولا يتفق السعي رغبة في الحصول على الذهب مع الجد والاجتهاد في اتمام واجبات الدين والمذهب ، فان الذين توصلوا بالتأييدات الالهيـة ، والاستعدادات الفطرية الى مقام المعرفة والايمان والايقان من بداية الامكان الى الآن ، لم يتمكنوا من الوصول الى هذه الغاية السامية والمرتبة السنية العالية الا بعد ان غضوا النظر واغمضوا الطرف عن الاملاك والاموال والارواح والاولاد ، وتبرؤا من المناصب والمقامات الظاهرة فهذه هي الخطوة الاولى التي لايمكن الوصول الى الخطوة الثانية الا بها .

وهذا ما كان جاريا في عصور الانبياء والاولياء قاطبة ، ومالم ينسلخ الانسان من هذه العلائق العتيقة البالية الفانية لايكون جديراً باحتمال أنواع الصدمات والاضطلاع بقبول أشكال المحن والبليات ، والصبر في حالة الحبس والسجن وسائر الحالات ، ومالم توجد رجال حائزون لهذه الصفات والسمات ، لا يتطهر هذا العالم من طبائعة الوحشية ودناءته ودنسه ، وان حضرة سيد الشهداء لم يتقدم الى ميدان الشهادة بكل استقامة ورزانة وشهامة إلا رغبة في هداية العباد وارشادهم الى نهج الفلاح والسداد ، ولهذا

نرى حقيقة الشريعة النبوية والطريقة العالية العلوية قد صارت في نصابها من التوطد والرسوخ والثبوت والتمكين بعد شهادة ذلك السيد العظيم وصحبه ومن رابع المستحيلات أن يصير للعدل صولة على الجور والظلم ، وللخير رجحان وسيادة على الشر لولا وقوع تلك الشهادة الكبرى فعلا ، وحدوث تلك الملحمة العظمى حقيقة ، فيجب علينا نحن أيضا أن نهتدي بهديهم ونحذو حذوهم وننقطع عن كل مايوجب تعلقنا بهذا العالم الباطل ونشد حيازيم الهمة والعزم ونوطن النفس على قبول الشهادة المحتمة ، ونحكم عرى النية والعزيمة إحكامامتينا وننفصل عن كل مافي الكون والامكان قاصدين ايقاظ جميع العالم وانهاضه من كبوته ، وتنبيهه من رقدته وفترته ، واذا صحت منا الرغبة تسنى لنا أن نحتمل المكاره والمشاق والويلات التى تفوق حد تصور الناس ونتلقى الشدائد بكل صبر وثبات في سبيل صاحب الامر واعلاء كلمته ورفع شانه ، وأول ماهنالك من الحجة على أرباب الاوهام والاهواء هو التضحية وبذل الروح بسخاء ، وفي هذا دلالة قاطعة لاريب فيها ولا شبهة تعتريها على ثبوت هذا الامر العالي ، وذاك الشأن المتعالي ، وحسبنا ذلك احتجاجا وتدليلا وبرهنة عليه . ها قد ودع محمد شاه الغازي هذا العالم الفاني ، وان الاشارات والبشارات المتفجرة من قلم حضرة الباب روحي له الفداء ماؤها الدلالة على مجيء يومنا الذي لاريب فيه . ويجب أن تعلموا حق العلم اننا بعد وصولنا الى

مازندران ستسد في وجوهنا جميع منافذ الخلاص والنجاة وسنذوق كأس الشهادة الكبرى بأمر العذاب وبلا سؤال ولا جواب. أما نحن فاننا على تهيؤ تام لاحتمال هذا العبء الثقيل بكل الرغبة وكنه الميل والسرور الجزيلين . لذا نرجو ممن لا طاقة لهم بهذه التضحية التي وطنا النفس على تحملها ، أو من خامر نفوسهم أقل ضعف ووجل، وممن تعوقهم المعاذير عن مشاطرتنا كاس الفداء أن يعودوا الى أهليهم تاركين لنا. نحن لا نكلف امرأ ما لاقبل له به ولن نلزم انسانا قط بذلك بل نجيز لكل من يؤثر الاوبة أن يودع أصحابه هنا في هذا الموضع ويذهب بسلام الى حيث يحب ويختار) اه

فلما سمع الاصحاب هذه الخطابة الضافية تمالك أكثرهم البكاء والنحيب وفاهوا بقولهم ان كل فرد منا من بدء التحاقه بكم قد قطع علاقاته الدنيوية وطوى هذه المسافات الشاسعة في سبيل هذا المقصد النبيل

وقد كنا من أول انضمامنا اليكم على تمام العلم بأن هذا الطريق الوعر لا عزة فيه ولا ثروة ولا جاه ، وما دار بخلدنا شيء من هذا القبيل قط ولم يكن المقرر لدينا الا الفداء وتضحية الحياة . وها نحن الآن على أتم أهبة واستعداد لأن نكون معكم أرواحا وأشباحا على مسرح الفداء الى آخر رمق من حياتنا) اه

وكانت عدة الحضار في ذلك الوقت مائتين وثلاثين نفساً معظمهم من أهل العلم والفضل وبينهم بعض أرباب الاحتراف والاتجار . ولما تحرك الموكب تقاعد منهم ثلاثون لاسباب خاصة واستأذنوا في العود الى أوطانهم وذهبوا . أما الباقون وهم مائتان فانهم أبدوا من الشهامة والبسالة وثبات العزيمة والنبالة العجب العجاب وواصلوا السير تحت لواء باب الباب يريدون وجهة مازندران .



وصول الاصحاب الى بارفروش

وحدوث أول حادث بها

ان أول المناوشات التي أفضت الى وقوع وقعة الطبرسي كانت مبتنية على عداء شخصي ومنافسات عائلية . وبسط ذلك انه كان بين زعيم فقهاء مازندران النافذ الكلمة الشديد الشكيمة (سعيد العلماء) وبين والد حضرة القدوس إحن قديمة . فلما اشتهر الحاج محمد علي القدوس باتباعه لحضرة الباب وجد سعيد العلماء المذكور أمامه أثمن فرصة وأنجع وسيلة للانتقام فشرع فى إيذاء حضرة القدوس وصب جام المصائب عليه ، حتى اضطره الى أن يلوذ بمنزله ويمكث فيه برهة طويلة دون خروج . ولم يكن ذلك الا لأن سعيد العلماء هذا كان يبذر بذور البغض للقدوس في قلوب أهل هذه المدينة ويصطنع المفتريات والاراجيف عليه ويغريهم باهانته وايذائه، وساروا في هذا السبيل حتى بلغوا معه حداً كانوا يسمعونه فيه ضروب السباب واللعن على ألسنة سفهاء القوم وأطفالهم كلما مر بشارع من الشوارع . لذا آثر جنابه خطة الانزواء توقياً لشر الفتنة والاختلاف مع الاهالي . ودام الحال على ذلك الى أن قدم « رضا خان التركمان » بلدة بارفروش — وسروي فى هذا الوصل ما كان عليه هذا الرئيس من التجلة والاحترام من أولياء الامر في حكومته — أما العمل الذى قام به

(رضا خان) فانه أخرج القدوس من مأزق انزوائه وطاف به في جميع أنحاء البلد بأبهة وحفاوة قويمتين فأوصد بهذا العمل باب بغضاء العوام واضطهادهم وأفسد على سعيد العلماء مادبره من المكايد والمفاسد وقوض كل ما نصبه من أشراك الشرة وفخاخ المضرة . ولكن نار البغضاء كانت تزداد بذلك اتقاداً في قلب سعيد العلماء لما بينهما من السخائم القديمة التي أضيف اليها العداوة الدينية الجديدة فمن ثم كان من حين لآخر يشن الغارة على القدوس بتحريض الاهالي واثارة ثائرتهم على أحباء تلك المقاطعة ولكن رغم تهوره واندفاعه الى تلك الفعال مراراً وتكراراً لم يتوصل الى قضاء لبانته في حياة محمد شاه، ولبث على ذلك الحال ونار القلى والشنآن تضطرم وتتأجج في صدره الى أن تواترت الاخبار بأن ملا حسين البشروئي قد جد في المسير يريد بارفروش في سواد عظيم من طائفته فأوجس سعيد العلماء خيفة من مجيء هذا الجمع وخالجه الجزع والهلع خصوصاً في فترة موت محمد شاه وبدا له انهم لابد أن يصلوا اليه بالأذية والضير، كما انه من جهة أخرى رأى الوقت قد حان للأخذ بالثأر ومحو تلك الطائفة واقتلاع جذورها . فدعا الناس الى صلاة عامة وحرش الدهماء على القيام لرد تلك الطائفة القادمة وصدها عن الدخول الى البلدة، فحدثت ضجة عظيمة لا يأتي عليها الوصف والبيان وخرجت الدهماء والغوغاء الى أرباض البلد حيث تقابلوا مع باب الباب وصحبه على رابية قريبة من البلدة .

وكان من عادة ملا حسين أن يكون في طليعة صحبه متقدماً إياهم فلما وقع نظره على القوم أمسك بعنان جواده ووقف منتظراً الى أن وصلوا اليه، فلما رأوه قالوا له اننا مأمورون من الرئيس أن لاندعكم تدخلون بلدتنا فأجابهم قائلا: (نحن لا نخبيء شراً ولانطوي في الصدر سراً ولا غرض لنا سوى اننا سمعنا بوفاة الشاه وعلمنا ان السبيل والطرق أصبحت مخوفة غير مأمونة فرأينا أن نزل عليكم ضيوفاً بضعة أيام حتى اذا انتظمت أمور الدولة أخذنا طريقنا شاكرين لاهل هذا البلد راضين عنه) فلما سمعوا منه هذه الاجابة وعاينوا ماهو عليه من اللطف والرفق واللين انبعثت فيهم الجرأة والجسارة وأخذوا يستعملون سيف الخشونة والشدة كما هو طبيعة الغوغاء والاغرار، ورفضوا طلبه وقوله، فعطف عند ذلك عنان الجواد منعاً للفتنة وقال لاصحابه: (بما ان أهالي هذه البلدة لايرون من الواجب اكرام الضيوف ولا يرغبون في أن نزل ببلدتهم فمن الواجب علينا أن نرجع ونسلك طريقاً آخر) فخضعت الاصحاب فوراً لاوامره، ولووا أعنة جيادهم وهموا بالرجوع من حيث أتوا.

فلما رأت أهالي البلدة هذا التساهل والتسامح منهم توهموا فيهم الضعف والجبن فازدادت جرأتهم وشنوا عليهم الغارة وأطلق رجل منهم (خباز) طلقا ناريا أصاب من الاصحاب رجلا كان يمشي على قدميه دائما في ركاب حضرة باب الباب، وهو المعروف بالسيد

رضى، فلما عاين ملا حسين منهم عين البغي والغدر أخذته الغيرة والحمية ولوى عنان الجواد نحو القوم قائلا: (لقد ألجأتمونا الى الدفاع عن أنفسنا راضـين بقضاء الله مستسلمين لامره) ثم سل حسامه وهجم عليهم .

ولقد أظهر في ذلك اليوم من البراعة والشجاعة والثبات ورباطة الجأش وشدة المراس ما أدهش الاحباء وأبهت الاغيار والاعداء فاشتهرت فروسيته وبسالته وامتد صيت بطولته فى كل الاطراف والاكناف وأصبحت حديث أندية الاحباء والاعداء في جميع الاقطار والارجاء، وعبثا نشتغل بتوصيفها ونعتها لان بطون التواريخ الموالية والمعادية ملأى بشرحها وفيها من أعاجيب الروايات ما يستوقف الانظار ويحير الالباب بل ما يدع الاذهان والافكار تفكر في قبوله وتتردد في التصديق به

مثال ذلك ما روي من انه ضرب شخصا قد توارى بشجرة فقطعت ضربته الرجل وبندقيته والشجرة كلا منها شطرين بمعنى ان تلك الضربة الواحدة تركت هذه الاجسام الثلاثة ست قطع الى غير ذلك من الروايات والحكايات التى قد تحمل على الغلو والمبالغة . بيد ان المسلم به لدى العموم والذي لا يحوم حوله شك ان ملا حسـين أظهر من قوة البأس وشدة البطش والشجاعة والبراعة (مع اعتلال يده اليمنى واستعماله السلاح باليد اليسرى) ماجعل أصحابه ورفاقه وعشراءه من طوال الاعوام يعجبون له

ويدهشون منه إذ لم يروا منه قبل ذلك شيئاً من تلك الصفات ولم يكن لهم علم قبل هذا اليوم بشيء من بسالته واقدامه في المعارك والمعامع .

وبالاجمال، نقول انه بعد أن أبلى بلاء حسناً في القتال والنضال وقتل بضعة أنفار وجرح آخرين ، رد القوم على أعقابهم بالهزيمة والفرار ، وان أصحابه وان اشتبكوا مع الاقوام في العراك والضراب ولكن لم يوقع الرعب فى قلوبهم والزعر في نفوسهم إلا هو ، وذلك بما أجاده وأبدى فيه حذقه من الطعن والضرب بالحسام وما برهن عليه من حسن الجرأة والاقدام . ولما انهزمت الاهالي وولوا الادبار ولاذوا بالهرب والفرار تعقبهم الاصحاب الى أن دخلوا بارفروش .

الوقعة الثانية

بعد أن ارتد القوم على الاعقاب بالاندحار والانكسار ، ودخل باب الباب وصحبه البلدة بالظفر والانتصار ، تمالك سعيد العلماء الاضطراب والاندعار ، ولجأ الى بيته واعتصم بقسم الحريم منه وغلق الابواب ، ووزع أصحابه على السطوح وأطراف المنزل وأمرهم بملازمة الحراسة والانتباه .

أما حضرة باب الباب وصحبه فمع علمهم بأن موقظ الفتنة ورأسها ومحرش الاهالي ليس إلا سعيد العلماء هذا ، لم يقتربوا من منزله . ولما اقترح بعض الاصحاب المضي الى ذلك المنزل وأخذ الثار من ذلك المعتدي ومؤاخذته بسوء صنعه منع باب الباب من ذلك منعاً جازماً وقال : (يجب احترام المنتمين الى العلم ولو كان الانتماء بالاسم فقط دون الحقيقة) فتغاضوا عن ذلك . ولكن سعيد العلماء هذا ، الساعي الى تهييج الفتن لم يعلم بأن الاصحاب انما أهملوه ولم يعنوا به وتركوا اناله مايستحق من العقاب طوعاً واختياراً ، فرجع يهيج الناس ويثيرهم ويشجعهم على الاضطرابات والقلاقل ويغريهم بالاضرار والعدوان ، فلم يمض على نزول باب الباب وخاصته بخان (سبزه ميدان) الا وقت قصير غير كاف للاستراحة واستعادة القوة حتى قام الهرج والمرج ورجع الفساد الى نشاطه فقبل أن يستريحوا من عناء السفر وأوصاب الترحل

وتعب القتال والنزال صالت عليهم عصابة من أبناء الثورة والهيجان بايعاز من سعيد العلماء هذا . فأوصد الاصحاب باب الخان في وجوه الغائرين منعاً لحدوث فتنة ثانية ربما تضطرهم للدفاع والاشتباك في معركة أخرى . ولكن رجال سعيد العلماء لم يرعووا عن فعلهم بل أحضروا الوقود وشرعوا فعلا في احراق باب الخان . عند ذلك أمر باب الباب زمرة من الاصحاب بالدفاع والمقاومة ، فخرجوا بغتة من الباب وحملوا على القوم حملة واحدة جرح في خلالها بعضهم وانتهى الامر باندحار المهاجمين وصيرورة حدود الخان في يد الاصحاب وتحت حوزتهم وصيانتهم .

أما رجال سعيد العلماء فانهم تقهقروا الى الوراء وأخذوا في تحصين البيوت النازحة عن مركز الاحباء وتشييد المتاريس ، ولما حان وقت الصلاة أمر حضرة باب الباب أحد الاصحاب بالصعود الى موضع عال للاذان ، ولم يكن مقصده من ذلك إلا ازالة ما علق بأوهام العوام من ان البابية تنكر الوحدانية والرسالة النبوية ، وفتح باب التفاهم بين الطرفين ، ولكن ذلك المؤذن لم يكد ينتهي من كلمة الشهادة حتى أصيب بعيار ناري جاءه من متاريس أولئك الاقوام فوقع على الارض .

ولقد أثار هذا العمل في نفس حضرة باب الباب حدة الغضب وهز فيه أعصاب الغيرة الدينية فقال : (هل من متمم للاذان حتى يثبت للعالم اننا لانحجم عن تقديم أنفسنا فداء في

سبيل اعلاء كلمة التوحيد ونصرة الامر الالهي ويتبين للملأ ان اعداءنا المدعين للايمان لايعتنون بالتوحيد والموحدين) فتقدم في الحال أحد الاصحاب وارتقى مكان المؤذن وأخذ في تتميم الاذان بصوت أعلى من صوت الاول غير مكترث بالواقفين له بالمرصاد ، واستمر في الاذان فأصيب هو أيضاً قبل تمامه. فصعد مقامه ثالث الى أن انتهى الاذان وأقاموا الصلاة وفي حين ذلك لبثت فرقة من الاصحاب تحرس باب الخان وسائر الجهات . ولقد دام الحال على هذا المنوال ستة أيام كان في كل يوم منها يقتل ويجرح عدد من الفريقين .

وفي اليوم السادس منها ورد على مدينة بارفروش (عباس قولي خان) اللاريجاني شاغلا لمنصب رئاسة فوج مازندران العسكري . وعند ما اطلع على هذا الخصام أبدى رغبته في اطفاء نار الفتنة واخماد شعلتها فأرسل صهره سعادة (قولي بك) حاملا من لدنه رسالة هاك مضمونها: (ان سكان هذا البلد وان كانوا قد قصروا في واجبهم نحوكم ووقعت منهم أمور تخالف الانسانية وهموا بمنعكم من دخول المدينة وكان الغرض الذي ينبغي لهم هو الاعتناء بكم لانكم غرباء الديار فضلا عن ميلكم الى الهدوء والسكينة والسلام ولكن سهم القضاء قد نفذ وقضى الامر المحتوم ووقع القدر المقدور وانتهى بجريان ما جرى بينكما من الكوارث والملمات . وبما ان أمور المملكة الآن في فوضى واختلال لوفاة

الشاه . وقد سفكت الدماء بينكما وانصرم حبل المودة فأرى ان الاليق والاوفق هو أن تتفضلوا وتنزحوا عن البلدة وتطفئوا هذه النيران المضطرمة) فأجابه حضرة باب الباب بقوله: (أما رحيلنا من هذا البلد فلانزاع فيه كما اننا قبلنا في ابتداء الامر حين عبورنا من هنا أن لاندخل البلد ، ولكن مسالمتنا وايثارنا لتجنب أسباب الفتن ،فسرهما القوم بعكس المقصود اذ تصوروا اننا خفناهم فكانت النتيجة أن انتهى بنا الامر الى مانحن عليه. واننا الآن على استعداد تام للرحيل على شرط أن تتعهدوا بأن لايتعرض لنا أحد والا عاد النزاع والخصام الى ما كان)

فتعهد « عباس قولي خان » لهم بذلك الاشتراط والتزم بايصالهم الى نقطة (ميامي) وانتدب للقيام بهذه المهمة صهره سعادة (قولي بك) مع مائة من الفرسان فقام الاصحاب من حينهم وخرجوا من المدينة .

الوقعة الثالثة

في غابة مازندران

وكان من بين رجال تلك الناحية شخص يدعى (خسرو قاديكلائي) من شر الخليقة وأشدهم إفساداً وإجراماً ونزوعاً الى الشغب والعبث بالأمن ، يسكن في قرية (قاديكلا) الحقيرة الواقعة في وسط الغابة المذكورة ، وله من الخيالة ما يناهز المئة يذعنون لامره ونهيه ، ويركبون لركوبه ، وكلهم من أقاربه واهل بلده . وكان هذا المارد العاتي تارة يوالي الحكومة فتسند اليه وظيفة من وظائف دورية الفرسان وطوراً يتمرد على الدولة ويعصى أمرها ويشتغل بالتلصص والسلب والنهب وقطع الطرق والمعابر في الغابة ولماخرج باب الباب وأخصاؤه من المدينة بمرافقة سعادة قولي بك أوحى سعيد العلماء على لسان اتباعه الى خسرو قاديكلائى بان يرافق البابيين في الطريق ويقودهم الى جهة بلده من الغابة ثم يفتك بهم ويغتنم مالهم من مال وذخيرة ومؤنة ويستنتج من سير الامور ومجرى الحالات والماجريات ان لسعادة قولي بك ضلعاً في هذه المؤامرة دأب أصحاب المناصب الاصاغر القصار النظر الضعاف الكفاءة الذين يجنحون عن سبيل العدل والانصاف ، الى أحقر الهوى والاعتساف .

وبالجملة فانهم بعد أن صاروا من بارفروش على بعد فرسخ واحد بدأ سعادة قولي بك يودعهم قائلا لا يمكنني أن أصاحبكم فوق هذا المقدار ،ورجع الى البلد . وبينما كان سعادة قولي بك يتذاكر مع حضرة باب الباب في أمر رجوعه حضر خسرو القاديكلائي مع خيالته وقال أنه يرافقهم الى حيث يريدون وسار معهم الى قرب قاديكلا قريته ، وكان الوقت قد آل الى الظهيرة ووجبت صلاة الظهر فأمر باب الباب بالنزول لتأدية الفريضة الدينية فتقدم عندذاك خسرو الى باب الباب وطالبه بنقده المكافأة قائلا : اننا إعتزمنا أن نفارقكم من هنا ذاهبين الى بلدتنا . فأمر حضرته باعطائه مائة تومان نقداً. فلم يقتنع خسرو بهذا المبلغ وطلب من باب الباب حسامه وجواده الذي يركبه فقال حضرته:(يمكنك أن تطلب مني ماتشتهي سوى هذا الطلب فليس الى اجابتك اليه من سبيل ، لاني تسلمت الجواد والحسام من رجل عظيم ، ويسهل علي بذل روحي دون التفريط فيهما .) فحينئذ ظهر المكنون وبرز ما يكنه خسرو ويكمنه بصدره وأخذ يطعن ويلعن وقال (أيكون في يدي أمر قتلكم ونهبكم وأنتم لاتتنازلون لي عن فرس وسيف، ان دماءكم فضلا عن أموالكم وهذا السيف والجواد هي مباحة لي) فتقدم ميرزا محمد تقي أحد الملازمين لركاب باب الباب ـ بعد أن وقف على جلية الامر وان أولئك الاناس انما يقصدون الفتنة ـ وأخذ خسرو على انفراد بريداسكاته، ولكن المذكور لج في السباب

والقذف والافحاش ، فلما رأى ميرزا تقي ان وسائل التفاهم والاقناع لاتنجع طعنه بخنجره طعنة نجلاء شقت صدره وتركته مجندلا على الثرى[1]

ومذ عاين الاصحاب هذه الحادثة استعدوا جميعاً ليكونوا على أهبة الدفاع اذا اندفع رجال خسرو الى القتال. ولكن هؤلاء الرجال تولاهم الخوف والرعب من ذلك ولم يجسروا على ابداء عمل بل اعتذروا قائلين: (انه لاعداوة بيننا وبينكم ولا منازعة) وحملوا جسد خسرو وفروا هاربين الى ديارهم .

أما الاصحاب فانهم بعد اتمام فريضة الصلاة أسرعوا بالرحيل علماً منهم بأن منازل فرسان خسرو على كثب منهم وانه لابد من حضور القوم للاخذ بالثار وقد كان ذلك ، فانه لم يمض على الحادث الا قليل حتى رجعت الخيالة اليهم مع دهم كبير ، وذلك انهم حينما بلغوا قريتهم (قاديكلا) أشعروا عائلة خسرو بالخبر ففجعت

(١) جاء في مقالة سائح : وهو الاصح : انه لما أن استقرت بالاصحاب الاقدام في برية البلد وهم جاهلون بالمعابر والطرق أمر خسرو رجاله بأن يتفرقوا ويكمنوا لهم في غابة مازندران ، وأخذ يفرق البابيين في الطرق والمعابر فشتت شملهم وتاه بعضهم عن بعض في سواد تلك الغابة وشرعت رجاله تصيدهم واحداً واحداً . فلما ارتفعت أصوات البنادق في كل مكان انكشف السر المكتوم وفقد جماعة وقتل آخرون بغتة بالرصاص ، عند ذلك أمر ملاحسين بالاذان ليجمع به شمل المشتتين وسل « ميرزا لطف علي المستوفي » خنجره ودفع به صدر خسرو فشقه وصار جيشه مابين مقتول وتائه في مصاف القتال . اه

(المعرب)

القبيلة عليه برمتها، ثم تجمهر رجالها وساروا في طلب البابيين واتفق ادراكهم اياهم في وسط الغابة وشرعوا في القتال ونهب الاموال . فلما رأى باب الباب ذلك أمر الاصحاب بترك أحمالهم واسراع المسير للوصول الى مقبرة الطبرسي . فاشتغل أتباع خسرو بجمع الحطام بينما كان الاصحاب يجدون في الترحال حتى وصلوا الى المقبرة . وبعد أن جمعت الخيالة وأقرباء خسرو ما جمعت من الاموال مضوا بها الى قريتهم لايداعها بيوتهم على أن يعودوا لاستئناف القتال . ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك لان الوقت قد فات وأجنهم الليل وهطلت السماء بالمطر المدرار واستمرت ترسل من الامطار الغزار ما استمر مدة عشرة أيام وليال ، فحبست الجميع عن الخروج من منازلهم .



وصول جناب القدوس

الى القلعة

عند مابارح باب الباب مع الاصحاب مدينة بارفروش لم يخرج معهم جناب القدوس بل ظل مقيماً بالبلد مع أصحابه لمراقبة سير الامور والوقوف على مجرى الافكار والغاية التي يرمي اليها الاغيار ولم يمر على ذلك زمن طويل حتى سمع بأن سعيد العلماء رفع تقريراً الى طهران للسلطان الجديد ناصر الدين شاه سوده بأن البابيين احتسبوا وفاة المغفور له محمد شاه فوزاً عظيماً لهم وشرعوا في المقاتلة والنزال وخرجوا على الدولة والملة، وحشى ذلك بعديد المفتريات والمؤتفكات وماشاء له هواه، وعزز تقريره هذا بعدد وفير من العرايض الموقع عليها من الاهالي المضمنة بمطالبة الدولة باقتلاع جذر هذه الطائفة وإبادتها .

سمع القدوس هذا عن سعيد العلماء ومن اتبعه . ومن جهة أخرى وقف على ان باب الباب وصحبه مشتبكون مع قبيلة خسرو القاديكلائي بالحرب والنضال في حدود قلعة الطبرسي وان جميع أموالهم نهبت ووقعوا في ضنك شديد . فبناء على هذه الامور التي وقف عليها رأى وجوب التقدم لشد أزر المجاهدين وهب مع نيف ومائة من أصحابه متجهاً الى قلعة الطبرسي . ولما كان من اليقين الذي لا شك فيه ان الحكومة ستتدخل في الامر بعد أن تفاقمت

الشحناء واستشرت الخصومة والبغضاء وطال أمد النزاع، اجتهدوا في جمع مقادير من المؤنة قبل أن يقعوا في الحصار، وتنسد في وجوههم طرق الامتيار، وساقوا جميع مواشيهم الى القلعة منتظرين ما ستفرقه يد القدرة من وراء حجب الغيب .

وكان عندهم في فاتحة الحركة أربعون رأساً من البقر تدر لهم الحليب وأربعمائة من الغنم ومقادير من الارز . أما أسلحتهم فكانت في البدء قاصرة على السيف ولكن تسنى لهم فيما بعد الحصول على خمسين بندقية وكميات من الرصاص والبارود وكانت الخيالة فيهم أربعين لاغير أما الباقي فراجلة ولبثوا مثابرين على المرابطة ومراقبة الاعداء من أبراج القلعة كيلا يدنو منهم أحد، مواظبين على صد حملات الاعداء بمجرد المهند وقوة الساعد والزند . والخلاصة ان الاحباء بعد أن تلاقوا بالاحباء وأحاطوا علماً بما صنعه سعيد العلماء شرعوا جميعاً في اصلاح القلعة وترميمها وجددوا بناء حماماتها . وأظهر كل واحد منهم مهارته وتفننه في صناعته . وكان فيهم الخياطون الذين عهد اليهم بخياطة الملابس حتى أصبح الكل كاسيا — على ماسنشرحه بعد — كما كان بينهم الاقيان الذين طفقوا يشتغلون في صنع السيوف والخناجر وكذلك كان شأن سائر الاصحاب من أرباب الصنائع كالنجارين والبنائين

وبالرغم من ان معظمهم كانوا من غير أهل العلم والدرس كانوا راسخي القدم في الايمان متماسكين على صراط الايقان

ولكن جناب القدوس كان يستحثهم دائما وأبداً على الاشتغال في فرص الفراغ والراحة من الاعمال ، بالدرس والتحصيل للرقي على درج العرفان حتى لا تأتيهم الشبهات ولا يقعوا في التزلزل والارتباك .

والى حين وصول النجدات من طهران وقبل أن تتدخل الدولة في هذا الشجار كانوا على الدوام في اصطدام وكفاح مع قبيلة خسرو وسكان القرى المجاورة والغوغاء الذين كان يسوقهم سعيد العلماء ويؤلبهم ويغريهم بالتحرش والمساورة . ولقد وفقوا الى رد جميع الحملات والهجمات التي قام بها المهاجمون وأرجعوهم بالخسائر الجمة وأصبح في مكنتهم تقديم القدم الى خارج الحصن بيد انهم كانوا على يقين بأنهم اذا خرجوا من القلعة وتوجهوا الى أية جهة شاءوا تعترضهم المصاعب الجسيمة ويجدون المقاومات العنيفة وتمتد اليهم أيدي العدوان من كل جانب ومكان . لاجرم رأوا وجوب التزام التحصن بالقلعة والدفاع عن أنفسهم داخلها وفي أمد الفترة التي لم تتدخل الدولة أثناءها في القضية ، وكان قرار الدولة طول مدتها غامضا غير معلوم ، كان الذهاب والاياب للاحباء أمراً ميسوراً وكان تعدادهم بين ازدياد وانتقاص من آن لآخر ، الى أن ابتدأت العساكر النظامية في حملاتهم وانتهت الاهالي من أعمالهم وشاعت الاخبار في جميع البقاع والديار بأن الدولة سيرت حملة لاستئصال المتحصنين وقطع دابرهم وانقطعت

حينذاك سبل المواصلات وانسدت طرق الوصول الى المحصورين في وجه أي انسان كان ممن يريدون الانضمام اليهم ومساعدتهم ووقف العدد بهم عند حد محدود وكانوا ثلثمائة واثنى عشر رجلا ولكنهم عند الشروع في خوض معمعة القتال انضم اليهم شخص يدعى رضا خان التركمان وهو الذي أسلفنا التنويه بذكره فأصبح عدادهم ثلثمائة وثلاثة عشر شخصا

قيام جيش الدولة

وتفصيل التحاق رضا خان التركمان بالاحباء

لما لبى محمد شاه الغازي ، طيب الله ثراه ، دعوة ربه وانتقل الى جوار الخلد ارتقى ناصر الدين شاه على عرش السلطنة واستقر له الحكم وسقط الحاج ميرزا آقاسي من منصب الصدارة والتجأ الى حرم شاه عبدالعظيم مقيما به . وجاء في جميع التواريخ الفارسية وشهد به المؤرخة ان الحاج المذكور وقع في مخالب المذلة ثم لم يكن من الايام الا قليل حتى مات وآل زمام الامور الى يد (اقتدار ميرزا تقي خان الامير الكبير) وسارت الامور وسياسة الجمهور على عكس ما كانت عليه في أيام محمد شاه .

ومع ان الصدر الاعظم السابق تسبب في اعتقال حضرة الباب ونفيه ، فان حوادث الاغتيال والاغارات ، كانت في غاية القلة والندرة ، وكانت الامور تسير باللين والمداراة ، ولكن لم يكد يستقر ناصر الدين شاه على العرش ، ويبدأ في الحكم ، حتى أصبح مدار الامر والنهي الفتك والقتل وسيف الارهاب والعنف وكان السبب في ذلك مارفعه سعيد العلماء الى ذلك العرش الجديد من التقارير وعرائض الشكوى ، وتشويهه هو وأذنابه الحقائق ، ونسبته الى الاحباء الشروع في التعدي والاخلال بالأمن والنظام

والتمرد والطغيان والخروج على الدولة ، فبعثت الشاه هذه التهم والدعاوى الى التفكير في تدمير هذه الطائفة ومحقها ، فأسند حكم مازندران الى الامير « سهام الملك مهدي قولي ميرزا » وأصدر المرسوم بذلك ، وختمه بختمه الشاهاني ، وأمره بابادة تلك الفئة وقمع تيار هذه الفتنة واخماد نارها .

رضا خان التركمان

أما رضا خان التركمان فهو نجل محمد خان التركمان أمير الاصطبلات الخاصة السلطانية ، وصاحب المكانة والوجاهة في عهد محمد شاه ، وكان رضا خان المذكور فتى ميالا الى الدين لذا جد واجتهد في سبيل البحث والتحقيق للوقوف على الحقيقة في قضية الامر الجديد حتى أذعن للايمان وانصاع للتصديق والايقان وفتح باب منزله على مصراعيه لاحباب الباب وبذل نيفا وتسعمائة تومان على شئون الامر وأكن في فؤاده خالص الود والمحبة لحضرة بهاء الله وسافر مع ميرزا قربان علي الاسترابادي وناس آخرين الى قرية (خانائق) وحظي بلقاء حضرة الباب ووطد أواصر المحبة والمعاشرة بينه وبين الخيالة المحافظة عليه وان كانت هذه الفكرة لم تنل رضى حضرة الباب ، ثم غدا الى مازندران وحافظ على القدوس من أضغان سعيد العلماء وأحقاده وكان مطواعا لأمره يخدمه خدمة الرقيق ، ولما ألم المرض برضا خان أرسله القدوس الى طهران برفقة

أحد الاحباء العارفين الكاملين وهو (ميرزا سليمان قولي بن شاطر باشي النوري) فأقام فيها يعالج مرضه حتى بريء وتكاملت صحته . وفي ذلك الوقت عين الشاه (الامير مهدي قولي ميرزا) حاكما على مازندران وأمره بما هو معروف فاجتهد رضا خان في إلحاق نفسه بالحملة فأتيح له ذلك وأحرز رتبة لائقة وبقي أمره في حيز الكتمان الى أن وصلت الحملة الى مازندران وتحقق له تحتم وقوع القتال بعد أن لم يبق في قوس الصلح منزع فجاء يوما وانفصل عن الحملة ثم عدا بجواده نحو القلعة حيث التحق بالاصحاب وعند ما قابل حضرة القدوس أظهر له خضوعا عجبا واستغرق في النحيب والبكاء من طول البعد والفراق فقبل القدوس وجهه قائلا له : (لقد أحسنت) وكان رضا خان آخر من التحق بالاصحاب وبه بلغ عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر نسمة وتولى أعمال الدفاع والنضال بهمة ونشاط ، وكان رجال الجند كلما قابلوه أبدوا له النصح ومنوه بالجوائز والمناصب ومنح الامير والدولة أما هو فكان يجيبهم بالملامة ويعظهم ويؤنبهم على تمسكهم من رئيس الى مرؤس بحب الدنيا وعبادة المال. وفي ختام الامر نال مقام الشهادة وعد من شهداء هذه الواقعة

❁

ملا مهدي الكندي

لما وصل الامير سهام الملك الى مازندران وقامت له الاهالي بما يليق به من الاجلال والاكرام وتبادل الرؤساء الزيارة قدم بعضهم الشكايات من أصحاب القلعة وجاءوا من الروايات والحكايات بما لذ لهم وطاب ، فقر قرارهم في النهاية على أن يحشد عباس قولي خان اللاريجاني فرسانه ويعبيء جنده ويهجم هجوماً عاماً بهم مع الفوج الذي حضر به الامير على القلعة ، ويفتحوها بأسرع ما يمكن وينهوا هذه المشكلة ، وبناء على هذا القرار باشر عباس قولي في جمع رجاله وإعداد معداته

وفي معمعان هذا التجهيز والترتيب فكر بعض وجهاء القوم في السعي لانقاذ بعض معارفهم من القلعة ضناً بهم على الفناء والهلاك . وكان من بين هؤلاء الوجهاء الذين فكروا في تلك المساعي يوسف بك بن بيمان بك فانه أراد أن ينجي ملا مهدي الكندي من براثن الموت والعدم

وملا مهدي الكندي هذا كان من أفاضل أهالي طهران ذا ذوق سليم وأنس ولطف ، يميل علية وجهاء طهران الى صحبته وصداقته وعشرته ، فكان سميراً أنيساً للاعيان والامراء ، رغد العيش ناعم البال حسن الحال وله من آداب المعاشرة والملاطفة والمؤانسه الحظ الاوفر

ولما ارتفع نداء الامر وعلا صوته أخذ ملا مهدي المذكور في البحث والتحري والجهاد في سبيل المعرفة حتى وقف على الخبر اليقين وصار الى التصديق والتسليم . ومن وقتئذ بدأ ينسلخ شيئاً فشيئاً عن مخالطة الاشراف والاعيان ، وانتهى به الحال الى أن اتصل بأصحاب الباب وحضر الى القلعة في جملة من حضر منهم اليها ولم يتأخر عن الاصحاب قيد شبر ولبث معهم بالقلعة الى أن جاء يوسف بك المذكور واشتاق الى نجاته من القلعة

أما يوسف بك فهو ابن بيان بك الشهير الذي كان له أجل الخدمات في تأسيس سلطنة (فتح علي شاه) وله من شواهد الكفاءة والدراية ما لا يختلف فيه اثنان . وكان وجيهاً محترم الجانب لدى الدولة وموظفي البلاط . وكان يوسف بك ابنه يحب ملا مهدي محبة مفرطة لذا أولع باستخلاصه من القلعة وروى هذه القصة بنفسه قائلا : (دخلت على الامير مهدي قولي ميرزا سهام الملك وفي مجلسه عباس قولي خان اللاريجاني وعرضت على جنابه : ان بيني وبين ملا مهدى من وطيد المحبة وخالص المودة وحق الجوار مايوجب علي أن أسعى لانقاذه من هذه الورطة التي وقع فيها قبل أن تتعقد الامور ويصبح ذلك من المستحيل ، فاستحسن الامير مني هذا الرأي قائلا لي (آفرين) أي أحسنت . فتحركت عند ذلك متيمماً الى القلعة حتى اذا صرت على مقربة منها أسرع إلي بعض المتحصنين والتفوا حولي يسألونني عن غايتي ونيتي

فقلت لهم ان لى كلاماً مع ملا مهدي الـكندي

فاطل ملا مهدي بنفسه علينا من شرفات القلعة فرأيته في حالة غريبة لم أره بها مدة عمري اذ شاهدته لابساً ثوباً عتيقا وعلى رأسه قلنسوة قديمة متقمصا بقميص من القماش الملون بحمـــل غدارة وحمائل سيف ، ولم أعهده على تلك الحال قط . فقلت له إن لى معك أمراً . ولمـــا كان دخول الاجانب الى القلعة أمراً محظوراً لـكيلا يقفوا على دخائل أصحابهـا وأسرار أحوالهم امتنع من استدعاني اليه وخرج هو إلىّ فقابلني ، فرايت رجلا حافي القدم في هيئة رقّ لها قلبي فاستمطرت الدموع من عيني، وأخذت بيده الى معزل عن الناس وجعلت أحادثه فقلت له يا جناب ملا مهدى ماهذه الحاله التي أراك اليوم عليها هل ألمّ بك الجنون ـ لاقدر الله ـ واختل عقلك ؟ فأجابني بضحك المستهزىء وقال : بل كنت مجنوناً وأصبحت عاقلا — قلت ياسبحان الله ماهذا الـكلام الذي تقوله وأي شيء أدل على الجنون من حالتك هذه ، لقد تركت تلك العزة والراحة التي كنت متمتعا بهـا وزججت بنفسك في مأزق البلاء والمصائب وهذه الويلات. فأجابني قائلا ياجناب يوسف بك ان جميع ملذات هذه الدار الفانية ومسراتها زائلة بائدة واني تمتعت بتلك المراتب والمتع واغتررت بهذه السعادة الوهميـة زمنا مضى وانقضى واني الآن أراني معجبا بهجاً بهذه الضراء والبأساء مفضلا مرجحا لها على أمتع الملاذ والسراء . قل لأسمع وأرى

وافض برأيك إليّ ، هل الذين سارعوا الى بيداء كربلاء وجادوا بأنفسهم وبذلوا أرواحهم كانوا مجانين أم عقلاء ؟ قلت يالعجب ماهي وجوه الشبه بين هذا الحادث ووقعة كربلاء ؟ قال نعم لم تعر الانظار فى ذلك الميقات حادثة كربلاء حقها من الاهمية والقيمة وكان الناس وقتئذ يخالون القائمين بتلك القضية رجالا مجاذيب مختلي القول لمكان هجرهم عزة الدنيا ولذتها وخوضهم فى مقاومة يزيد وآله ، ولكن علم بعد ذلك أنهم كانوا على أتم عقل وادراك لانهم ما أقدموا على ما أقدموا عليه إلا إيثاراً لتضحية النفس فى سبيل ارشاد العباد وهدايتهم ولم يعيروا الدنيا وحياتها الزائلة القليلة المدة أقل اكتراث ، وان ماجرى الآن هنا هو معاد تلك القصة الاولى .

قلت ياجناب ملا مهدي لم تكن يوما من الايام قليل العقل الى هذا الحد ، مامعنى هذه الكلمات التي تنطق بها ، أي وجه من وجوه الشبه بين السيد الباب وسيد الشهداء ؟ قال الشبه هو كما قلت لك فان آل يزيد فى ذلك الاوان لم يأبهوا لوجود سيد الشهداء وأصحابه بل قاموا بهم يستهزئون ومنهم يسخرون . والواقع اليوم هو رجعة ذلك الماضي بالتمام

قلت ما الذي رأيته من السيد الباب واصحابه حتى اصبحت مستعداً للتضحية بنفسك فى سبيله . قال لاوقت لي حتى أبسط لك القول الآن واكتفي بأن اقول لك انني رأيت من هذا السيد

العظيم مارأى اصحاب كربلاء من الحسين بن علي بل اتم واكمل وان المزايا والخصائص التى كانت في اهل ذياك المشهد هى الآن في أصحاب هذه القلعة . قلت ياجناب ملا مهدي ارجوك ان تدع هذه الخيالات وتعود بنا الى طهران فان جميع العظماء والامراء في اشتياق الى رؤيتك واذارجعت معي فسوف تكون منزلتك اعلى بمراتب مما كانت عليه من قبل وتصير محبوبا من قبل القريب والبعيد قال ان تلك العزة ومدتها وتلك الرفاهية واهميتهالا قدرلها عندي ولا قيمة لشأنها في نظري واني تنازلت عنها باجمعها ورمتها لكم ووهبتكم اياها . فقلت ياسيد ان لم ترحم نفسك فعلى الاقل ارحم زوجك وولدك واني اقسم لك باسم الرب العظيم ان اطفالك التفوا حولي وتعلقوا باذيال ثوبي وهم يزرفون الدمع ملحين على في ان آتي بك اليهم باية وسيلة كانت. قال لا يمكن ابداً ان اغض النظر عما فيه رضى الله في سبيل مرضاة اولادي وان الله نعم الوكيل عني فيهم .

وبهذا المقال انقطع الحديث بيننا فانصرف ملامهدي يريد القلعة وفيما هوآيب اليها التفت نحوي قائلا اذا كنت تسمع نصيحتي فهلم انت ايضاً الى القلعة واترك وراءك هذه الحياة الدنيا التى هى سراب لاحقيقة له فتربح بعملك هذا رضوان الله ، واذا لم تجب دعوتي فلن تدرك ما يفوتك ابداً ، واذا اصررت على هذا فارجع الى ما انت عليه ودعنا وشأننا .

وكان عند ذاك على بعـد مني عائداالى القلعة فنظرت اليه بزفرات التنهد والحسرة وعبرات التأسفـو الحيرة وفكرت ملياوانافي اندهاش من امره ثم قطعت علائق قلبي به وتأوهت وعدت من حيث اتيت الى معسكر الحملة) اهـ

المراســـلات

بين الامير البرنس والفروسي

وبعد أن أتم الامير (البرنس) مهدي قلى ميرزا تجهيزاته وفرغ من اعداد معداته وترتيباته زحف بعسكره الى جوار القلعة واضعاً مركز قيادته فى نقطة تبعد عن القلعة بفرسخ واحد ونصب الخيام والقباب ثم أخـذ فى البحث والتساؤل عن معرفة تعداد أصحاب القلعة الحقيقى وما يملكونه من قوة فهوّل أهالى تلكم الجهات فى الامر وكبروا من شأن الحركة فى نظر الامير ما استطاعوا من التهويل والتجسيم حتى قدروا العدد بألفين ونيف وبالغوا فى وصف ما قام به المحصورون من شديد الحملات وضروب الشجاعة والفروسية ، فأضحى ذلك سبباً فى إحجـام الامير عما أزمعه من الاسراع فى الهجوم خشية الاندحار والخذلان وعدل الى الاناة منتظراً وصول النجدات وبالاخص ورود عباس قولى خان وفرسانه الذين كانوا على علم بأحوال البلاد وبالطرق والمسالك

المؤدية الى القلعة. واستحن أن يكاتب أهل القلعة بغية التمكن من مقصوده باستكمال الاستعداد ، وليقف على أحوال المحصورين بواسطة ذهاب الرسول وإيابه. فحرر خطابا الى القدوس مضمونه السؤال عن غايتهم من التحصن بالقلعة والاستفسار عن الاسباب والدواعي التي حدت بهم الى مخاصمة الدولة والقيام لمقاتلة رجالها ونصحهم بأن يرجعوا سيوف الخصام والقتال الى أغمادها ويخرجوا من القلعة وينزلوا على التسليم والطاعة والا كانت العاقبة عليهم الوبال والنكال. ولما كان هذا الخطاب من جملة ما نهبه الجند من القلعة بعد استشهاد الاصحاب لعبت به يد الضياع والفقدان ولم يعثر له حتى اليوم على أثر. واما الكتاب الذي حرره القدوس جوابا على هذا الخطاب وبعث به الى الامير فقد ابقته يد الحفظ والصيانة ولا تزال نسخ عديدة منه الى الآن.

ومن الانباء الصحيحة ان امرأ من اكابر رجال الامير اطلع على جواب القدوس ووقف على حقيقة أمر المتحصنين فاستنسخ الجواب ثم تمارض واستعفى من الاشتراك في الحملة وفاء الى طهران قبل ان يبدأ في القتال ومذ وصل الى العاصمة اعتكف ببيته ملازما جانب الصمت والسكون بقية عمره وكان اذا جرى بحضرته حديث القلعة ووجد آذانا واعية نزيهة عن الهوى والعصبية خاض فى وصف اصحاب القلعة بالتدين ومحبة الله وتكلم عما تعدت به عليهم يد الجور والمغاشم.

أما الجواب فقد تسنى للمؤلف العثور على نسخ عدة منه ومن جملة تلك النسخ النسخة المنسوبة الى النبيل وهاك نموذجها :

« اننا نتقدم الى حضرة النائب الاعلى – أيده الله تعالى – ونعرض ان البطاقة العالية وردت الينا ونحن فى بقعة هذا البلاء، والله الواحد الاحد شاهد على ان هذا الجمع المنكسر الضعيف يكره الخصومة وينفر منها وهو أجدر الناس باستنكار النزاع والقتال لا سيما اذا كان ذلك مع حضرة صاحب الملك ومليك الممالك ، فان الذين ينازعون الدولة ويقاتلونها هم طلاب الرئاسة والسلطنة : ليس إلا ، لا أمثال افراد هذه الطائفة الواقعة في حيز البلاء، والذين داسوا باقدامهم على مراتبهم ومناصبهم ونبذوا الرئاسة والمنبر والمحراب ظهريا وقطعوا جميع علائقهم بالدنيا ودخلوا حظيرة التجرد والانقطاع ولكننا قمنا بما يجب علينا من حق وواجب فأعلنا ظهور المنتظر وأقمنا حجته للعلماء الاعلام الذين مابرحوا ينتظرونه منذ الف سنة لا يفتأون يضرعون الى الله فى الاسعاف بظهوره وبروزه، وأبلغناهم آياته وبيناته ولكنهم تشبثوا بالاوهام كما تشبث بها الغابرون وغضوا الطرف عن الحجة اللامعة القاطعة والبرهان الواضح المبين ولم يقتصروا على حرمان أنفسهم من حظ النصفة والحق باعراضهم بل قاموا لاغواء العوام وباتوا عوامل حرمان الجميع من هذا الفيض المطلق ولم نزل بعد نراهم في بادية الضلالة والغواية وفى حيرة وانتظار ولقد أحب هؤلاء الارقاء المحصورون معي بالقلعة ان لا يكون

مثلهم مثل أهل القرون الخالية والامم الماضية كالزردشتيين والاسرائيليين والمسيحيين في مجرد الانتظار العقيم والاحتجاب وان لا يكونوا سببا في حرمان أهل العالم ولكن العلماء لم يرضوا بذلك بل قابلونا بالهزء والسخرية واخلد بعضهم الى الطعن واللعن والسب والضرب وما شا كل تلك الوسائل التى كانت ولم تزل ملجأ ارباب الاغراض ورجال الطمع الذين انما تطمح انظارهم الى المناصب والثروة والجاه . وأفتوا قبل ان يتحروا الحقيقة ودون إمعان النظر بكفر العباد وحكموا بقتلهم واشاعوا بين الناس انهم نجسون وحرضوا العوام الابرياء على قتل هؤلاء المظلومين المشتتين وقرروا ان وسيلة الزلفى من الله عز وجل هى قتل بضعة افراد من المظاليم وغرسوا الشكوك والشبهات في قلوب الناس وعلى الخصوص الحضرة السلطانية فانهم دسوا فى افكاره كثيراً من المفتريات الى ان تمكنت منه الظنون واضطروه الى سوق الجيوش وهدر دماء الرعية والبسوا بايديهم هيكل هذه الدولة ثوب العار الابدي الذي لا يمحى على كرور الايام ولا يزول الا بانقراض العالم ولو كان المجتهدون من الذين يميزون بين الحق والباطل لاهتموا في تحقيق هذا الامر من أول ظهوره ولا عتدّوا الوقوف على تفاصيل هذه الدعوة من أهم الامور وأعظم الشئون والزمها ولكانوا هجروا الراحة ولم يترددوا ساعة في السعي لمقابلة مدعى هذا المقام ومباحثته دون غرض أو مرض في النفس أو مشايعة للاهواء فيذاكرونه ويناظرونه

ويطلبون منه البينة والبرهان ثم يتبين لهم صدق هذه الدعوى من كذبها بكل وضوح وجلاء ويعلنون ذلك للعالم لكيلا يبقى لدى امرىء شبهة ماء وكان الواجب عليهم أن لا يسمحوا للناس بهياج واضطراب وأما الدولة فلبعدها عن الاطلاع على مقصد حضرة الباب الذي هو مرآة الاحدية ومرماه ، أمرت بنفيه الى أقاصي البلاد وسجنته وأقدمت على قتال بضعة من اصحابه الصادقين المتفانين الذين هم في الوقت نفسه من اصدق رعايا الدولة ، فياسبحان الله كيف تأدى الاختلاف بالرأى والاشتباه بامر هذه القضية الى حد لايتأتي الفصل فيها بين الحق و الباطل بغير المدافع والبنادق ولكن لما كان رجال المدافع وحملة البنادق غير مسؤلين عن هذا الفعل أو غير مكلفين به وليس من تكاليفهم ، كان القيام بذلك هو واجب العلماء الاعلام فكان حقا عليهم ان يفحصوا هذا الامر ويمحصوه فاذا ماتم لهم المطلوب وحلت المشاكل بالطرق العلمية والبراهين العقلية وتميز الحق من المين فنعمت النتيجة والا استعددنا للعدول الى المباهلة وتحكيم الله الحكم العدل (ليحق الحق ويزهق الباطل) وان لم تكف المباهلة أيضاً اشعلنا النيران وولجناها حتى يظهر المغشوش ويسود وجهه أما اذا نالت هذه الاقتراحات منكم نصيبها من الرفض ولم تحز لديكم قبولا وما رغبت العلماء في واحد منها والاقبال عليه فلا نلزمكموها بالقوة واننا لانحمل في قلوبنا لاحد بغضا ولا ضغينة ونحن فئة مظلومة وقعنا فى هذه البيداء واحتملنا

عديد الصدمات والمشقات وما لا يطاق من الكوارث والمضرات فافتحوا لنا الطريق لنخرج من هذه البلاد الى جهة العتبات العاليات ونخلي لكم وللعلماء هذه الديار والاقطار واذا قطعتم علينا الطريق وأوصدتم السبل أمامنا وسددتم الجهات الاربع في وجوهنا وكان كل مقصدكم قتل هؤلاء المظلومين فلا يبقى لدينا الا واجب واحد وهو الدفاع عن انفسنا وانا وان كنا على علم اليقين بان نتيجة هذا الدفاع هي شربنا كأس الشهادة فلا نكتمنكم اننا قد أعددنا النفوس لهذه الشهادة برجولية لامزيد عليها ليتبين للعالم اجمع صدق عقيدتنا ببينة واقعية وشاهد عيان هو الشهادة الفعلية ولكن ايها الامير الحر الضمير لاتسل" سيف الظلم والتعدي ولا ترق دماء الجند الابرياء المساكين وهذا الحزب المظلوم المشتت قبل الفحص والتدقيق فان الامر مشتبه فيه لدى الحضرة السلطانية ولولا ذلك لكان في الامكان تلافي هذا الخلاف بوسيلة الانصاف والتدبير دون الاضطرار الى امتشاق الحسام وقتل الرجال واراقة الدماء واعلم ان فرعون مع ما كان عليه من القدرة والجبروت والادعاء مع ان موسى كان ربيب بيته وقد قتل نفسا وفر هاربا بعد اقراره وكان مستوجب القتل، الامر الذي كان فرعون يقدر عليه، مع ذلك فانه تروى وحقق في الامر وفحص ودقق وطلب موسى فجيء به اليه وبعد البحث والمذاكرة طالبه بالبرهان على صدق نبوته فقال ان الدليل على صدق دعواي هي هذه العصا واليد البيضاء

ولما اعترض فرعون قائلا ان هذا من فنون السحر والشعوذة سمع في الجواب قوله تعالى (فأتوا بمثل هذا ان كنتم صادقين) فلم يستهزىء فرعون ولم يسخر بالامر بل جد في سبيل الاتيان بالمثل ودعا الف ساحر من السحرة وتكبد مصاريفها ، وكذلك كان حال هرون الرشيد العباسي فأنه جمع نيفاً واربعمائة من العلماء لمناقشة الآنسة (حُسنيّة)[1]

وكل ذلك يخالف ماوقع في هذه الأيام اذ يوجد اليوم أربعمائة شخص من أكمل المجتهدين وافضل المحققين قد صدقوا بهذا الامر البديع وشهدوا عن اجماع واتفاق بظهور حجة الوقت وقيام المهدي المنتظر وما زالوا على هذا التصديق والاعتراف . وفي حين تحقق هذا فان الناس قاطبة بعد ان ظلوا منتظرين لهذا الظهور الاعظم منذ الف سنة لم يخطوا خطوة في سبيل البحث والفحص وذلك لما بهم من فرط الغرور والغفلة المتناهية وما تذاكروا على قاعدة العدل والنصف في هذا المطلب العظيم الذي هو أهم الامور ولم يتبادلوا الآراء ليظهر صدق هذا المدعي من كذبه بدون خصام ولا نزاع بل تمسكوا بالاوهام التي تشبث بها الاولون من آلاف السنين وحسبوا ما عندهم من الافكار كحجة وقاموا على قتل

---

(١) الآنسة حسنية هي جارية الامام جعفر الصادق وكانت تقول ان الخلافة حق لآل البيت وكان هارون الرشيد مخالفاً لها في الرأي فجمع هذا المجلس من العلماء لمناقشتها فتغلبت عليهم (المعرب)

النفوس والتكفير والتدمير من غير ان يروا شيئا أو يعرفوه بميزان العقل والروية ثم سيروا الدولة حسب مقاصدهم وأهوائهم وقادوها لقتل جماعة المتبتلين المجاهدين بيد ان هؤلاء الاصحاب المحصورين فى هذه القلعة البلقع نفضوا أيديهم من الارواح والاموال والكيان ولوصولهم الى مقام اليقين في أمر ظهور حجة الله رأوا مالا ترى الاعين وسمعوا مالم تسمعه الآذان وأصبحوا أمناء الاسرار ومجالي الانوار وقطعوا سلاسل التعلقات بشجاعة وجذبة الهية واقدموا على عالم الحق متمسكين به ومنتظرين القضاء الالهى ومتأهبين لحمل مايقع من الحوادث وتلقيه بالصبر والتسليم، ومعلوم لدى كل منصف خبير ان الفداء بالروح والتنازل عن كل مافي اليد ابتغاء هداية العالم ورغبة في رفع غشاء الغفلة عن الابصار والبصائر ليست من هينات الامور التى في استطاعة كل نفس القيام بها والاقدام عليها ولا هي من متناول قدر أرباب الاغراض والاهواء وسيبقى ذلك دائما أبداً فان الاخطار المخيفة محيطة بهذه المرحلة المدهشة ومع هذا كله فانى وهؤلاء الارقاء المشتتين قد دخلنا في بيداء الهلاك وذاك الوادي المحفوف بالاهوال والمصائب والمحن متوكلين على الله الكريم ومتسلمين لكل أصناف البلايا. ترونا هائمين في سبيل الفداء متمسكين بصراط الحق المستقيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » انتهى

ولما وصل هذا الجواب الى يد الامير وتلي فى حضرته

استغرب من مضامينه جد الاستغراب وتسرب الشك الى ذهنه فيما يتعلق بحقيقة المحصورين حتى انه أبدى الحيرة في أمرهم أمام خواصه وأركان قيادته ولكن أهواء الرئاسة والحكم وأغراض السلطنة السياسية صداه عن التفكير في عمل ينجم عنه ترك القتال فكتب خطابا الى حضرة القدوس على طريقة المجاملة قائلا له :

(ان جميع مضامين ما كتبتموه مقرونة بالصواب مطابقة للقانون ولا بدّ لنا من ان نجمعكم مع العلماء للبحث والتدقيق حتى يتبين الغث من السمين)

وكان جل قصده من ارسال هذا الخطاب أن لا تتسرب الى أذهان المتحصنين فكرة الفرار أو الحملة قبل وصول عباس قولي خان بفرسانه وأن يكون معه مهلة لاتمام استعدادات القتال، ولكن هذا التدبير لم يجده نفعا كما سترى .

فانه لم يمض على وصول ذلك الخطاب الى القدوس الا يومان أو ثلاثة حتى ثبت للاصحاب أن الامير يشتغل في تدبير أمر الهجوم عليهم منتظراً وصول النجدة ومتحينا للفرص المناسبة فامر القدوس الاصحاب بان يستعدوا بالسلاح ويتأهبوا للهجوم على عسكر الامير فلم يكن الا ان جمعوا شملهم ونهضوا بخيلهم ورجلهم متجهين نحو المعسكر بعد أن خلفوا في القلعة ثلاثة عشر نفراً منهم ناطوا بهم حراسة القلعة والابراج وكان القدوس وباب الباب راكبين في طليعتهم وكانت ملابسهم من حيث الترتيب على نمط خاص يؤثر

فى الناظرين اليهم تأثيراً غريباً مدهشا ، فكان كل واحد منهم متقمصا بقميص من القماش الملون استعاض به عن مجموع ملابسه لا تزيد أكمامه عن المرافق ولا طوله عن الركبتين ،متمنطقا بحمائل غدارته أو سيفه وعلى رؤوسهم قلانس بلون وطراز واحد ، وفي وسط كل فرد منهم قطعة قماش بيضاء رمزا الى الكفن ، وبرزوا حفاة الاقدام وهم يرددون بصوت واحد رنان يدوى كالرعد القاصف كلمة (ياصاحب الزمان) فترتج من هول صداها الفيافي والقفار والجبال والتلال ولو أن ناظرا غريب الاهل والديار نظر اليهم ولم يكن له سابقة علم بطرف من حالاتهم ووقع طرفه على هيئتهم وعاين حملاتهم الشديدة القاسية لما شك في انهم مجانين أو قال على سبيل التفرس ان هؤلاء رجال اصابهم الناس بالقدر الفاحش من الصدمات والتعديات وسمعوا من استهزائهم وأذاهم ماسمعوا وضحوا حقوقهم الثابتة الشرعية على مذبح أهواء البرية ، وعرضوا بانفسهم لاستهانة الرئيس والمرؤوس والسائس والمسوس ، حتى طفح الكيل وتحطم زجاج صبرهم فقطعوا روابط العلائق والاسباب ونفضوا أيديهم من الارواح والاموال ثم هبوا للدفاع بتهييج لايبعد عن الجنون .

وبالجملة فان السكون كان سائدا على تلك البقاع والربوع ، والعظماء من رجال الحملة وأرباب المناصب غرقى في المنام والاطمئنان التام بقرية على بعد فرسخ من القلعة ، أما العساكر فكان بعضهم

تحت الخيام ، وآخرون في البيوت يتنعمون بلذيذ الراحة ويتمتعون بطيب الرقاد .

فلما وصل الاصحاب الى المعسكر ارتفعت الضوضاء من كل الجهات وطبقت جلبة الاصوات سائر الاطراف والا كناف .

وفي اول الامر كانت العساكر في غفلة مطبقة لجهلها بشأن هذه الضجة اذ استحال عليهم ان يتصوروا هجوم أهل القلعة واقدامهم على عمل من هذا القبيل بل ظنوهم فرسان عباس قولى خان قد اقبلوا وان ضيق المكان دعاهم الى احداث هذا الهياج الدال على الانزعاج ، لكن سرعان ماخاب ظنهم وسمعوا نداء يا (صاحب الزمان) يدوى فى آذانهم فاتضحت لهم عند ذاك جلية الامر ، واخذوا في الاستعداد خلال ذلك الاضطراب ولكنهم لم يكادوا يأتون على أمر هذا التأهب والتهيؤ حتى كان الوقت قد فات ووقعت الذخيرة في أيدى الاصحاب فاحرقوها ثم توجهوا نحو البناية التى كانت سكن الامير بيد ان الامير في هذه اللحظة كان قد استيقظ من منامه مذعورا وهرول نحو الجبل يطلب المخلص والمهرب واختبأ بين أشجارها يرتعش من شدة الخوف والوجل . وعندماعاين الجند فرار أميرهم حذوا حذوه وفروا هاربين وتشتتوا بين اطراف الغابة ولكن ثلاثة من كبار الجيش لم يتمكنوا من الفرار والنجاة فاحترقوا بنار الذخيرة وهم (سلطان حسين ميرزا ابن فتح علي شاه ـ وداود ميرزا ابن ظل السلطان السابق ـ وميرزا عبد الباقي رئيس ادارة الحملة)

ولما غدا النصر والفتح للاصحاب باهراً في تلك الموقعة شرع البعض في السلب والنهب مع ان القدوس وباب الباب سبق لهما ان كررا على مسامعهم التنبيهات وقالا لهم « ان النهب والسلب عملان دنيئان وانتم نفوس شريفة تتقدمون بارواحكم لتجعلوها ضحايا فينبغي لكم ان لا تلوثوا أيديكم بارتكاب أمثال هذه الدنايا» فرغماً عن كل تلك النصائح والوصايا تقدم آقا عبد الرسول المازندراني ـ وكان ذا مقام ممتاز بين احباء مازندران وهو أحد الشجعان المقادیم ـ واعتبر اندحار الاعداء فرصة ثمينة وطفق مع رجاله بجمع الاسلاب أما سائر الاصحاب فانهم لم يرتضوا هذا العمل ولكنهم اضطروا لانتظاره كراهية تركه هو وفرسانه والرجوع بدونهم ورغبة عن معاركته فيما شرع فيه، فطال الحال على ذلك الى ان بدت غمرة الصباح وبانت الاشباح، فتحرك الاصحاب للرجوع الى القلعة.

وفي هذه الاثناء اجتمع مايقارب الالف من الجنود الذين فروا في الليل واختبأوا تحت الاشجار، ورأوا عدد الاصحاب قليلا لا كما توهموا، فحملوا عليهم وأمطروهم وابلا من رصاص البنادق ودارت رحى القتال بين الفريقين وخاض باب الباب عباب المعركة وأظهر معجزات الشجاعة، وفيما هم في العراك والكفاح اذ اصيب القدوس بطلق ناري في فمه جرحه جرحا يسيرا وكسر بعض أسنانه حتى اضطر للامتناع عن الطعام هنيهة كان غذاؤه فيها اللبن وماشاكله من سائل الاغذية

هذا وبعد ان قاومهم الاصحاب أكبر مقاومة وأبلوا بلاء حسنا وهم على أدبارهم، وتعقبوهم الى أفنية المعسكر، ثم عادوا ودخلوا القلعة، ولما استقر بهم المقام قام حضرة باب الباب ينحى باللائمة على آقا عبد الرسول وفرسانه ولهم قال (لولا اشتغالكم بجمع الاسلاب لما كانت الكائنة الاخيرة وما جرح فم حضرة القدوس) ثم قال: (ينبغي لنا ونحن في لجة البلاء والمصائب ان نغض الطرف عن شئون العالم بحذافيرها ونوجه القلوب بحق الى مقام الحق، لان مقصدنا الوحيد وواجبنا المقدس انما هو هداية الخلق ونجاتهم، فلنأخذ حذرنا من تلويث أنفسنا بدنايا الاشياء وخيالات الدنيا والا كان عناؤنا بجملته عقيما وتذهب مشقات الاصحاب هباء منثورا)

والخلاصة انه بعد ان نثر عليهم من هذه النصائح الغالية المقدار الوفير والشيء الغزير، اتعظ من جمعوا الاسلاب ابلغ اتعاظ. وندموا على مافرط منهم واعتذروا باذلين العدة بانهم لن يلوثوا أنفسهم فيما بعد بامثال هذه الفعال وأن يبذلوا النفس بكمال التورع والانقطاع.

عباس قولي خان اللاريجاني

لحوقه الجيش

وهجمة الاصحاب الثانية ليلا

في مغبات تلك الوقعة الليلية شخص الامير (مهدي قولي ميرزا) الى بار فروش وكله أسى وأسف من المصائب التي حاقت بالحملة من فناء العسكر وهلكة القواد، وأبدى تبرمه وتذمره من من عباس قولي خان لابطائه عن الحضور وحمل ذلك التراخي على محمل التآمر على صنيع مقصود وعده أمراً وقع عمدا.

أما عباس قولي خان فانه عند سماعه أنباء تلك الوقعة خف مسرعاً الى ميدان القتال خشية وقوعه في مسئولية لدى الدولة ومخافة استحقاقه الزجر والعقوبة فجمع فرسانه على عجل ونهض بهم وقابل الامير والتحق بالحملة، وبعد ان تشاور الرؤساء في أمر القتال وشئون الحرب والنزال تحركت الحملة نحو القلعة، ونصبوا الخيام على مدناة منها وشرعوا في تشييد الحصون والمعاقل. لكن لم يخف أمرهم هذا على الاصحاب فعولوا على القيام بهجوم ليلي وكبس المعسكر.

ففي الليلة الاولى وقبل أن تستوفى العساكر أعمال المتاريس والتحصين أمر القدوس الاصحاب بالخروج وبقي هو مع نفر للقيام بحراسة القلعة وبينما كان الجيش في أمان واطمئنان بعضهم يظن أهل القلعة غافلين عن مجيئهم والبعض الآخر يهتم برسم خطط الدفاع

والهجوم ويصور ماسيقع غدا من الاعمال - واذا بنداء (ياصاحب الزمان) قد ارتفع الى عنان السماء ، واعقبه هجوم أهل القلعة بحملة شعواء على المعسكر

ولما كانت الاخبار عن شجاعة المتحصنين قد شاع أمرها وذاع ، وصيت بأسهم وجرأتهم قد ملأ البقاع والاسماع ، أوسع القلوب الخوف والهلع والارتياع . والذي ضاعف ذلك في المستمعين والجنود جهلهم بعددهم وعددهم وتوهم الجند ان الهاجمين لايقلون عداً عن الالفين من فرسان ومشاة فخامرهم الفزع والاتعاب وتولاهم الوهم والاضطراب ، ففتك بهم الاصحاب فتكا ذريعا وقتلوا عددا كثيفا وجرحوا أكثر من ذلك ثم قفلوا راجعين قريب الصباح الى القلعة . ولم تكن قتلاهم ولا جرحاهم الا قليلا . أجل لقد صارت غزوة تلك الليلة من الغزوات المروعة المخيفة بما تكشف من شجاعة الاصحاب وإقدامهم على الموت من غير ما رهبة ولا هيبة حتى ان المؤرخين من أعداء وأحباء اترعوا صفحات الصحائف بشرح تفاصيل هذا الخطب الجلل .

وكان من استنتاجات أفراد الحملة من مشهوداتهم في أحوال الاصحاب ان عرف كل فرد منهم بان القدوس شخص روحاني ، رجل تقوى وورع ، وله دون سواه النفوذ القلبي الاكبر على الاصحاب . أما ما عدا هذا من رسم خطط الهجوم والدفاع واختراع أفانين الخداع فى المحاربة والقراع فذلك من ترتيبات وتدبيرات جناب

باب الباب فهو الركن الركين والسند الوحيد في ثبات الاصحاب وقوة دفاعهم، وصاحب اليد الطولى في تشتيت رجال الحملة من الرئيس الى آخر جندي . لذا أمسى أولئك يتحينون الفرص لقتل حضرة باب الباب ، وباتوا له بالمرصاد في جميع الاحيان والاوقات ولكنهم لم يصلوا الى مطمعهم هذا الا بعد برهة أظهر في أثنائها حضرة باب الباب من افانين الدفاع وأساليب القراع ما ادهش أعاظم القواد واكابر رجال الحرب والجلاد .



شهادة باب الباب

ان المدة التي تصرمت ما بين ابتداء الغزوات الى ليلة شهادة حضرة باب الباب ، كانت عبارة عن نيف وشهرين وقع في ادراجها مفاجآت شديدة وهجمات عنيفة تلف فيها عدد عديد من الجند وأهل القلعة وما استفاد رجال الحملة النظامية من التجارب في جميع هذه الوقائع والخسائر غير اكتشافهم طريقة اعتاد اهل القلعة السير عليها. وهي انهم كانوا عند قفولهم من هجماتهم الليلية ينتظر بعضهم بعضاً في ادغال الغابة ويوقدون النار كعلم يجتمعون حوله ، ثم يأخذون بالعودة معا الى القلعة . فبعد ان تحقق عباس قولي خان بنفسه من امر هذه العادة التي اعتادها الاصحاب جاء ذات ليلة متخفياً مغيراً زيه المعتاد وصعد احدى الاشجار الواقعة في الممر الذي يجتازه باب الباب ورجاله للهجوم على المعسكر ، وتوارى بين أغصان الشجرة وأوراقها وقعد بالمرصاد يرتقب خروج باب الباب وعودته ، عساه يتمكن من غيلته فيورده حتفه .

ولما خرج الاصحاب من القلعة واشتبكوا مع الجند في الحرب والطعان مكث عباس قولي خان ينظر الى ساحة القتال ويرصد عودتهم بفارغ الصبر حتى اذا اشعلوا النيران يقضي ما في نفسه من الارب . واتفق ان كان النفاح والكفاح في تلك الليلة على اشده وأصيب عدد كثيف من الفريقين .

وقال بعض المؤرخة ان من قتلوا في تلك الليلة من رجال الحملة كانوا اربعمائة ، منهم خمسة وثلاثون من ارباب الرتب والمناصب، والبقية من الجنود. وأما أهل القلعة فكان مجموع خسائرهم من بداية الغزوات الى نهاية هذه الليلة سبعين نفسا كان آخرهم حضرة باب الباب ، وتفصيل الخبر :

أن الاصحاب بعد ما تعبوا من القتال والنزال اخذوا ينسحبون من الميدان الى جهة النار التى اشتعلت للاجتماع حولها . وكان عباس قولى خان في تلك اللحظة يبحث بين اشعة النار وأنوارها الضئيلة عن باب الباب باشد ما له من قوة النظر والبصر ، حتى وقع نظره عليه وعرفه فصوب فوهة بندقيته نحوه ورماه فاصاب صدره ثم اعاد الرماية فاصابه ثانيا. عند ذاك أمر حضرة باب الباب احد الاصحاب ان يسرع بكل الامكان في ايصاله الى القلعة .فركب هذا الصاحب جواد باب الباب واحتضنه واطلق العنان للجواد حتى بلغ القلعة ، وعندما شرع في إنزاله عن الجواد اسلم الروح وصعد الى الملأ الاعلى

اما الاصحاب فانهم تقاطروا بعده الى القلعة باشد التعب والنصب ، ولما علموا بصعود رئيسم المحبوب وقائدهم الاوحد جرح الاسى منهم القلوب واستغرقوا في النوح والنشيد والنحيب اما القدوس فقد تجمل باجمل الصبر والجلد ولم يظهر شيئاً من الجوى والاسف ،وأمر بمواراته التراب ثم اخذ في تعزية الاحباب

وسنأتي في الموطن المناسب على شرح آقا محمد رضى المازندراني الذي هو احد بقايا السيف من تلك الواقعة وما قاله عن نفسه وعن سائر الصحب ومن ذلك قوله بمناسبة ذكره لشهادة حضرة باب الباب هذا (لما وقع نظر حضرة القدوس على رفات باب الباب لم يظهر عليه ادنى تغير وتأثر واشار بعصاه الى جسد الشهيد مع كمال السمت والثبات والسكينة والوقار، قائلا: احملوا هذا الجسد المطهر وادفنوه في ضريح يحفر له في الغرفة الخربة التي في جوار سور القلعة. فشرع الاصحاب في حفر القبر بينما كان القدوس يصلي على الشهيد وفي تلو ذلك دفنوه بلباسه الذي كان مخضبا بدمائه

وروى الآقا المذكور كما روى المرحوم ميرزا حيدر علي الاردستاني الذي كان من بقايا السيف أيضا أن جماعة ممن خرج في تلك الليلة من الاصحاب الى المبارزة لم يعودوا ولم يعرف امرؤ هل قتلوا أم عرض عليهم حدث آخر فامر القدوس الاصحاب بالاذان والمناجاة وتلاوة القرآن قبل الميعاد المعتاد في سائر الليالى

وكان من خلائقهم ان ينتبه كل امرىء منهم من هجوعه قبل الصباح ويأخذ في تلاوة القرآن والادعية بصوت جهوري كان الجند يسمعونه في بعض الاحيان من معسكرهم، وروى لنا بعض منصفى أفراد الحملة انه قال في إحدى الليالي لبعض أصحابه — اذا كان الكفر هو ما عليه أهل القلعة والاسلام ما نحن معشر الجند عليه فالانصاف أن نتبرأ من الاسلام ونعتنق الكفر ذاك

لاننا نسمع من القلعة نغمات الادعية والصلاة وتلاوة القرآن بينما لا نرى بين افراد الجيش من الكبير الى الصغير سوى العربدة والسكر، ولا نسمع منهم سوى فحش القول الذي ليس بعده قبح ولا هجر — والخلاصة انه لما ارتفعت الاصوات في تلك الليلة بالاذان والدعاء قبل الميقات على غير المعتاد لم ينقض على ذلك نصف ساعة حتى أخذ الغائبون بالعودة يتقاطرون الى القلعة وتبين لنا حينئذ انهم كانوا قد ضلوا السبيل من بهمة الظلام الحالك وشدة وعورة الطريق فلبثوا في أطراف الغابة حيرى وعند ما سمعوا أصوات المؤذنين توجهوا نحوها ووصلوا الى القلعة) ه



الجهاد العام

قد سبق لنا الاشارة فى الحلقة المتقدمة الى ان الذين قتلوا من رؤساء الجيش وارباب المناصب فيه يقدرون بخمسة وثلاثين قتيلا ، وتفصيلا لذلك نقول :

ان اولئك القتلى كانوا من اقرباء عباس قولى خان ومن أعز الناس عليه فلما نمى اليه الخبر بدل من فرحه ومرحه بقتله باب الباب ترحا وقرحا ، وامر بحمل اجساد القتلى الى بلدة (آمل) ثم لحق بهم وشرع بهيىء مراسم المآتم والمناحة والعزاء ، فاشترك العديدون من أهالى مازندران فى ذلك ، وتشاطروا الاسى والجوى وتبادلوا التعزية لما بينهم وبين المقتولين من القرابة والرحم . أما سعيد العلماء فانه عند ما علم برجعة عباس قولى خان وارتداده اضطربت افكاره وملكه الزعر والرعب وخالجته الهواجس والظنون المزعجة ، وحسب لتقاعد عباس قولى خان الف حساب وتحقق لديه استشراء الشر حتى لقد تصور ان ضرراً ما محققا سيصل اليه ثم نظر الى عواقب الامور فوجدها وخيمة ووبالة عليه ، فحرر الى عباس قولى خان خطابا ضمنه جميع صيغ المدح والثناء واطراه بكل نعوت الشجاعة والبسالة وخاطبه مشجعا له قائلا : (انك وان تحملت النصب والمشقة وضحيت باقاربك في هذا الصدد فان الشيء الذي يرثى له انك لم تتمم خدمتك بل تقهقرت الى الوراء

واني لاخشى ان يسبقك سواك ويستأثر دونك بتقلد هذا الفخر والشرف، فتذهب اتعابك مع الريح اذن يجب عليك ان تعجل كي تنال الاجر والمثوبة وتصل الى رئاسة مازندران العظيمة)
وكذلك كتب كتابا آخر الى علماء (آمل) راغبا اليهم في ان يطرقوا ابواب جميع الحيل والوسائل لارجاع عباس قولي خان الى القلعة قائلا :(انه ليخشى ان يفر البابيون من هناك او تتضاعف جرأتهم وتشتد شكيمتهم بما قد وقع وجرى فيقوموا بهجوم على البلدة وتتجدد اسباب النصب والمشقة) فأخذ علماء « آمل » يفدون على عباس قولي خان من كل الاصواب يستحثونه ويشجعونه على العودة الى ساحة القتال . ولكن عباس قولي خان استاء من الحاف العلماء واحتسبه اهانة له وقال لهم : (اذا كانت المسألة مسألة جهاد فتكونون انتم الاحرياء بالاقدام على ذلك فانتم حملة لواء الشرع والقوام بالحفظ عليه فلماذا تلازمون جانب السكون والدعة وتضطجعون على فراش الراحة حائدين عن الفريضة ثم تدفعون غيركم الى خوض المعامع وتعرضونه الى القتل وانما الواجب عليكم ان تكونوا في طليعة الناس كي يتأسى بكم الجمهور

ولا شك ان أقوالا كهذه من عباس قولي خان كانت من باب التعلل والمطل ولكنها في آن واحد الزمت العلماء الحجة واوقفتهم في موقف حرج فاضطروا لبث المنادين في الطرق

والاسواق يدعون الناس الى الجهاد الذى هو فرض كل مسلم وقالوا انه يجب على المسلمين كافة ان يهبوا لاقتلاع جذور البابية واستئصال شأفتهم. وعند ذلك أخذت المسألة شكلا رسميا وقدمت دعوة الجهاد الى زعيم المجتهدين سعيد العلماء فوقع هو أيضاً عليها وأفتى بوجوب اجابة هذا النداء، فاحتشد حشد من الطلبة والمرتزقة في بلدة آمل وخفوا الى بارفروش حيث انضم اليهم سواد آخر من أهالي تلك البلدة وخرجوا جميعا الى ميدان الجهاد.

ولا يخفى على القارىء ما يكون من هذا الدهم المكون من العلماء والطلاب وأبناء الاحتراف والاكتساب، العزل عن السلاح الذين لم تسبق لهم سابقة تمرن فى الكر والفر، ولا مراس لهم ولا معرفة باحوال الحرب ولم يطرق آذانهم دوي البنادق التى سيسمعونها من رجال القلعة البسل المستميتين فى الذود عن حياتهم المفادين بانفسهم فى سبيل معتقدهم وايمانهم

ولما وقعت عين عباس قولى خان على هذه الحال اضطر للاوبة الى الميدان مع فرسانه، وحينما عاين الامير ذلك بادر هو ايضا الى الحرب والقتال وحشرت هذه الفرق الثلاث فى قرية لا تبعد عن القلعة الا فرسخا واحداً وحطوا رحالهم فيها، وكان الظن الاغلب ان هذه الكتائب ستنسف البابيين نسفا وتدك بنيان عزمهم ومنعتهم ذلك لان الحملة في هذه الكرة كانت مكونة من الجنود والطلبة

والعامة، ونار الغيرة الدينية متأججة في صدورهم جميعا ، لذا لم يرض واحد منهم بالتأجيل والتسويف، ولم يكادوا يحطون الرحال بالقرية المذكورة حتى صدرت الاوامر بالاغارة والهجوم العام على القلعة وبثت الطلائع من فرسان ومشاة لاستئناف عمل المتاريس التي سبق انشاؤها بجوار القلعة . وأما بقية رجال الحملة فكانوا يقتصون أثر تلك الجنود .

ولنعطف زمام اليراع الآن على أصحاب القلعة وما كان من أمرهم فنقول : انهم بعد ان استراحوا قليلا من متاعب الصدام والاقتتال ، وسريت عنهم أوصاب النزال والنضال ، أعدوا أنفسهم لاعادة المهاجمة والكفاح وقرروا بينهم ان لا يتركوا ألوية العمل من أيديهم ولا ان يمهلوا الجند لمحة ولا يعطوهم فرصة بل يفاجئوهم غب وصولهم وورودهم فأرسل حضرة القدوس زمرة من الاصحاب وأمرهم بان يجتمعوا خلف أشجار الغابة وعلى مقربة من المتاريس والاستحكامات ويحملوا حملة واحدة على الجند حالما يتقدمون لاحتلال مواقعهم. وقد وقع ما قاله القدوس فان الطليعة لم تكد تخطو خطوات للسير والتقدم حتى دهمها الاصحاب بخروجهم من مكامنهم منادين بصوت واحد رنان (ياصاحب الزمان)

وحملوا حملة دهماء امتد بها القتال زمنا وبعد ان قتلت اعداد من الجنود واسر آخرون تقهقر الباقون وقد استحوذ القنوط على قلوبهم ويئسوا من حيازة المواقع المنشودة. ولما ان تلاقى المنهزمون

مع رجال الحملة في بحبوحة الطريق شرحوا لهم ما قام به أهل القلعة من خطير الاعمال وقالوا ان الاستحكامات أصبحت في حوزتهم فعاد الفيلقان معا لاستئناف القتال والعراك وحمي وطيس الحرب والتلاحم بين الفريقين بكل تحمس واستبسال، و كان من دأب أهل القلعة وخليقتهم ان يقتصدوا في الذخيرة من بارود ورصاص ولا يطلقوها سدى، ولكنهم في ذلك اليوم لم يروا بدأً من الاكثار منهما فاخذوا يمطرون المهاجمين ناراً حامية على غاية من الانتظام ، وقاوموهم مقاومة فنية وعندما مالت ذكاء للغروب قنط رجال الجيش من نيل امنيتهم ويئسوا من القبض على الاستحكامات فرجعوا القهقرى للمرة الثانية ولم يصلوا الى القرية الا بعد ان بسط الليل جناحيه وارخى سدوله وذيوله ، اما المجاهدون (ونعني بهم عصابات الطلبة والمرتزقة) فانهم رغماً عن وقوعهم بمعزل عن القتال ووقوفهم في مؤخرة الحملة بعداء عن ساحة الوغى مسافة شاسعة كانوا على خوف ووجل لا مزيد عليهما يفرون من جهة الى اخرى مرتجفين كالريش في مهاب الريح ، وكادت قلوبهم تنفطر من الفرق والرعب .

فلما عادت بهم يد الفشل جميعاً من المحاربة والمناهضة واستقر كل في موقعه ومقره علم عباس قولي خان ان حضرات المجاهدين الغزاة امسوا بما استحوذ عليهم من الوهل والجزع على

شفا حفرة من الموت واتصلت به أيضاً أنباء عنهم منها ان كثيرين
من ذلك الدهم الغفير بدءوا يعتقدون ان الحق فى جانب البابية
لذا لم يعطوا الجهاد حقه من الاهتمام والاعتناء ، ورأوا ان محو البابية
ليس فرضا ولا امراً حتما ، ولاجل ان يقف عباس قولى خان على
حقيقة الافكار السائدة بين افراد الحملة غير لباسه وخرج متخفياً
يطوف حول ثكنات الجند وخيامهم يسترق السمع ويتصنت
للاحاديث التى تدور بينهم .

وروى تقي خان القراباغي طرفا مما كان يقصه عباس قولى خان
وذلك قوله : (كان أفراد الحملة بعد تلك الصدمة والملحمة وفى
هاتيك الليلة منقسمين الى اقسام وحديث الجميع أليم محزن ؛ فقد
كان كل واحد منهم يروى ما وقع له فى يومه ويفشى مافي ضميره
وسره ، هذا يلعن سعيد العلماء اذ كان السبب في الهاب ضرام الفتنة
ابتغاء المحافظة على رئاسته واسمه ، ويذكر انه هو الذي اوقعهم في
هذا الكرب والضنك والعذاب والهلاك وقطعهم عن تحصيل
علومهم والاستمرار في اشغالهم حتى اختل نظام معيشتهم العائلية
وسلبهم راحتهم - وذاك يجيبه بان مقاتلة ثلة نفضت ايديها من
ارواحها واموالها شطط بعيد وغلط فاحش مخالف لقوله تعالى
(ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وثالث يقول انى بما امامي من
الموانع العديدة لايشملني حكم الشرع بالجهاد . ورابع يجاوبه
بقوله انني لم اترك لعائلتى كفايتها من النقود فالواجب على ان

أعود اليها قياما بذلك . وخامس يقول ان حساباتي مع الناس لم تنظم ولم اجرها بالدقة فاذا استشهدت في هذا السبيل ضاعت اموالي وجنيت بذلك على اولادي . وسادس يجاوبه بقوله اني مدين لبعض الناس فاذا مت دون ان افي بديوني فان دائني سيمنعونني عن عبور الصراط يوم القيامة . وسابع رفع الصوت جهرة وهو يقول انني خرجت الى الجهاد على غير رضاء والدتي حتى انها حين ذهابي ناحت وقالت اذا أنت ذهبت فلن اسامحك باللبن الذي ارضعتك اياه فاراني خائفاً من عاقبة غضبها . وثامن يقول انني نذرت زيارة سيد الشهداء بكربلاء ولا ريب في ان زيارة تلك الحضرة ولو مرة تعدل الف شهادة والف حجة .

هذا ما كان من اقوال فئة من هذا الجمع ، وكان هناك فئة اخرى كان قولها اعلى من اقوال أولئك فانهم كانوا لا يتكلمون الا بالبرهان والاستدلال ، وكانت ابحاثهم جميعاً تدور حول فكرة واحدة وهي قولهم : « اننا في الواقع لم نر من هؤلاء البابيين عملا ولم نسمع منهم قولا يشتم منه ما يخالف الاسلام او يخل بمقتضى الامن العام ولم نشاهد من احوالهم ما يشف عن كفرهم وارتدادهم فلماذا اذاً نحكم بوجوب قتلهم لاسيما ان اقرارهم بكلمة الشهادة وتلاوتهم للقرآن ودرسهم له امور مسلمة لاتقبل الاشتباه والمراء ، غاية ما في الباب انهم يقولون بظهور القائم المنتظر -المهدي- فلندعهم يقولون ذلك فانهم كيفما كانوا ليسوا كأهل السنة الذين ينكرون امامة الأئمة

الاثنى عشر ويعترفون بخلافة الخلفاء الثلاثة ويفضلونهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويقولون ان عائشة أم المؤمنين»

فتلك الاحاديث وهذه المباحثات كانت سمر الطلبة وجماعة المجاهدين في تلك الليلة مما ينم عن ان الخوف تسرب الى قلوبهم والوهم تغلغل في أفئدتهم فلما شعروا به وبلغ منهم مبلغه انتحلوا المعاذير والاعاليل ليتوطأ لهم طريق الرجوع الى ديارهم ويتسنى لهم الافلات من شباك الجهاد ، وكانوا اذا وقع في آذانهم صوت فجائي وهم في غمرة المحادثة والمباحثة يستوفزون جميعاً ويركضون الى خارج المكان متوجسين من ذلك الصوت هجوم البابيين عليهم .

فكان عباس قولي خان يضحك لتلك الأقوال ، ومن جهة أخرى يفكر في أشأم النتائج التي يمكن أن تنجم لو انتشرت هذه الافكار بين أفراد الحملة النظاميين ، فأصبح شديد الحذر والوجل والقلق) انتهى

ولم يحجم عباس قولي خان عن مكاشفة الامير ورؤساء الحملة بالامر بل أشعرهم بكل ما عرف وأخبرهم خبر ما رأى وسمع فقرروا وجوب صرف المجاهدين ، وأمر كل واحد منهم بالقفول الى موطنه ، والا أصاب الجيش من جراء اختلاطهم به وانتشارهم بين أفراده جسائم الاضرار التي ربما تمس بسمعة الدولة ، وكان الرؤساء في عجب من تصرف العلماء والطلاب الذين شمروا عن ساعد الجد والاجتهاد ، وأعلنوا وجوب الجهاد ، وتقدموا الى ميدان الحرب

والجلاد، ثم لم يلبثوا ان تقهقروا أشين التقهقر، وأقاموا من أنفسهم شهوداً على ضعف عقائدهم وتفكك عزائمهم وانقطاع قلوبهم وضمائرهم .

وكان من أولئك الرؤساء والكبراء من تطرف في الازراء عليهم والتنديد بهم فقال : (ألم يكن من بين المسائل الاسلامية المسلمة ان الاقدام على الجهاد قبل وقوع اليقين بضرورته باطل وان التقاعد أو الفرار منه بعد حصول اليقين بوجوبه من أكبر الجرائم فلو اننا نظرنا الى ذلك لصح لنا بموجب الشريعة الاسلامية ان نحكم على هؤلاء العلماء والطلاب بالكفر والارتداد ، ولكن ما العمل ونحن نرى كبار السادة من العلماء والرؤساء مشغولين بالطعام والشراب والمنام ، والقاء جراثيم الفتن بين الانام ، وخلق المشاكل والمشاغل للدولة ، فرحم الله القائمقام[1] الذي كتب عنهم في منشآته ما كتب انه (والحق يقال) أصاب المرمى ولم يخطيء الهدف .

وبالجملة فانهم جاءوا في اليوم الثاني من تقرير هذا القرار وشرعوا في تنفيذ قرارهم، ودعوا جماعة المجاهدين الى الاجماع وقالوا لهم (أيها السادة انكم تعبتم جد التعب وأديتم خير الخدمات

(١) القائمقام : هو الميرزا أغا خان الوزير الكبير في عهد سلطنة محمد شاه ، وقد قتل بأمر من الشاه المذكور ، فكتب في احدى منشآته عن عدم قيام العلماء بما هو واجب عليهم مع انهم يتمتعون بالراحة التامة في المملكة . وان ما كتبه غاية في البلاغة وفيه نكات مضحكة لم يوردها المؤلف مراعاة للآداب العامة

والآن يجب عليكم ان تعودوا الى بلادكم وتشتغلوا بتحصيل العلوم وتتداركوا ما فاتكم من أمور الكسب للمعيشة والراحة والهناء ، وتدعوا للدولة بالتأييد والنصر الى الابد)

فلما سمع جمع المجاهدين هذا المقال وقع من قلوبهم موقع الدواء من الداء وصار عليها برداً وسلاماً كماء الحياة وتهللت منهم الوجوه واطلقوا ألسنتهم بالدعاء والثناء ، ثم عادوا من حيث أتوا فرحين مبتهجين ، وكانوا مصداق قول الشاعر :

« وفي الهيجاء ما جربت نفسي

ولكن في الهزيمة كالغزال »



المنجنيق والنفق

والابراج

وبعد ان أحدقت المصائب وحاقت النوائب برؤساء الحملة وكبرائها جملة من الايام والشهور قر قرارهم بعد طول التداول والتشاور على مهاجمة القلعة بحيلتين: احداهما صنع منجنيق يسهل عليهم التقدم نحو السور، والثانية حفر نفق يستطيعون به وضع بارود في اسسه لينسفه وتسقط الحصون التي يحتمي بها أهل القلعة ويدافعون من ورائها عن أنفسهم وما اعتُمد هذا التحيل والتدبير الا لأن الآلات الحربية التي من نوع المدفع الكبير وشبهها لم تكن موجودة اذ ذاك فلم تكن البلاد الايرانية في ذلك الاوان مستكملة العتاد كما هي الحال في هذه الايام بل كان الاعتماد في الحرب على رباطة القلب وشجاعة المرء وتدابير المتفننين من من الرؤساء والقواد.

وعلى أثر هذا القرار واعتماده قام بعض النجارين بصنع المنجنيق واستحضر ما يقتضيه ذلك وعندما تم العمل أخذ الرجال في حفر الخنادق تحت ظل المنجنيق وطفقوا يتقدمون خطوة خطوة الى جهة القلعة وعند دنوهم منها شرعوا ينقبون الارض وحفروا نفقا انتهى بهم آخره الى أساس السور فوضعوا صندوقا من البارود فيه ثم أشعلوا به ناراً فانفجر انفجارا هائلا وهدم جانبا

من الاسوار فانفتحت فيه ثغرة واسعة ، ولكن رجال القلعة نهضوا في الحال لاستئناف القتال وأبرزوا من أفانين الشجاعة وآيات المراس والحماسة مايبهر الاعين والابصار منبعثين الى ذلك بعاملي الدفاع وصد المهاجمين ، وكانت حملة البنادق منهم يمطرون الخصم ناراً حامية والقى المشاة بأنفسهم فى المعمعة وقد شهروا سيوفهم وأغاروا بغدارانهم على الجند فاحتدم قتال واحتد عراك وانجلى عن إندحار المهاجمين وتقهقرهم واسترجاع الاصحاب حدود القلعة وامتلاكهم اياها .

ولما أرخى الليل رواقه ونصب شراعه وارتد الجند الى معسكرهم أمر القدوس الاصحاب باعادة بناء ما تهدم من السور في جوف الظلام فسارع الجميع الى العمل بأعجب نشاط واحكموا البناء بما كان لديهم من خشب وبأشجار استحضروها في تلك الليلة ، وما كاد الصباح يتنفس والخيط الابيض يتبسم حتى كانوا قد فرغوا من قضاء مهمتهم وشادوا استحكامات أقوى مما كانت بالامس الدابر فادهشوا بتلك المقدرة والمهارة الفائقة جميع أفراد الحملة وتركوهم في غمرة الحيرة والذهول .

ولما فشل هذا التدبير ولم يجنوا منه الا الخذلان قدحوا زناد الفكر فى التعويل على احتيال آخر فرأوا ان يبنوا أربعة أبراج فى جهات القلعة الاربع حتى يتمكنوا من رمي الاصحاب وهم بداخلها ولا شك في ان ذلك انما أتيح لهم بآلات حربية

استحضروها فكان بناء تلك الابراج فاتحة أفول نجم الاصحاب ومقدمة زوال غلبتهم واضمحلال شوكتهم فقد أخذت القنابل منذ ثم ذلك تتساقط عليهم وتنهمر من تلك الابراج الى باحة القلعة وتصيب وتتلف من النفوس مالا يستهان به حتى ان طلقا وقع ذات يوم على رأس قبة منزل القدوس فاحرقه وعند ما صعد الشيخ صالح الشيرازي لاطفاء النار أصابه طلق في رأسه فقضى عليه وقبل أن يرفع جسده من مكانه جاءت رصاصة ثالثة فجرحت يد مير محمد على بن آقا سيد احمد أحد السادات وأفاضل العلماء ثم أصيب ابن صغير له لايزيد سنه عن ثلاثة عشر ربيعاً على مشهد من والده فقضى نحبه وكان هذا البني الصغير ولداً باراً بوالده عظيم الولوع والتعلق به لذا عز عليه مفارقة والده وقدم معه الى القلعة وقدرت وفاته بها ثم أعقب ذلك سقوط قنبلة على سقف منزل القدوس فدكته . عند ذلك نهض مسرعا ملا محمد صادق المقدس الخراساني الذي سبق لنا الالماع بما قام به من الخدمات وما احتمل من الشدائد والمشقات وقابل حضرة القدوس وقال له (يا سيد تفضلوا بالتحول من هذا المكان الى مكان امنع واحرز) فاجابه القدوس مع كمال الهدوء والسكينة والرزانة قائلا (لادافع لقضائه ولا مرد لحكمه فاذا تعلقت الارادة الالهية بان أكون طعمة القنابل لم يغنني التحرك والاضطراب ولم ينجني التحرز والامتناع واذا لم يرد لي ذلك فلا فرق بين الفرار والقرار)

ملا سعيد الزركنابادي

وهنا نرى الاتيان على بعض الشيء من ذكريات هـذا المفضال الهمام ثم نتخلص بالمناسبة للاستمرار في طريقنا فنقول :

لم يكن ملا سعيد هذا في عنفوان حياته من مشاهير الرجال الطائري الصيت بين الانام، ولم ينظمه امرؤ في صفوف المنتمين الى العلم والعرفان ، ولـكن لم تمض فرصة من الزمان على تغذيه بلبان المعارف الامرية وتثقيف عقله بالمبادىء البهية الفتية ، حتى بدت عليـه مخايل النجابة والذكاء الفائق وقوة العارضة وانقطع في يده بمجال المناظرة كل صنديد مجادل . وفيما هو موجود بين الاصحاب في القلعة كتب لفيف من فطاحل علمـاء بلدة نور رسالة الى حضرة القدوس ضمنوها طائفة من المسائل الجفرية وعدة من المطالب الفلـكية راغبين اليه في الاجابة عليها .

فلمـا وصلت تلك الرسالة الى القلعة ورفعت الى يد القدوس (وكان ذلك قبل انسداد طرق المواصلات وغلق أبواب المراسلات والمقابلات واستفحال الخطب) أحال بها حضرته على ملا سعيد هذا ، وأمره بتدبيج الرد عليها ، فكتب الفاضل المذكور جوابا عليها في غاية المتانة والجودة ، وصدره بخطبة عربية فصحى ثم أردفها بالاجوبة الشافية الكافية على هاتيكم الاسئلة مؤسسا كلامه على القواعد العلمية ، ثم اختتم الجواب بخاتمة غراء حوت جملة من

المطالب والمباحث الروحانية والاشارات والدلالات على حلول ميعاد الظهور ، وطبق أحوال الناس وما هم عليه من إقبال وإدبار ، وأخبار أهل البيت على موقف أهل القلعة ، وأبان ان ذلك كان مصداقا لكثير من الوعود

والخلاصة انه بعد أن أشبع كتابه وجوابه بالاسهاب والبسط في شرح هذه المسائل إسهاباً وبسطاً بديعين ، بعث به إلى السائلين (علماء بلدة نور) فلما وصل الى يد ميرزا محمد تقي النوري ، دعا العلماء إلى منزله وتلا عليهم تلك الاجابة ، فبهت الجمع وتملكتهم الدهشة من معين تقريره وطلاوة تحريره ، وأخذوا في مديح كاتبه ، واعترفوا بأن صدور كتاب مثل هذا على ذلك الطراز من المتانة والاجادة من ملا سعيد ، في حين وجوده بالقلعة محصوراً مشغول البال بالحمل والدفاع ، لا يمكن أن يكون إلا من طريق الالهام الالهي ، وذلك لأنهم يعلمون علم اليقين انه لم يكن في سوابق أيامه وقوادم حياته من أولى هذه المقامات وذوي هاتيك المعلومات ، وانه لم يحرز هذا العلم والمنطق وتلك المقدرة العبقرية إلا منذ انضم الى لواء حضرة الباب ، وانخرط في قلادة أهله وتابعيه ، وآثر صحبتهم ومحبتهم ، فلنذر الآن العلماء واعجابهم ولنرجع بالقراء الى ما كنا بصدده من شرح أحوال المتحصنين والانباء بانبائهم فنقول :

إنه منذ تحصن المتحصنين وحصار المحاصرين ومناوشات

الجيش المنظم لهم ، ما برح في استطاعتهم الخروج من القلعة لتنسم الاخبار ، الى ان بنى رجاله الابراج فاصبح الخروج والدخول أمراً عسيراً ، ثم استحال وامتنع ذلك عليهم أخيراً .

وفى ذات يوم من الايام أقبل ملا سعيد وخمسة من الصحب وخرجوا من القلعة في مهم لم يعلم ما هو ، ولعله كان متعلقاً بشأن الذود والدفاع ، فلما عاينتهم الجنود هموا أولاً برميهم بالرصاص ثم عدلوا عن ذلك وقرروا القبض عليهم عساهم أن يقفوا منهم على سر من أسرار المحصورين ، فامهلوهم حتى وقعوا في قبضتهم ، وساقوهم الى حضرة الامير رئيس الحملة ، فشرع يستنطقهم للوقوف على مقدار قوة المحاصرين وما لديهم من ذخيرة وما شاكل ذلك ، فلم يحصل على بغيته بوجه من الوجوه وما رضخ أحد من أولئك الرجال الستة لملتمساته ، وذهب ما استعمله من كلمات التهديد والوعيد سدى ، فلم يؤثر فيهم الارهاب ولا أتى الازعاج بطائل ، فاضطر لركوب متون الزجر والايذاء فلم يزدهم ذلك الا اصراراً على التكتم والضن بالاخبار ، وما فاه أحد منهم بكلمة ولا نطق بلفظة تشير الى شيء من حالات المحاصرين

ولما نفد صبر الامير وأعيته الحيل ، وافرغ جميع ما في جعبته من الذرائع التى من شأنها حمل الاسرى على الاقرار واستطلاع الانباء منهم نظر الى ملا سعيد وقال : (بما انك

تتجاهل الآن بشئون القلعة وأهلها فتب الى الله حتى نخلي سبيلك)
فعندما سمع ملا سعيد كلمة التوبة تغيرت حالته واشتعلت نار الغيرة في فؤاده ودنا من الامير بكل شهامة وقال له: (أيها النائب الاعلى ، من منا تلزمه التوبة ، هل أنا ولم أقترف خطأ أم أنت ؟ إن الرجل الذي يؤمن بالله ورسوله ويعترف بحقيقة الموعود ولم يغمض طرفه قط عن الدين من أجل الدنيا كيف يلزمه المتاب إنما تجب التوبة عليكم معشر الرجال الذين ضربوا صفحا عن الحقائق الروحية الثابتة واستهانوا بوعود الانبياء وحسبوا ان الاوامر الدينية لعبة صبيانية فانتم أنتم الذي باع الدين بالدنيا وأصر على ارتكاب كل قبيح وفجر، وكل ما تتظاهرون به من ظواهر المدنية ومرائي التدين عار عن الحقيقة عاطل عن حلية الصدق بل كذب وافتراء محض)

أجل لقد جرى ملا سعيد في خطابه هذا على حد قول القائل (إذا قطع المرء أمله من الحياة جهر بكل ما في نفسه) ثم أتم كلامه بالقاء أقرص كلمات التعذير على الحاضرين ، حتى أبهت أنظارهم وحير أفكارهم ، عندئذ (وقد بلغ السيل الزبى) تراءى للامير ان يبرز البرهان القاطع لملا سعيد فابرزه وقطع صوته واسكته . ولكن لم يكن ذلك البرهان القاطع إلا الفرند اللامع ، ولا غرو فانه عند ما ضرب عنقه اسكت لسانه ، ولم يخطر على بال الامير وما دار في خلده انه إذا أسكت لسانه فهناك السنة اخرى تنبت

وتستمر في النداء والتبليغ. والخلاصة إن هذه الحادثة انتهت بقتل هذا اللفيف من الصحب بعد ما اسروا

استعداد الجيش

بالميرة والجنود

لقد طال بين الخصمين الامد. وهم في موقف التحاكم الى الصارم البتار، وامتد الخصام على ذلك المنوال ماربي على خمسة أشهر من الزمان، كان الجيش في تضاعيفها يرتد على اعقابه بالانهزام، ويقفل راجعا الى بارفروش، ثم يعبيء كتائبه ويجمع جموعه ويعد معداته ويتقدم إلى خطوط الحصار. وفي الواقعة الاخيرة بعد ان جمع الامير العدد والعدد الكثيفين اجمع العزم الاكيد على فتح القلعة واجتياح المحصورين، وكان في الواقع والقدر المحتوم قد أشرف نجم الاصحاب على الافول، وتبدت آثار الاضمحلال عليهم.

فان ذخائرهم ومؤنهم باتت على وشك الانتهاء والنفاد، والجنود ظلت تمطرهم من قنن الابراج بنار لاتنقطع ليل نهار، وجميع المعابر والمنافذ مسدودة امامهم، الامر الذي حال بينهم وبين الامتيار واجتلاب الزاد، زد على ذلك أن مرورهم في

ساحة القلعة اضحى من الصعب المتصعب ، واضطروا لحفر الانفاق والسراديب للاحتماء بها والاختباء فيها مسافة النهار ، حتى أثرت رطوبة ارض مازندران على صحتهم ، وضعضعت من قوتهم واخمدت نار نشاطهم ، وانتهى بهم الحال الى نفاد الزاد فاخذوا يذبحون الابقار والاغنام حتى أتوا على آخرها ، وفي الآخرة اضطروا لذبح الخيل والتغذي بها وكانوا يقضون نهارهم فى العبادة والصلوات والمناجاة وليلهم في حومة الاصطدام والاختصام .

واستمروا كذلك حتى آل المآل الى ان بدءوا يغتذون بعظام الخيل والاعشاب النابتة بارض القلعة ، على ان ذلك كله كان قد جرى والمحاصرون على جهل تام باحوالهم ، بل داموا يتصورون فيهم القوة والثبات ، والعزم واستطاعة الدفاع والمقاومة ويحسبون لهم الف حساب .

وقد روى ميرزا حيدر علي الاردستاني الذي كان من بقايا السيف هذه الرواية : (بينما كان القدوس يمر يوما بالقرب من منزل معشر من الصحب رآهم مدخرين كمية من الارز لهم خاصة فنظر اليهم شزراً وقال لهم مؤنباً — أهذه هي طريقة الاتحاد والوفاء تجيئون وأنتم في غمار البأساء والضنك واللأواء فتفكرون في مهام بطونكم وتدخرون الارز لهذه الغاية ، ولو كان لنا أن نشغل أفكارنا بلوازم الراحة والرفاهة الجسدية وملء البطون لكان

يتهيأ لنا ذلك فقد كان في مستطاعنا ان نبقى في منازلنا ونمتع النفس بالاطعمة الشهية والرفاهية اللتين كانتا متيسرتين وافرتين لنا فلماذا اذن هجرنا كل ذلك وسارعنا الى قلعة المصائب والتجارب فلابدع أنا لقصد كان ولم يزل هو الفداء بالارواح في سبيل الحق وتأسيس صرح الاتحاد بين الخلق وابرازه الى عالم الشهود والعيان فمن أجل هذا وحده غضضنا النظر عن الدعة والراحة والطمأنينة وسلكنا مسالك المخاطر ، اذن فما معنى جمع المؤنة لشخصياتكم والرغبة في الاستئثار بها على من سواكم -)

فلما سمع أولئك الاصحاب هذا النصح والتأنيب أخذهم أشد الخجل والتأثر والاعتبار وعدلوا عن هذه الرغيبة وأقلعوا عما كانوا عليه وسلكوا جادة الاتحاد والالتئام التام . ولما كان من نظامهم الداخلي ان يطهى الطعام لهم جميعاً طاه واحد وعند إحضاره يوزعونه بينهم على السوية بتمام العدل دون تفرقة ولا تمييز بين رئيس ومرؤوس اللهم الا في حالات المرض المستثناة لاجرم بعث بتلك الكمية من الارز الى المطبخ فسدت رمقهم جميعاً زهاء يومين من الزمان .

❧

غزوة الاصحاب الاخيرة

قبـل أن نأتي على شرح أحوال الاصحاب في أخريات أيامهم ، يجدر بنا أن نلفت أنظار القراء الى ما جاء في تواريخ المؤرخة الايرانية ، ونخص منهم بالذكر تاريخي «روضة الصفا» و«ناسخ التواريخ» وما أتى فيهما عن شرح وقائع القلعة فنقول :

انهم رغم تحاملهم وكتاباتهم المشبعة بروح العصبية والعداء جاءوا بعبارات يلمح من بين سطورها الناظر اللبيب ان مسألة القلعة كانت أعظم أهمية وأكبر قيمة مما كتبوا وسطروا ، وإلا فما معنى سردهم لها ضمن أهم فتوحات ناصر الدين شاه وفي طي عظيم الحوادث التي حدثت في عهده ، وإنه ما امتنع المؤرخون عن شرح تفاصيل أحوال الاصحاب إلا لقلة وقوفهم على جزئياتها .

وفي الحقيقة إن حوادث القلعة كانت على أعظم جانب من الاهمية لما قام به المحصورون من جلال الاعمال العظام ، وآيات الشجاعة والشهامة والاقدام ، وما برهنوا عليه من قوة العزم وعلو الهمة وباهر الثبات والاستقامة في المراس ، وما احتملوه من الضنك والمشقة والعناء والجوع واشباه هذه المحن والبلاء ،

وفي كلتا الحالتين لم يكن السبب في تحملهم ما تحملوه وقيامهم بما قاموا به ونفاذهم ومضائهم إلا ما كان راسخاً في الجنان

والفؤاد من اليقين الحق والايمان المكين الرصين بالشريعة التي اعتنقوها والدين الذي دانوا بحقية مؤسسه وشارعه وصدق رسالته ، ويعلم الحق أننا لم نسلك طرائق الاغراق والغلو والمبالغة بل يسوغ لنا القول بانا لم نأت على واحد من الف مما كتبه المؤرخون . إذن فمن الحقائق الثابتة التي لا مرية فيها ، أن أهل القلعة في أعلى منزلة وأسمى درجة ، وكل صفة من صفاتهم أو فعل من أفعالهم حيرت عقول أولى الحجى والنهى.

وبعد تقرير هذه المقدمة يحق لنا أن نسرد حديث الوثبة الختامية التي نهض بها الاصحاب رغم استقرارهم بقرارة البلاء وشظف العيش ومرارة الجوع الاليم ، تلك الوثبة التى أظهرت معنى الاسود الجائعة ، والاستقامة والعزيمة السامية ، ثم نعرب عن كيفية اضمحلالهم وفنائهم واستشهادهم.

لقد سبق لنا القول بان جنود الدولة ثقبوا نفقاً أوصلهم إلى أسوار القلعة وهدموا قسما منها بما وضعوه من البارود وان الاصحاب دافعوا أحمس دفاع حول الثغرة التي أحدثها ذلك الانفجار ، وحالوا بين الجنود وبين دخول القلعة والآن نقول:

انه لما نفد ما في جعبة الامير من الحيل عاد الى الوسيلة ذاتها ودك جانبا من السور مرة أخرى بقوة انفجار البارود ، وأصدر لامر بهجوم عام لفتح القلعة وامتلاكها ، بيدأن الاصحاب الذين

لم تذهلهم جسام الحوادث عن الاحاطة بكليات الامور اجتمعوا في الحال حول الثلمة وذادوا عن حوزتها ذود المستميت ودافعوا دفاع المتفاني وأبرزوا من عجائب المقاومة والبسالة ما أدهش الجند وفت في عضدهم واضطرهم للتقهقر والرجوع بالخيبة والاندحار

وعند ما شرع الاحباء في سد الثلم ورقع الخرق نهاهم القدوس عن ذلك قائلا: (لاحاجة بنا إلى هذا العلاج اليوم إذ في المرة الاولى كان من جائز القدر أن نقيم في هذه القلعة فاقتضى ذلك منا النهوض باعباء البناء والترميم اما وقد وصلت الحال إلى ما وصلت اليه فلا محل الآن للعناء لان ايام حياتنا انتهت ومؤنتنا قد نفدت والعدو محيط بنا من كل جانب واننا لفي ارتقاب الاجل الفجائي والقضاء السماوي ليلا مع نهار . غاية ما هنالك اننا مضطرون للدفاع والحماية عن انفسنا مابقى فينا رمق حياة وعرق ينبض فعلى حاملي البنادق ان يقوموا بحراسة السور من ذلك الجنب الذي تخرب الى ان نرى من اي نحو ينزل بنا القضاء الالهي ومن آية طريق نبلغ المنزلة المقصودة .

وعند انفلاق الصباح نظر المحاصرون فرأوا أن ما احدثوه بالسور من الوهى لم يسده المحصورون كما صنعوا في سلفه فاعتقدوا بان نجم الاصحاب قد خوى وحانت ساعة زوالهم وانهم قطعوا الآمال من البقاء والحياة لذا شددوا من عزائمهم للهجوم والفتح ، وبسط الامير كف العطاء والنوال ووزع مبلغا

عظيما من النقود على الجنود وأخرج خمسة أعلام وخطب في الجند قائلا (عليكم بالهجوم على القلعة ونصب هذه الاعلام على ابراجها فمن يتسنّ له نصب أول علم استحق خمسمائة تومان جائزة له على إقدامه وللثانى أربعمائة وللثالث ثلاثمائة وسينال الاخير مائة) فانعشت تلك الوعود كامن الطمع فى العسكر وشجعتهم على الاقدام لتحقيق أمنية الامير والاستحواذ على الجوائز دافعين بانفسهم في غمرات الموت . ولكن رغم ذلك كله لم يصل أحد منهم الى طلبته وبغيته بل لم يتوفقوا لنصب الاعلام حسبما رغب الامير وكان فشلهم على يد ماقام به الصحب من الدفاع العجب .

وتلو اندحار الجند جاء الدور لحملة الاصحاب الاختتامية وحان وقت ضربهم الجيش الضربة الاخيرة التي برهنت على يأسهم من الحياة فنهض فيهم القدوس خطيباً وقال (لقد استفحلت مطامع المحاصرين لكم بفتح القلعة والاستيلاء عليها عنوة والتغلب علينا وماذاك الا لانهم من أمد بعيد لم يذوقوا طعم ضربات اسود الله الغالبةفيجب علينا أن نذكرهم بتلك الضربات التى تهد رواسخ الجبال الشم) ثم عين عصابة يسيرة من حملة البنادق لحراسة القلعة وأمر سائر الصحب باخذ الاهبة واستفزهم للهجوم فنفروا من القلعة كالاسود وما دنوا من الجند حتى صاحوا صيحةواحدة منادين لمحبوبهم قائلين (يا صاحب الزمان) وارتموا على العسكر بجأش

رابط وجنان ثابت وعزم ماض وفتكوا بهم فتكا ذريعاً

وبينما كان عبد الله خان السردار الذي كان أحد كبار الحملة ومن ذوي النفوذ الكبير فيها يتجول في ميدان القتال إذ لقيه رضا خان التركمان فلم يتركه يتنفس حتى عاجله بضربة كانت القاضية عليه فكان لقتله أسوأ وقع في قلوب افراد الحملة جميعهم وجرعهم امر الغصص والكآبة، ومن الجهة الاخرى كان للاصحاب الحاملين للبنادق القسط الاوفر والقدح المعلى في تلك الوقعة فلم يتركوا فرصة تمر دون ان يرموا كل من طالوه برصاص بنادقهم، نخص بالذكر من اولئك القتلى شخصين من اكابر ارباب المناصب في الجيش.

ولما افترق الجمعان وقع القنوط في قلوب أفراد الجيش وانهارت صروح آمالهم ومطامعهم التي شادوها ورغم ضحايا الصحب الجمة تمكنوا من صد الجند وإيقافهم عند حدهم وجلين. بعد ذلك تجلت مسألة القلعة بمظهر جديد ورجع الرؤساء فحسبوا لها الف حساب وعرفوا بان المهاودة والملاينة التي أبداها الاصحاب في الآونة الاخيرة لم تكن الا ضربا من ضروب الخدعة والخطط الحربية وتوهموا ان الذخائر لم تزل متوفرة لديهم واصبحوا معتقدين ان التغلب على الاصحاب من طريق القوة امر في حيز الامتناع والاستحالة.

العهود والمواثيق

والتوقيع على المصحف

بعد ان كان ما كان من تلك الوقعات والاصطدامات التى أتيت على تشريحها فى الابانات السالفة الذكر، وبعد ان قتل السردار عبد الله خان وموظفان كبيران من أرباب المناصب وسقوط ماسقط في الميدان من القتلى الكثيرى العدد دعا الامير الى منزله عباس قولي خان ورؤساء الجيش للاجتماع عنده والمداولة في شأن أهل القلعة وعندما تم عقد الاجتماع وجه اليهم الامير كلامه قائلا: (لقد مر علينا مايناهز ستة من شهور العام ونحن دائبون مستمرون في مناصبة اولئك الابطال الذين أبرزوا من آيات الشهامة والشجاعة ما أنهك قوانا وأهلك السواد الكثيف من هؤلاء الاجناد المساكين وصرع العدد الكبير من القواد والكبراء وأضاع المقدار الجزيل الوافر من الذخائر التي ذهبت هباء منثوراً حتى أمسينا على شفا هاوية الخزى والافتضاح أمام الدولة والملة جميعاً مع ورود الاوامر المشددة في كل يوم تباعا من مركز السلطنة بالحض على انهاء اجل هذه الغائلة ونحن الى اليوم على عمام الجهل بتعداد هؤلاء الاناس ومقدار مالديهم من ذخيرة، لذا ارى من الاصوب أن نعمد الى تدبير آخر نسلكه مع هذه الطائفة وذلك هو ان نعرض عليهم الصلح والسلم عسانا نستطيع القبض عليهم وتنقضي

الثائرة بانقضاء حياتهم .

فلما سمع الرؤساء منه هذا الرأى وافقوا عليه مسرورين منشرحين فانهم كانوا في وجل واشفاق على حياتهم بعد ان اصابهم من النصب والوصب ما اصابهم وطفقوا من امد بعيد يفكرون في حيلة تقيل عثارهم وترمي بهم على شاطىء السلامة من اقتحام هذه الاهوال وارتكاب تلك الاخطار فلما رأى الامير منهم عين الموافقة والاستحسان كتب الى القدوس كتابا ضمنه قوله : (لقد كفى ما جرى وما وقع بيننا وبينكم من الويلات والمشقات فلا تستزيدوا في الحاق الاذى بنا وبكم وقد مضى وانقضى من عداد الشهور التى ذقنا ودقتم في طواياها البلايا والرزايا الجمة ما حدا بنا الى نبذ فكرة النزاع والقراع والعدول الى المهادنة والمصالحة فاذا وافقتمونا على ذلك فنحن على استعداد لان نسمح بالتحول الى ما تشاءون الرحلة اليه من الجهات وبذلك تنطفيء نار هذه الفتنة ويستريح الفريقان معاً)

وعندما وصل هذا الخطاب الى يد القدوس جمع الصحب وتلا على مسامعهم ما جاء به ثم قال لهم : (ان الباب الذي طرقه رؤساء الحملة هو احتيال يرمي الى اخراجنا من القلعة والاجهاز علينا بيد انني ارى تدبيراً مثل هذا يطابق كل المطابقة لتقادير الحى القدير فاننا اصبحنا بلا مؤونة لدينا ولا ذخيرة حتى لم يبق من عظام الخيل ولا من الكلأ ما نقتات به وبما اننا الآن لا قوت لدينا ولا قوة لنا فانني

ارجح ان نذهب الى حيث نهدر دماؤنا فذلك افضل حالا وشأنا من ان نموت جوعا ههنا)

فتلقى الصحب رأى القدوس بالقبول والاذعان واستعدوا للخروج من القلعة وكتب القدوس جوابا الى الامير (أي القائد العام) يقول فيه (اذا بذلتم لنا الامان وعاهدتمونا على ما فيه السلامة والاطمئنان وفتحتم لنا الطريق فاننا نكف الايدي عن القتال ونسافر الى بلاد غير هذه الديار)

فوقع هذا الجواب من الامير موقع الامل المطلوب والارب المرغوب وسر منه غاية السرور وشرع في تمهيد ما يلزم من التمهيدات لاشعار الاصحاب بانهم أضحوا منه في أمان وطبع على القرآن الشريف [1] بخاتمه - بينة على ذلك - وكتب شروط العهد والميثاق بخط يده وأنفذ بها عباس قولي خان الى القلعة فمضى عباس هذا الى القلعة ومعه القرآن الشريف المبصوم والعهد المرقوم وبعد وصوله ودخوله القلعة وقف على حقيقة حال الاصحاب وعرف انهم كانوا قد صاروا على آخر رمق من الحياة وانه لو بقي عليهم الحصار عدة أخرى من الايام لتلفوا من الجوع ولكان هذا الحال والمآل مغنيا له عن بذل العهود والمواثيق فقال لرفاقه :(ياليتنا كنا

(١) جرت العادة عند ملوك الفرس اذا أرادوا التعهد لرجل بانه آمن لاخوف عليه ان يوقع الملك أو الامير بخاتمه على القرآن الشريف ويبعث به الى الخائف المستتر فيظهر وفي يده وثيقة أمانه

(المعرب)

كففنا عن قتالهم الى أن يموتوا سغباً فاننا لو صبرنا عليهم مدة أخرى بعد ماتجشمنا من الخسائر لبلغنا المنى) وراح يحرق الأرّم ويعض على أنملة الندم وفي ذلك يقول بعض الشعراء مامعناه (ان الجاهل ليفعل في النائبات ما يفعل العاقل ولكن بعد ان يقع في الافتضاح)

وبالجملة فان الاصحاب خرجوا من القلعة مع عباس قولي خان وساروا سمت المعسكر وعند دنوهم منه انقسموا قسمين فذهب جناب القدوس والمقدس الخراساني وبضع من خواص الاصحاب الى منزل الامير وأما البقية فنزلوا بجهة أخرى وحينما وصل أولئك الخواص الى منزل الامير تلقاهم الامير وأدى لجناب القدوس ظواهر الاحترام وتظاهر له بالمحبة والاخلاص مواربة ثم التمس منه ان يأمر أصحابه بنزع السلاح قائلا له (لقد جانبنا الشقاق والخصام وعولنا على الامان والسلام ليستريح الفريقان) فاجابه القدوس الى ما طلب ونادى على الصحب بصوت جهوري قائلا لهم : (سلموا سلاحكم للجند ووطنوا النفس على مشهد الفداء فانصاع الجميع ونزعوا أسلحتهم ثم جلسوا في أمكنتهم بكمال السكينة الروحية والاطمئنان . ولما آن أوان تناول الغداء مدوا لهم المائدة في ردهة عظيمة السعة حيث اجتمع جميعهم ما عدا القدوس ومن سار معه

وفيما هم مجتمعون حول المائدة وقبل تناول هؤلاء الاضياف لقمة واحدة أمطرهم الجند من كل الاصواب وابل الرصاص وقتلوهم عن آخرهم على تلك المأدبة وبعد ان أتم الجند هذه الغيلة غدوا الى القلعة ووضعوا بآساسها المفرقعات ثم ضربوا طبول الرحيل ونزحوا صوب مازندران بالمرح والتهليل وتركوا أجساد الشهداء على حالتها في ذلك المكان



جناب القدوس و بقايا السيوف

أما الضيوف الذين نزلوا على الامير أعنى القدوس ومن سار معه فان رجال الحملة ضربوا عليهم الاسر وساقوهم معهم أسرى الى بار فروش ، وكان عدادهم تسعة واليك أسماءهم :

(١) جناب القدوس (٢) وملا محمد صادق المقدس الخراسانى الملقب باصدق (٣) وملا محمد الدوغابادى (٤) وآقا سيد عظيم الخوئي (٥) والحاج عبد المجيد النيسابورى (٦) وميرزا حسين متولي القمى (٧) وملا نعمة الله الآملي (٨) وميرزا محمد باقر الخراسانى (٩) والمرشد السائح .

وهناك سبعة آخرون نجوا من القتل عثر المؤلف على أسماء ثلاثة منهم فقط، وقد لاقاهم وتحادث معهم وهم :(١) آقا سيد محمد رضى (٢) وآقا مير ابو طالب الشهمير زادى (٣) وميرزا حيدر على الاردستانى ـ فهؤلاء الثلاثة والاربعة المجهولون أفلتوا من مخالب المنية باسباب شتى ، ثم عاشوا مليا من الدهر بعد ذلك ووقع لهم من النوابغ والنواشي، مايطول بنا شرحه ولكنا سنأتي على طرف منه في وقته .

وبعد ما وصلت الاسراء التسعة المذكورون الى مدينة بارفروش قدم سعيد العلماء أربعمائة تومان إلى الامير ثمنا يبتاع به القدوس منه كيما يصبح ملكا له ويشفى غليله بقتله وذلك

على رواية معظم المؤرخين فلم يعارض الامير في ذلك وباع القدوس له بذلك المبلغ واكتسب المال ورضاء القاضي في آن واحد

وحينما تسلم هذا المشترى ذلك المبيع أظهر من الفظاعة والوحشية فى التمثيل به وقتله ما يروع أفئدة القارئين لو أردنا إيضاحه والاتيان على تفاصيله ، بيد انا نرى الايجاز والاختصار ونقول : ان هذا المجتهد باشر بنفسه قضية التمثيل به والافظاع فيه وذلك انه بعد ان قطع أذنيه وأنفه وضربه الضرب المبرح جاء بطبر يقال انه استحضره من مدة لهذه الغاية وضرب به رأس القدوس ضربات لا تحصى وطعنه طعنات لا تحصر ولا تستقصى وفي النهاية أمر باحراقه ولقد أتيح للمؤلف الحصول على روايات غرائب وحكايات عجائب فى هذا الباب لا يستحسن ذكرها ولا الايماء اليها لما فيها من الحط بكرامة ذلك المجتهد الذى مثل بالجثة أفحش تمثيل وأبشعه

وبالاجمال ان الجثة بعد ان اشتعلت النار بها دفنت فى مدرسة خربة تولى ذلك الدفن عالم من العلماء المنقطعين للرياضة المؤثرين للانزواء عن العالم يدعى الحاج ملا علي حمزة

كان هذا العالم متحليا باحسن الاخلاق وأكرم الشيم طيب النفس لا يتدخل فى أمور القضاء والاحكام الملية ، ذا ظن حسن بامر حضرة الباب حتى كان في مبتدآت الامر ينهى الناس

عن الطعن والقدح في حضرته ويردعهم عن استعمال أيدى التعدي على البابيين والشراسة فى معاملتهم . ولكن بعد ان استحكم العناد والبغض من المجتهدين لزم منزله وآثر الحياد وهجر نصح الدهماء وزجرهم ثم انتهى به الحال بعد ان استشهد القدوس الى ان فقد صبره فاوفد من أتى بالجثة ليلا ودفنها فى خرابة تلك المدرسة التى نوهنا بذكرها

إذن لقد غدوت من ذلك أيها القارىء مطلعا وعلمت كيف كانت شهادة القدوس على يد ذلك المجتهد الكبير فلنتم لك المقال بالابانة الاجمالية عن حالات الاسرى الثمانيـة الباقين فنقول :

ان هؤلاء خلصوا جميعاً من براثن المنون بطرائق شتى وذلك انهم فدوا أنفسهم بمبالغ طائلة دفعوها الى رؤساء الحملة وبعد خلاصهم لم يتناسوا إيمانهم واخلاصهم للامر بل استمروا فى طريقهم وثابروا على نشره وتبليغه للناس ولم يألوا جهداً فى ذلك وطفقوا بمنتهى الجد والكد ردحاً من الزمن يروجون معتقدهم وأمرهم وقاموا بخدمات جمة في سبيل الامر وترويجه الى ان استشهد منهم فريق وتوفى فريق آخر

نذكر منهم الحاج عبد المجيد النيسابورى الذي تجرع كاس الشهادة في مدينة خراسان وسنأتي على شرح حاله في غير هذا المكان — والحاج نصير التاجر القزويني الشهير باسم (المرشد السائح) وقد استشهد ببلدة (دشت) بعد ان تحمل من الصعوبات

والويلات والتنكيل والتمثيل ما لا يسع بسطه هذا الكتاب وذلك ان الاعداء قلعوا عينيه قبل اذاقته الشهادة واحلوا باولاده ضروب البؤس والشقاء وصنوف الضراء واللأواء

ونذكر منهم المقدس الخراساني فقد ثابر الاعوام الطوال على نشر الامر والتبليغ الى أن أدركه ريب المنون وارتحل الى جوار الرحمن في مدينة همدان ودفن في مزار حرم (الشاهزاده) حسين المعروف بين عموم أهل الاسلام ، ومنهم ملا محمد الدوغ آبادي وقد توفي بعد أن قام بأعباء الخدمات القيمة في سبيل الامر واعلاء كلمته برهة من الدهر وعذب ابنه الارشد المعروف (بميرزا محمود) والملقب بالفاضل الفروغى وهو اليوم من أجلاء المبلغين وقدجاس خلال كثير من البلدان وتجول فى عديد الامصار والاوطان لمهنة التبليغ ورفع لواء الامر فلقى في سبيله الضرب والضيم الكثير ورماه بعض الاعداء برصاص مسدس فى مدينة خراسان فجرح جرحاً بليغا وما التأم جرحه حتى استمر في طريقه يؤدى واجبه نحو الامر وطاف عديد الانحاء والارجاء ولم يزل في سياحته الى الآن

أما الثلاثة الذين عثرنا على أسمائهم من جملة التسعة الذين تخلصوا من غيلة القلعة وكانوا من بقايا السيف فانهم ثابروا عديد الحجج على تبليغ الامر وترويج تعاليمه بين الورى واعلاء ندائه بين الملا .

ولما أعلن حضرة بهاء الله دعوته اعتمدوا الايمان به وانخرطوا

في عقد المبلغين للأمر وقاموا بأجل الخدمات نذكر منهم آقا السيد محمد رضا الذى قضى بقية حياته مقيما بمدينة بارفروش ثم ارتحل الى الرفيق الاعلى ودفن فى هذه المدينـــة ، ومنهم حيدر على الاردستاني وقد عاش حيناً من الدهر مديداً بعد وقعة القلعة وبعد أن نيف على المائة من السنين أدركته الوفاة في مدينة اردستان سنة ١٣١٩ هـ

ويوجد اليوم الاحباء الـكثيرون الذين لم يزالوا على قيـد الحياة ممن قابلوه وسمعوا منه مستطرفات الاحاديث عن قلعة الطبرسى وأحداثها

وهو أحد اخوة ثلاثة كانوا من أهل القلعة والاثنان الآخران هما ميرزا عبدالواسع وميرزا محمد ، ففي أثناء دوران رحى الحرب استشهد هذان الاخوان وبقى هو على قيد الحياة ، وهانحن نسرد لك أيها القاري، كيفية نجاته من ذلك الاغتيال كما سردها لنا هو بنفسه قال (لما رمى الجند الصحب بالرصاص وهم على مائدة الامير وقتلوهم أجمع أصبت بجراح عدة ولكنها لم تقض عليّ وبينما بعض من الجند يمر للاجهاز على الصحب اتفق وقوعي في يد جنـدي يحترم آل البيت فلم يكد يعلم بأنني من السادة حتى تركني ومضى وبعد أن ابتعد الجيش وأفقت من غشيتي قمت أتمشى بين الشهداء وسرت مريداً التوجه الى قرية قريبة ، وبهبوطي القرية لاقتني امرأة رثت لحـالي فأخذتنى ومضت بي الى منزلها وصنعت لي

الادوية اللازمة لتضميد جروحي ، ومكثت عندها مقيماً عدة من الايام الى أن التأمت جراحي وتماثلت للشفاء واستعدت قوتي ، وعلى أثر ذلك رحلت من هذه القرية وكلي اعتقاد بأن الرب عز وجل انما وقاني من التهلكة وأنقذني من براثن العطب لاقوم بخدمة أمره ولاكون شاهداً على تاريخ واقعة القلعة العظيم فمن ثم وطدت العزيمة على التفاني في هذا السبيل) اه

ولا ريب فى انه قام بجميع ما أجمع العزم عليه طول المدة التي بقيت من حياته ، ومما يهتز له السامعون طرباً حكايته مع والدته (زينب بكم) وما بدا من قوة ايمانها وتفانيها في احقاق الحق وهي هذه :

(حينما عاد هذا الصاحب الى منزل والدته أبت أن تقبله وطردته فبقي مدة طويلة بعيداً عن منزلها ، وكان ذلك لما قام بتصورها وفكرها من انه فر من الشهادة، فان الانباء طارت بسرعة البرق وكلها متفقة على ان أهل القلعة قتلوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد ، ولكن بعد ماتحققت هذه السيدة الموقنة براءة ولدها من الفرار من الشهادة وان الله سبحانه حفظه على النمط الذي سردناه عادت فقبلته ببيتها ، ولم يزل اهالي اردستان سواء الاحباء منهم والاغيار يلهجون بذكرها وقوة ايمانها ورسوخ اعتقادها وايقانها الى هذه الايام

وكانت هذه السيدة واحدة من عداد سيدات عديدات

أنجبهن هذا الامر العظيم ووجب أن تتحلى صحائف التاريخ بذكرهن والثناء عليهن ، ومن أكرم أولئك الخرائد الفرائد والدة (أشرف الزنجاني) وحقاً ان أمرها لعجب فانه عند ما أتاها الاعداء برأس ابنها أخذتها وألقت بها في فناء المنزل قائلة لهم وملء قلبها اطمئنان وايقان : (لقد قدمت هذه الرأس فى سبيل الحق فيجب أن لاترجع الى منزلي أبداً)

وسوف نأتي على شذور من الاعمال العظام التي قامت بها السيدات في الفصول والوصول الآتية ان شاء الله .

تأثير واقعة القلعة في الافكار

وحديث الامير احمد ميرزا مع عباس قولي خان

كان لوقعة القلعة التأثير الغريب والوقع العجيب في أفكار الناس وأنظارهم ، لذا أمست حكايتها والمسامرة بها من أهم الاحاديث في جميع المجالس بل أصبحت الحديث الوحيد الذي اختص بالتداول والتناقل في كل مكان ولقد دام ذلك طويلا بعد انتهاء الوقعة وأخذت روايتها أشكالا مختلفة كثيرا حتى كان الانسان يسمع عنها في بلدة غير ما يسمعه في أخرى لاسيما الاقاصي النائية فان الاحاديث التي كانت تدور بين أهلها كانت في غاية الغرابة والتضارب مع المعروف لدى أهالي البلدان الدانية. ولقد تقول الجهال وعباد الاوهام والخيال اشتات التقولات وذهبوا الى خرافات لم يعرف أهل العلم عنها شيئا ووصل بهم الغلو الى حد جعل الامهات يخفن أولادهن بحديث القلعة وكانت لفظة (بابي) تكفي بمجردها وحدها لردع الصبية ، فبسماعها لهذه الكلمة تخضع الصبية وتفزع الى زوايا البيوت من شدة الرعب والوجل ، وكان من عظيم اهتمام الناس باستماع هذه القصة وولوعهم بها واقبالهم عليها ان الرجل العارف بطرف من خبرها كان اذا شرع يحدث بها في مجمع من المجامع أو مشهد من المشاهد انصتوا له واصغوا وكلهم آذان ومسامع لاستماع حديثه وقد تحرك فيهم

الايجاس والخوف والتهيب ودار التهامس بينهم واكثروا من التساؤل عن صفة أولئك الرجال وقالوا ما هو التطور الذي وصلوا اليه حتى احرزوا هذه المناقب من مثل المقدرة وشدة الجرأة والقوة والشجاعة ، فكان كثير من الناس يسندون اليهم المعرفة بفنون السحر واستخدام الجان وما يشاكل ذلك من خرافات الاوهام، وكل من أصغى بسمعه لحديثهم رأى فيما يرونه ويحكونه من التضارب والتناقض ماليس بقليل

فقائل منهم أضحى يقول بان القدرة وصلت بالسيد الباب الى ان صار يسخر الشمس ، وآخر يقول انه كان يستخدم السحر في أعماله ، وثالث يجيب هذا وذاك بان البابية يسحرون الناس فى طعام التمر والعجوة ، ورابع يعارضهم ويقول بل كانوا يضعون سحرهم في الشاي الذى كانوا يقدمونه لاضيافهم . وبالجملة فان المتتبع في تلك الاحيان لاقوال الانام كان يسمع من كل انسان فكرة ومن كل لسان صوتاً ونغمة

وحدث ذات يوم من الايام ان دار حديث القلعة في مجلس الامير احمد ميرزا خلف فتح على شاه ، وبينما كان الحضور يتجاذبون أطراف الحديث عن هذا الموضوع وكل واحد منهم يروى للآخرين ما سمعه اذا بعباس قولي خان قد حضر بينهم فقال الامير مخاطبا الجمع : يجب علينا ان نسمع حقيقة تاريخ تلك الواقعة من جنابه لانه حضرها . وشهدها فما أتم الامير اقتراحه

حتى شرع عباس المذكور يتكلم عن هذا النبأ وقال: (أيها النائب الاعلى أقسم لك بتاج قبلة العالم (١) انه لو نظر ناظر الى واقعة القلعة متفرسا في حالات أولئك القوم لحدثته نفسه بان يقول برجوع حادثة كربلا ثانيا واني . وأنا ذاك الشخص الذي قتل ملا حسين البشروئي أقر واعترف بان كل منصف مجرد عن الغرض لو حقق في حالتي معه لحكم دون تردد بان ذاك الشهيد هو رجعة سيد الشهداء، وبانني كنت في ذلك المقام مظهر شمر وسنان

ففي ذات يوم بينما نحن مشغولون بترتيب صفوف الجنود إذ رأينا ملا حسين ممتطياً صهوة جواده وعلى عنقه لفافة قماش رمزاً الى الكفن حسب اصطلاحهم . وقد أقبل علينا وهو يحمل بيده القرآن الشريف ولما أن صار على مقربة منا رفع يده الى ناحية السماء اشارة للامان حتى يتسنى له أن يسمعنا مقاله فظننته قد جاء في طلب الصلح فخرجت مع نفر من بين الصفوف وتقدمنا نحوه خطوات صرنا بعدها نسمع صدى صوته : فصاح بصوت جهوري قائلا :(أريد أن أقول لكم اننا جميعاً نؤمن بالله ورسوله ونعترف للائمة الهداة بقيادة أمور الدين ونقر بأن هذا القرآن الكريم هو كلام الله ، غاية ماهنالك اننا بعد الجهد والتحقيق وصلنا الى

(١) اعتاد الناس في ايران في دور الاستبداد والظلم أن يقسموا بتاج قبلة العالم أي بتاج (الشاه)

« المعرب »

نقطة هي ايماننا بأن القائم بهذه الدعوة هو موعود الاسلام وصاحب عبد الله ورسوله واعترافنا به كامام لنا . أما أنتم فزعمتم لقلة تحقيقكم ان تلك دعوى باطلة ، إذن فمن الواجب عليكم أن تخافوا الله ولا تهجموا على سفك دم أولئك المظاليم في سبيل أهواء وأغراض العلماء الذين لا دين لهم واذا كانت رغبتكم في أن نقلع عن هذه البلاد فافسحوا لنا الطريق كما نسافر الى بلاد ممالك أخرى)

والخلاصة ان عباس قولي خان بعد أن فاه بأمثال هذه الكلمات تأثر كل من كان حاضراً وكانت كل كلمة من كلمه تحدث تأثيراً عظيماً واستياء جسيماً في نفوس الحاضرين ، ثم أردف كلامه بقوله (لما كان غرض الحكومة وهواها منحصرين في اقتلاع جذور هذه الطائفة واستئصال شأفتها لذا حيل بيني وبين التفكير في عقد صلح معهم اذ انني لو فعلت ذلك لكنت ملوما فى نظر الدولة مأخوذاً بجرم التقصير والاهمال ولاصبحت من الجهة الاخرى بغيضا مكروها من رؤساء الملة الروحانيين ، فلهذه الاسباب أخذت أقاطع ملا حسين فى كلامه ثم حملت عليه وأمرت رفقتي برمي الرصاص فأطلقناه عليه دفعة واحدة ، ولكنه كان على حذر وانتباه تام فألقى بنفسه تحت بطن جواده فمر به الجواد مرور السهم وأوصله الى غير اتجاه مرمى البنادق ولم يلبث أن وصل الى القلعة بسلام)

وبعد أن أطرى عباس قولي خان أهل القلعة وخص منهم بأكبر المديح ملا حسين البشروئي انفض ذلك المجلس

أما تاريخ تلك الناشئة (الواقعة) فغير معلوم على جهة الضبط والدقة لكن مما لاريب فيه انها بدئت في أواخر سنة ١٢٦٤ ه وانتهت في أوائل سنة ١٢٦٥ ه وجاء في بعض التواريخ الغربية ان ختامها كان في فبراير سنة ١٨٤٩ ولم يعين مبدؤها [1] وعلى أي حال فان سنة ١٨٤٩ الميلادية توافق سنة ١٢٦٥ الهجرية

(١) ملحوظة : جاء في مذكرات حفظتها من استاذي المرحوم أبي الفضائل ان ابتداء الوقعة كان بين اليومين الاول والخامس من شهر سبتمبر سنة ١٨٤٨ (المعرب)

الوصل الثالث

حادثة زنجان

من نواميس الكون وسنة الوجود أن تقع في العالم الوقائع والحوادث تترى ويكون لامحالة لكل واقعة منها من الخصائص والمزايا ماليس للآخر وان تشابهت أو تضاهت من بعض الوجوه والاعتبارات، والى ذلك وشبهه يشير القائل بقوله :

(وفي كل شيء له آية ✽ تدل على انه الواحد)

هذا مانراه ونشهده في النظامات العالمية ونجده ثابتا أغلبيا في نفس الامر وعالم الكيان وقلما تحدث حادثتان وتقع واقعتان ثم تتطابقان كل المطابقة أوجلها هذا مايكاد يكون فى حكم المستحيلات والممتنعات ولكن حادثة زنجان التي نحن الآن بصدد بسطها وتشريحها تطابق جدالمطابقة لواقعة قلعة الطبرسى في غابة مازندران من معظم الوجوه والحيثيات واليك البيان :

ان ملا محمد علي الزنجانى بعد أن صدق حضرة الباب في دعوه وأيقن بها كل الايقان واطمأن باله بالتصديق والايمان قام على نشر الامر وتبليغ صيته لبنى الانسان ماضيا فى هذا السبيل على نهج الدأب والاستمرار ولم يصمت آنا عن الدعوة والارشاد وما فتر لحظة عن التبشير والمناداة وابلاغ الكلمة والدعوة آذان الخاص

والعام، وبتلك المساعي الجدية كان عقد المؤمنين يتسع نطاقا في كل وقت وأوان والامر ينمو ويجتذب الاضعاف المضاعفة من الناس كل يوم في جميع مقاطعات ذلك الصقع

وظل علما، تلك الجهة ملتزمين جانب الحياد التام في أوائل الامر وبداياته فلم تبد منهم ملامة أحد على عقيدته ولا زجر امرىء عن التوجه شطر هذا النبأ البديع، ولبثوا كذلك ردحة من الزمان وذلك الحال حالهم، وفيما هم على هذه الحيدة إذ تناهى الى مسامعهم ان حضرة الباب نفي الى ما كو وتحقق لديهم قيام رؤساء الدولة وعظماء الملة على مناوأة طائفته وتبعته فرأوا من الحكم الضروري نهوضهم هم أيضا على الاضطهاد والتعنت والمقاومة كي يسمو مقامهم وينبه شأنهم في نظر الدولة والامة

فبعد أن عزل أشرف خان عن حكم زنجان خلفه (امير آجدان خان) وتربع في دست منصبه ، ولما بدأ يباشر الامر والنهي ويدير دفة التدبير التف حوله العلماء واتخذوا من أقوال الحجة وأحواله سلما الى ماتلعت أعناقهم اليه ومساغا لما قرروا المضى في منهاجه فرفعوا اليه شكواهم وتذمرهم منه مخبرين عن انخراطه في سلك البابية ، وأخذوا يروون له ملفقات الروايات عنه، ولم يكن مبتغاهم الا اغتنام الفرصة باثارة سخط الحاكم عليه عساه يوقع بالبابيين الضير والضيم ويسومهم سوء الاهانة

أما الحاكم (امير آجدان خان) هذا فانه لم يجسر على الجهر بتأييد مطلبهم ووقف محجما عن اعلان خصامه للطائفة ومد يده بالمقاومة والعدوان اليهم واضرام نيران الاضطهاد والاعنات التى تقوض من أركان بنيانهم وتدك شامخ عزهم ومجدهم فيستفيد هو من وراء ذلك علو مجده وظهوره للملأ بمظهر العداء للبابيين

ولم يكن السبب في تنكبه هذا التعسف واقتحامه هذا المجرى الا ما كان عليه البابية من وفرة العدة والقوة وما وقر في صدور الناس لهم من الاجلال والاحترام فمن ثم لجأ الحاكم الى ذرائع أخر فرفع تقريرا مسهبا ضمنه من المفتريات كل رطب ويابس ، وهاك مضمونه بالاختصار :

(ان ملا محمد على الحجة قد أصبح اليوم كبير البابيين ورئيسهم وهو دائب مجد على نشر الامر وتبليغ الناس آناء الليل وأطراف النهار وهو قائم بينهم كالشمع يأتمر الكل باوامره وينتهى بنواهيه ، ففى يده أمور القضاء والسياسة شاغلا وظيفتى الافتاء والرئاسة ، وانى لوجل مرتبك أخشى أن يحاولوا الخروج على الدولة ويطمحوا لاغتصاب مركز الحكم والسلطنة لذا أرى من الواجب اطفاء هذه الشعلة وسحقها إيقافا لجرأتهم عن التضاعف والتكاثف وتحاشيا من أن يصبحوا سببا في ذل الدولة وخسارتها)

فاثار هذا التقرير من غضب محمد شاه وموجدته وأوقعه في بحور الافكار والاوهام فاصدر أمره الى السيد على خان (السواد

كوهي) بالتحرك مع فرقته الى مدينة زنجان والقبض على الحجة وتبعته وسياقتـه الى دار السلطنة ، حيث يلقى جزاءه وتزول شوكته

أما ملا محمد علي الحجة فانه عند وصول الحملة العسكرية الى زنجان ذهب بنفسه توا لمواجهة قائدها السيد علي خان المذكور ، وفاوضه في هذا الشان وازاح له الستار عن كل الشبهات بالحجج والبينات الدامغات ، الى ان ألقى القائد سلاح الاحتجاج وأبدى جميل الاعتذار ثم اتفقا على ان يسافر الحجة باختياره الى طهران ويقنع الشاه باخلاصه لعرشـه ويبرهن له عن افتراء المفترين وكذب المفسدين فينجلي كدره ويتبدل بالرضى غضبه

وفي ساعة الاتفاق نفسها تيمم الحجة ناحيـة طهران وتشرف بمقابلة محمد شاه ، وعند مقابلته إياه ومفاتحته في هذا الخطب ، وقع ما كان ينتظره الاحباء من ازالة ماعلق بذهن الشاه وهجس في خلده من سوء التفاهم ، وفضلا عن ذلك نال الحجة من الحضرة السلطانية مزيد العناية والاهتمام بل كان محلا لوافر الاحترام والاكرام ، وخلع عليـه السلطان خلعة سنية ومنحه عصا مرصعة بالاحجار الكريمة مع خمسـين تومانا من الذهب وأعاده الى وطنـه بالمعزة والعطف فكان في ذلك ما بعث في العلمـاء مزيد الحسد والحنق ، بيد أنهم صمتوا مرغمين على المضض في مدى حياة محمد شاه ولم يجسروا على الحاق أدنى ضر بالحجة ومريديه

وما كرب الخبر بذيع بوفاة محمد شاه حتى قام العلماء على التألب ثانية وجعلوا يثيرون الفتن ويشعلون أوار العداء والمحن

ووافق قيامهم هذا مبادي حادثة مازندران التى زادت في طنبورهم نغمة وأخذوا يرفعون العرائض تترى الى السدة الشاهانية قائلين : (اذا لم تقم الدولة العليـــة وتفتك بالحجة وتبعته من بابيي زنجان فان الفساد يعم بلاد فارس ويطم وتقع المملكة وتسقط في هوة الاضطراب بل ينجم فيها من ضروب الفتن والكوارث ماهو أدهى وأمر من حادثة مازندران وماسترتج وتتزلزل لهوله أركان الملك وتختل السلطنة من أساسها)

ولم يكتفوا بذلك القدر ولا وقفوا عند هذا الحد منتظرين ما تأتي به الاوامر اليهم من مركز الحـكم ، بل شرعوا قبل ورود أمرها في التصدي والتعدى على البابية بما أوتوا من قوة فنبغ من جراء ذلك مانبغ من الحوادث والـكوارث المحزنة ثم طغى السيل واستفحل الفتق حتى صار كل يوم ظرف فجائع وبيت قلاقل وشدائد

ورغما عن مقابلة الحجة لهم بالمداراة والمسالمة ولطف المعاملة والمجاملة لم يرعووا عما هم فيه ولم يكفوا اليد عن الايقاع بالبابية وازدادوا تورطا في الاصابة والتمرد والطغيان والتجبر واستضعاف جانب الخصم .

فلما عاين الحجة منهم ذلك وعلم ان طرق الود والاخلاص والسلم لم تجـد بطائل جمع الاصحـاب وخطب فيهم قائلا : (ان قيام الدولة وهجمها على اضطهادنا أمسى سببا في ازدياد

الدهماء جرأة وتجاسراً ، وانصرم حبل الامن والانتظام واختل ميزان النظام والامان ، حتى بات التمسك بالمحبة واللين لايجدي نفعاً ، والمسالمة والاخلاص لايأتيان باصلاح ، فأضحى واجبنا أن نستعد للذود والدرء ونجمع عزيمتنا و نأخذ أهبتنا وعدتنا لصد تيار هذا البطش والعسف الى أن يبدو لنا ما يكنه القدر المخبوء وراء حجب الغيب ، ولقد تراءى للناس أن قد صار في منتهم ردعنا عن نوايانا الطاهرة بما لديهم من قوة قاهرة وأن يطفئوا مصابيح براهيننا الباهرة ويطمسوا معالمها البينة الظاهرة ولكن حاشا وكلا اننا جميعا على أتم تجهز واستعداد لان نفدي الحق بأنفسنا ونبذل رؤوسنا في سبيل ايماننا و نقيم الحجة البالغة على العالم أجمع وندعه يوقن بأننا لم نقبل ما قبلناه من العقائد جزافا وبدون بينة وبرهان حتى نتغاضى عنها من غير بينة وبرهان ، ولم نكن في آن من الآناء ضعفاء في ديننا حتى يتسنى للناس اخراجه من قلوبنا بسيف البطش والقهر . فالآن أيتها العصبة الناظمة للاصحاب والاحباب عليكم بالاستعداد للفداء وتوطين النفس على بذل الاشباح والارواح لان عواصف الامتحان قدتدانت للهبوب بنحونا ، وقواصف رعود الفتن ستحيط بنا ، وبما ان مقصدنا الوحيد ليس الا رضوان الحق فاننا لغالبون بلاشك ، فان قتلنا أو خضبت الارض بمهجنا كنا مصداق قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ه

فلمـــا سمع الاصحاب ما نطق به الحجة من الخطاب وما فاه به من البيان والاعراب وما أبداه من الآراء، علموا بأنه قد بات من واجبهم التهيؤ للدفاع والنضال، فهبوا جميعاً لجمع الاسلحة والبنادق وقبل أن يصل الجند الى المدينة نفقت سوق الخصومة والشقاق وقام النزاع والقراع على قدم وساق



وصول الحملة العسكرية الى زنجان

واضطرار البابية للمدافعة والنضال

ذكرنا اجمالا في عقود الوصول السالفة ان الامير الكبير (الوزير الاعظم) عندما تربع في دست الصدارة ركب متون التشدد والصرامة وسلك شعب البطش والشراسة في سياسته وأساء معاملته للبابيين على وجه أخص

أجل . لقد خالف ذلك الوزير جميع المناهج المعقوله التى درجت عليها سائر الممالك من امتناع حكوماتها عن التدخل في العقائد الدينية والمسائل الوجدانية والتزام خطة الحيدة حيال أفراد الرعية الذين ينشأ بينهم تباين في المشارب والمذاهب التي من هذا القبيل — فأمثال تلك المناهج والبرامج السياسية المشروعه خالفها ميرزا تقي خان وصار معها على طرفي نقيض وانتهج سياسة رجعية منكوسة وطفق يتصدى لقلع بذور المذهب الجديد ونقض أسسه وتوطيد تقاليـــد المذهب العتيق ، وتعرض لاسكات الاصوات العديدة التى ارتفعت عالية من كل جهة لاعلاء هذا الامر ورفع مناره ، محاولا اطفاء تلك القبسات المتقدة في معظم البلاد وراميا الى اسدال ستار النسيان على هذا الظهور والتجديد حتى يعود هو والعدم سواء ، ولكن ماذا أنتجته هذه السياسة ؟ كانت النتائج وخيمة وبيلة وتمخضت تلك الشدة والغلظة عن جسيم الاضرار وسيء

الآثار، وكان كل ما ارتكبه من أعمال الضرر والتدمير سببا في التشييد والتعمير والترويج والتمكين. وانه وان كان قد تمكن من اغتيال العدد الدثر ممن اعتنقوا هذا الامر وفتك بقبض من سرانهم وآخر من فقرائهم الا ان ذلك كله لم يأت بالبغية من حل المشاكل ودفع الغوائل واستئصال المفاسد والقلاقل بل ترك صفحة تذكاره في بطون التاريخ مغبرة سوداء، ثم كان مصيره أن قتل بامر من ذلك السلطان الذي من أجله أقدم على ما أقدم عليه من تلك الويلات الجسام وتجرع كأس الحمام الزؤام. ولنعد الى ما كنا قد انتهينا اليه في الفصل السابق من أمر العلماء وشكاويهم:

فنقول على وجه الاجمال: ان تلك العرائض المسودة بمداد اقلام العلماء الطافحة بالشكاية من طائفة البابية حينما وصلت الى العتبة الشاهانية لم يعرها ذلك الوزير نظرة الانصاف والحزم والتروى، ولم يحقق فيما جاء بها من الدعاوي حتى يتميز له صدقها من مينها. واتفق ان الشاه كان شابا لم يعرك الدهر ولم تحنكه التجارب، وما كان صاحب الباع في ادارة أمور السلطنة، وكذلك كان وزيره الجبار لا علم عنده ولا دراية بسياسة الملك وادارة البلاد ولا بشئون الوجدان والاعتقاد فاصدر أمره الصارم، اجابة على تلك العرائض والمزاعم، ورغبة في قطع دابر المتمردين واذلالهم، بارسال حملة من الجند الى زنجان لهذا الخصوص.

فشاعت الاخبار في جميع الاقطار عن تلك الحملة، وعند مابلغ نبؤها مسامع جناب الحجة شرع ينظم وسائل الدفاع والنضال ويعد معدات القتال والنزال ، وما وصلت الجنود الى المدينة حتى ذهبوا تواً للقبض على الحجـــة ورفاقه وسياقتهم الى طهران فقام الصحب فى وجوه الجند يمنعونهم من الدنو اليهم ، فاضطر الامير الى رسم خطتي الدفاع والهجوم واتخـاذ القتال وسـفك الدماء ذريعة المطلب

ولما استعرت نار الفتنة استولى البـابيون على القلعة التى فى بهرة البلدة فأصبح نصف المدينة في حوزتهم والنصف الآخر في أيدي الجنود ، واهتم كل من الفريقين بتحصين مواقعه ووضع المتاريس وحفر الخنادق . وكانت نتيجة المصادمات الاولى وبالاً على أفراد الحملة اذ كانت قتلاها عديدين فمن ثم تبين لرؤساء الحملة ان القبض على الحجة واخماد هذه الفتنة ليسا من الهنات الهينات فجنحوا عن خطة الهجوم ووقف كل من الطرفين يتربص بالآخر الدوء وقد تعذر على الجند الاقتراب من الحدود التى في أيدي البابية

أما المسلمون القاطنون بقسم الحجة وأصحابه وما كان من أمرهم فانهم أقدموا في مبتدآت الحادث على شد ساعد الجنـد ولـكن ما أبداه البابية من الانتباه والاحتراس من هذه الوجهة وماصارحوهم به من التهـديد أرغمهم على التزام جانب الحيـاد ومجانبة الانحياز لطرف دون آخر

ومن اليوم الاول الذي بدأت فيه المناوشات وضع جناب الحجة خريطة الدفاع وقسم الدائرة المحصورة الى تسعة عشر قسما تفاؤلاً بما لهذا العدد عند الطائفة من التقديس ومطابقته لعدة حروف الحي وشاد في كل قسم حصناً أقام فيه تسعة عشر فتى من أقوياء الشجعان وأمرهم بالمحافظة على ما بأيديهم . أما بقية الصحب فانه أمرهم بملازمة القلعة . وكانت عدة الاصحاب في هذه الواقعة خمسة آلاف نسمة حسبما ورد في تاريخ ميرزا حسن الزنجاني .
وصارت المحافظة على الحصون على التناوب بين الشجعان وكان الصحب بعد انتصاف كل ليلة من الليالي يشرعون في تلاوة القرآن والتوقيعات والمناجاة والتضرعات بأصوات عالية كان صداها يصل الى مسامع الجند والاهالي . وفي كل صباح يقوم بعضهم في حصن من الحصون ويرفع الصوت عالياً بترنيمة بديعة وتمجيدة مشجية وضعها حضرة الباب وهي اليوم من سنن البهائيين وهي كلمة (الله أبهى)

وعند ارتفاع النداء بهذه الكلمة من أول حصن يرددها الاصحاب في سائر الحصون بوقت واحد وبصوت جهوري على غاية من حسن التوقيع فكانت قلوب الخصم ترتجف لهولها ويستولي عليهم الرعب عند سماعها ، وأمسى الجنود الاغراب في حيرة من هذه الحالات متسائلين : كيف يمكن أن يكون أولئك الناس كفاراً ونحن نسمعهم يتلون القرآن في الليالي والاسحار ويترنمون بالادعية والاذكار ؟

وبالجملة فان أخبار زنجان ذاعت في جميع أطراف المملكة وأنحائها وظهرت هذه الواقعة بالمظهر الذي وجه اليها الانظار حتى غدت حديث الناس الوحيد الذى تدور حوله الافكار في جميع الاندية العامة والخاصة بطهران وفي الدوائر الرسمية

ومما جسم القلق عند أولياء الامور وزاد في اضطراب فكرهم ورود الاخبار على عاصمة الملك باندحار الجيش وخذلانه المرة بعد المرة ، هنالك تراءى للامير الكبير ارسال المدد والنجدات الى الحملة المحاصرة عساها تتمكن بتلك الامدادات من اذلال البابية واخضاعهم ، وانتدب أحد اخون « اعتماد الدولة » لقضاء هذه المهمة وفتح زنجان . ولكن هذا المندوب تمارض في اليوم الذى قام فيه الجيش ، ومالبث أن استقال من وظيفته ، مستنداً الى الاعذار المشروعة . ولكن تبين فيما بعد ان تجافيه عن قبول هذا الانتداب لم يكن مبناه المرض أو ذاك العذر المشروع ، بل حسن ظنه بالبابية هو ماحدابه الى الاستعفاء والتحاشي من الاشتباك معهم في مصادمة . وقد وجه اليه سؤال في محفل عن السبب الذى دعاه الى التأخر عن الشخوص مع الحملة العسكرية الى زنجان ، فأجاب بقوله : (لست عبيد الله بن زياد فأذهب لمناصبة فئة يسيرة مؤلفة من السادات والفضلاء فأتذرع بمثل هذه الدنايا لارتقائي على رئاسة الحكومة أو لقضاء غاياتى الشخصية)

وبعد أن أقيل ، عين بدله في النهوض بهذه المهمة « مير سيد

حسن خان فيروز الكوهي » غير ان هذا المندوب الثاني ما عتم أن رفض هذا التعيين معتذراً باعذار شتى ، فقر القرار أخيراً على اسناد هذه المأمورية الى منتصب من منصبي رجال الطائفة المعروفة في ايران باسم « اهل الحق » أعني طائفة « العلى اللهية » فقام هذا الموظف وأخذ اتجاه نحو زنجان مع أفراد الجيش ورجاله، ولكنه بعد وصوله الى البلد لم يطل على نزوله الامد ، فانه ما وقعت أول مصادمة بينه وبين أبناء الباب حتى اركن الى الفرار وتبعه رجاله وفرسانه

ولقد ذهب معشر من المؤرخة الى ان فراره هذا كان أمراً مقصوداً ، وانه وقع عمداً ، وعززوا فكرتهم بما سمعوه من بعض رؤساء تلك الطائفة (طائفة العلى اللهية) الذين كانوا مع الحملة في زنجان وهو قوله : (نحن ما رأينا من طائفة البابية الا التقوى والميل الى الدين ، ولم نسمع منهم قط ما يسيء سمعتهم ، بل كنا نسمع كل ليلة ونحن بالمعسكر أصوات ذكرهم لله وتلاوة الاوراد ، فاخذنا العجب والتفكير ، واستفهمنا من رئيس مذهبنا عنهم وسألناه اصدار فتوى شرعية في موضوع القتال ، فكان جوابه ان نهانا عن القتال وقال : ان المنتظر الذي يدعوه الناس — باسم المهدي — أو — القائم — ونسميه نحن — خاوندكار — هو ذاك الجناب الذى تجاهد هذه الطائفة في سبيل نصرته ويضحون أنفسهم من أجل تعضيده وتأييد أمره ، وهو حامل اعلام الحق وآثاره ،

وهؤلاء القوم هم من أنصاره ، ولكن الناس لجهلهم ذلك وقصورهم عن ادراك ما هنالك قاموا عليهم يبغون قتلهم وتدميرهم أما أنتم فحرام عليكم أن تلطخوا أيديكم وتلوثوا أنفسكم بدم آل الحق وتدوسوا المظلومين باقدامكم)

اجل : لقد تعاظم الامر في هذه الكارثة حتى أمست القلوب وجلة واجفة ، وهاجت اعاصير الافكار باهل الحل والعقد من رجال الدولة فاندفعوا يفكرون في المغبات والعواقب ، وخشوا أن تميل الرعايا نحو البابية فينفذ السهم وتفوت فرصة التلافى والاستدراك .

وعلى أثر هذا قر رأيهم على نشر الاشاعات والاراجيف الشائنة بسمعة البابية فأقدم رؤساء الدولة وعلماء الملة على هذا الامر ، فاخذوا يرجفون بالموجفات ، ويصطنعون المفتريات ، في مصانع الغايات ، ويموهون على احلام العوام والبسطاء ، باختلاق التهم وقول الزور واشاعتها عن البابية .

ومنذ ذلك الحين (حين هذا التقرير والشروع في ترويجه) رسخ في أوهام الاكثرية والسذج من عامة الامة وخاصتها ان الافتراء على البابية ونمنمة الكذب واتهامهم بأي شيء . كان ما كان . أمر يستوجب الثواب وعمل يعد في حيز الحسن والصواب . ولقد سمع كثيرون من الخطباء والمرشدين وهم يعظون ويرشدون على رءوس المنابر ويشرحون المسائل الدينية الشرعية

يقولون : (ان الاتهام والافتراء على الناس بأي وجه كان إثم وحرام حاشا البابية والبهائية فان الافتراء عليهم عمل مقبول ممدوح).

وكانت الغاية من تلك الوسيلة والتدبير تنفير الناس منهم وابعادهم عن الدخول في دينهم والاندماج في عقد نسبتهم وشرعتهم

والامر الذي يجب أن تستشعره الافهام وتلحظه الانظار والاذهان انه لم يكن قبيل ذلك الاوان ، نظام ولا أمان ، بل كانت الفوضى سائدة والخلل والفساد والاضطراب ضاربة أطنابها ، فلا يصح ان يتوهم متوهم انه كان اذ ذاك وازع يزع الكاذب عن كذبه ، أو مانع يمنع من الصاق تهمة ما ببرىء ، أو غيور يحامي عن حمى الحق ، ويذب عن حوضه ، أو يضرب على يد المزور ، بل كان الامر الواقع هو انعدام جميع أسباب الامن وانفصام عرى السكينه والسلم ، ثم جاءت هذه الحوادث فطمت الوادى على القرى وبلغ السيل الزبى ، وزادت الطين بلة ، وعادت على العليل بعلة ، وتغلغلت فكرة الافتراء على البابية وحسنها ، وتسربت الى أذهان العموم حتى بلغت من الكثرة والموبوئية مالا نزال نشهد آثاره بادية ظاهرة على العوام بل على الخواص . وسنذكر بين حلقات الوصول الآتية طرفا من آثار ما كان يصدر عن هذا الفريق المندفع فى تياره مما أفضى الى ارتكاب الجنايات والجرائم واقتراف الفظائع والمظالم .

حضور محمد خان الكيلاني

الى زنجان

وشهادة الحجة

بعد أن اشتدت الحال وجل الخطب ، وتعقدت الامور مما قد أتينا على ذكره ، انتدب الصدر الاعظم لقمع فتنة زنجان واعادة الامور الى مجاريها والسكون الى نصابه « محمد خان الكيلاني » وكان داهية ذا كفاءة ودراية في السياسة ، وزودته الحكومة بالعدد والعدد الكافية ، وفوضت اليه العمل تفويضاً تاماً ، وأذنت له باجراء كل مايراه صالحاً مفيداً لشل أعصاب طائفة البابية واستئصال شأفتها وكسر صولتها ، حتى أباحت له هدم مدينة زنجان نفسها ، وإعدام كل من بها لو تراءى له ذلك . فغادر محمد خان المذكور عاصمة المملكة ومعه من المهمات والمدافع والبنادق وأوزار الحرب والذخائر المقدار العدّ ، ومن النقود المبلغ الطائل وتيمم حومة الوغى والاختصام

ولما كان محمد خان المذكور من أركان الجيش العاملين وذوي الخبرة التامة بالاسرار الداخلية ومداخل الآفة والخلل التي يدخل منها على الجيش الهزيمة والاندحار ويحل به التشتت والتقهقر والايهان ، من مثل اغتصاب القواد حقوق الجنود ، وحرمانهم من

الراتب والمؤن ، وتكليفهم بأعمـال وواجبات باهظة ، لذا أخذ بجري على سياسة أخرى خالف فيها نمط القدماء من القواد ، وتنكب مسلكهم فبسط أكف العطاء والسخاء وصرف لجميع أفراد الجيش مالهم من رواتب وحقوق ، فترك مجراه هذا في نفوس أفراد الجيش أثراً عظيماً . ولما كان عمله هذا هو الوحيد فى بابه ، أخذ الجند يطرونه ويصفونه بالجود والكرم ، والسماحة بنثر النقد من دينار ودرهم .

وبعد أن وضع محمد خان خطته هذه ووافى مدينة زنجان أظهر من أفانين الفنون الحربية وغرائب التدابير والترتيب والنظام ما أعلى قدره ورفع شأوه في نظر الجميع

وكان كلما رأى الجند قد رجع القهقرى عن الحمل والهجوم ، لجأ الى باب السخاء والعطاء ، فبذر عليهم بذر النعم بدون حساب وكان بعمله هذا يولد نوعين من الثمار : أحدهما . ان الناس صارت تتوهم قيام الجنود بعمل مفيد يستحقون عليه الانعام والاحسان والآخر : انه كان يشجع أفراد الحملة فتدب فى نفوسهم نشوة التحمس ويبذلون وسعهم ويستميتون في الاقدام على نيل الظفر والانتصار .

وهكذا كان يعالج جميع المشكلات بالورق والنضار . ويؤاسي الجروح بمراهم الدرهم والدينار ، مؤاساة الطبيب الحاذق . وطالما كان يقول ان الذهب يحل المشكلات ، ويقضي الحاجات .

ثم نشأ عن ذلك أن اشتهر بين الناس بالجود والسخاء ، وسديد الآراء ، وجذب اليه قلوب من كان صغوه مع البابية حتى قويت الآمال بالفتح والنصر ، وابتهجت قلوب السواد الدثر ، ووفدت عليه وفود الاهلين ، مبدين له الخضوع ، معربين عن الطاعة والخشوع ، وعقدوا معه الخناصر على استئصال هذه النكبة من جذرها .

ولقد طال الامد على هذا الحال زهاء شهرين كاملين من الزمان ، تمكن في غضونها محمد خان من اكتساب قلوب الجميع من الجند والسكان ، وتجمعت لديه قوة ساحقة ، عند ذلك نشط للقراع والكفاح وبدأ بانجاز ما شرعه من التدابير ، لاخماد هذه الفتنة الكبرى والبلية العظمى . وقد كان فى سابق المقدور ان سيكون ذلك سبباً فى انقضاء أجل الحجة ونواله الشهادة على يده

وشرح ذلك ان الادب الذي قد أخذ بأهدابه الحجة فى امد الحصار أن يأمر بالاذان قبيل الزوال من كل يوم . ثم يقيم الصلاة مع الجماعة ، ماخلا الفئة القائمين بأمر المحافظة على الحصون . وكذلك كانوا يؤدون الصلاة فى أيام الجمع . وغير خاف ان صلاة الجمعة فريضة واجبة فى كل أسبوع على الدوام عند السنيين ، ولكنها تكليف مسنون (مستحب) فقط عند جماعة الشيعة ، ولا تمسى فريضة عندهم الا يوم يظهر المهدي المنتظر . وبما ان أصحاب حضرة الباب يعتقدون بأنه هو ذاك الموعود ، لذلك

صاروا يؤدون تلك الصلاة تأدية فرض جزم ، ولم يأخذ هذا الحكم صبغة أخرى الا بعد أن صدر كتاب « البيان » من يراعة صاحب الزمان وظهر كتاب « الاقدس » من أيادى حضرة البهاء فبظهور هذين التنزيلين وانتشارهما تغير الحكم جد التغير

وكان جناب الحجة عقب كل صلاة جمعة، وفي بعض الاحايين من سائر الايام أيضا ، يرقى منبر الخطابة ويقوم فى الاصحاب بالوعظ والنصح والارشاد ، وفى أغلب الاوقات كان يخرج بنفسه لتفقد الحفظة على المعاقل ، واذا اقتضت الحال القاء بعض التنبيهات والاشارات وابداء بعض الملاحظات تكلم بما يناسب المقام

وبينما كانت رحى الحرب دائرة وقد حمى الوطيس بين حفظة الحصون والجنود ، ذات يوم من أيام الجمع ، زار حضرة الحجة الحصون بعد ان أدى فريضة الصلاة وبعد ان القى خطبته ومواعظه المعتادة . ويقال ان الخطبة التى القاها فى ذلك اليوم كانت فوق المعتاد حتى أثرت في الاصحاب أيما تأثير

وعند ماهم بزيارة الحصون عرض عليه بعض صفوة الصحب وخلص التبع أن معترك القتال يحتوي على عظائم الاخطار ، والطلقات النارية في توال وتواتر على الدوام والاستمرار ، وقتلى الفريقين وجرحاهما قد أربوا عدداً عما كانت عليه في سائر الايام فلم يكترث جناب الحجة بتلك الكلمات ، وكان جوابه أن قال :

(ان القـــدر المحتوم لا بد أن يكون ولا مدفع لقضائه ولا مرد لحكمه)

ثم سار وعندما وصل الى أول حصن القى على الحفظة بضع كلمات تشجيعاً لهم ، ثم أخذ يطوف سائر الحصون ويتفقدهـا حصنا حصنا حتى بلغ الحصن التاسع عشر . وكان هذا هو الحصن الوحيد المقابل لمركز الجيش وهو بطبيعة الحال محاط في كل وقت بدخان البارود الكثيف فما كاد جناب الحجة يخطو خطوة داخل هـذا الحصن حتى نيل بطلق نارى أصاب كتفه فوقعت قلوب الاصحاب في اضطراب عظيم ، وقفت له أيديهم عن العمل والدفاع وفي الحال نزلوا بجناب الحجة من الحصن واحتملوه الى القلعة

وما أسرع ما انتشر هذا الخبر بين رجال الدفاع فى جميع الحصون، وأخذوا يردون واحداً واحداً لزيارته ومشاهدة جرحه وكانوا يطمئن بعضهم بعضا بقولهم : (ان الجرح وان يكن بليغا الا انه لاخطر على جناب الحجة منه وسيلتئم فى القريب العاجل) غير انهم أخطئوا في ظنهم هذا لان ما كان عليه جناب الحجة من ضعف البنية لم يمكنه من احتمال ألم الجرح ، فلزم الفراش .

ولما أحس حضرته باقتراب الاجل وانتهاء أيامه جمع حوله الاصحاب ، وأقام عليهم أحد ثقاته كرئيس وهو المسمى (دين محمد) وأمرهم جميعاً بملازمة طاعته في جميع الشئون ، وحثهم على الاتحاد والوفاق ، وقال : (لا بد من بعدي ان تهب عليكم أرياح الشدائد

والمضايقة فاذا ثبتم في ذلك الوقت أحرزتم الفخر الابدى أما اذا تزلزلتم فانكم تخسرون)

وبعد مرور بضع ساعات على إتمام وصاياه انتقل الى دار البقاء ، وخلف من ورائه قلوبا ملؤها الاسى واللأواء وقد أخذ الاصحاب النوح والبكاء ، وكرهوا الحياة من بعده ولكن (ديمحمد) شد من عزائمهم وحضهم على الصبر والتعزى ، ثم أمرهم بدفن الشهيد ، ومواراة جسده جوف الثرى . فبعد ان صلوا عليه دفنوه بثيابه المخضبة بدمائه حسب السنة الاسلامية الجاريةمن قبل وإثر إتمامهم مراسم الدفن شرع (ديمحمد) بتهيئة أسباب القتال وتجهيز معدات الدفاع والنضال ، ورجع كل من الصحب الى عمله الذي كان عليه

القتال بالقنابل المصنوعة من الطين

واختتام هذه الواقعة

في سنة ١٣٣٥ الهجرية وفى مدينة عشق آباد من أعمال تركستان لاقت ظروف الزمان المؤلف بالحاج ايمان أحد بقايا السيف من واقعة زنجان، وكان هذا الحاج مع انه شيخ طاعن فى السن يربى عمره على المائة لم يزل ذا توقد وذكاء وذاكرة قوية جيدة وفكر حاضر وهو من بهائيي المدينة المذكورة، فروى له الحكاية التالية قائلا:

(في وسط ايام الواقعه عند ما كانت الحرب ملتحمه محتدمة والهيجاء مشتجرة وقد بلغت القلوب الحناجر، نفد ما كان لدينا من الرصاص، ولكن البارود كان لايزال متوفراً عندنا بكثرة فاعمل بعض الاصحاب فكرته فأنتجت له تدبيراً فقال « لا بأس بأن نصنع اكراً دقيقة من الطين ونقليها بالسمن ثم نستعملها عوضاً عن الرصاص، فصنع ذلك وجرب فبالتجربة وجدت هذه الوسيلة مفيدة وهذا التدبير مصيباً وتبين لنا ان هذه الرصاصة المصنوعة من الطين ليست بأقل أثراً من الرصاصة المعدنية المعتادة واتضح لنا اننا نستطيع المقاومة أعواماً لذلك استمررنا على المقاتلة بهذا الطراز الجديد من الرصاص. ولكن الخطب الذى اضعف الاحباء وقوى الاعداء هو اشتهار الخبر بشهادة الحجة بين افراد الجيش وكان

ذلك على يد اناسى من الاغيار الذين كانوا قريبين من جوار القلعة فكان هؤلاء يداجون ويراؤن الاحباء خوفا وطمعاً ويبطنون النفاق ويكتمون خلاف مايظهرون . وبشيوع هذا النبأ فرحت قلوب الجنود واشتعلوا نشاطا واقداماً

وعلى اثر هذا الخبر تقدم أحد قادة الحملة (الامير جلال خان) الى القائد العام محمد خان الكيلانى باقتراح ارتآه قائلا له : (من المستحسن أن نكتب الى أهل القلعة خطاباً نقول لهم فيه انه انما كان اربنا قتل محمد على الحجة وبما اننا قد تحققنا قتله فلم يعد بيننا وبينكم مايدعو الى الخصومة، والاولى لكم أن لا تخاصموا الدولة عبثاً وأن لاتلبسوا لها أهاب البغاة المتمردين ، فاقلعوا عما أنتم بصدده من النزاع وليذهب كل واحد منكم الى شغله وعمله واذا أطعتم ورجعتم الى منازلكم ومساكنكم صنتم أنفسكم وكان لكم الامان وكذلك اذا رجحتم الاقامة بالمواضع التى تأوون اليها فأنتم في حفظ وأمان أيضاً لايتعرض لكم أحد بضرر واذا لبثتم باقين على حالتكم هذه فلا يكون نصيبكم الا الغبن الفاحش والخسر المبين واننا نتعهد لكم بازالة مالحق بقلب الحضرة السلطانية من شوائب الاكدار ونفهم جلالته بأن هؤلاء المساكين قد وقعوا في شرك الحجة ومكايده وصدقوا بظهور حجة الله السماوية وهم انما اطاعوه خوفا على حياتهم منه وبالرغم من خضوعهم للقوة السلطانية القاهرة لبوا دعوة الحجة وانهم معذورون في هذه المناوأة والمناضلة وفيما اجترأوا

على اجرائه مع الدولة . أما الآن وقد قتل الحجة الزنجاني فان قواد الحملة رأوا أن يؤمنوهم على حياتهم ففاتحوهم في ذلك فاختاروا سبيل السلامة وأظهروا الندامة على ماجنته أيديهم ثم تابوا ونزلوا على الخضوع للعتبة الشاهانية وأكدوا لنا انهم لن يكونوا بعدئذ من الخائنين .واعلموا يقيناً بأن جلالة الشاه سيقبل هذه الاعذار ويقيل العثار ، ويرفع عنكم ايدى المضايقة ، بل عساه يعطف عليكم فتصبحوا مورد عطائه بدلا من أن تكونوا موقع عقابه)

فقبل القائد العام من صاحب المشورة رأيه وأنشأ كتابا ضمنه تلك المفاهيم وبعث به الى القلعة.

ولما وصل الكتاب الى الاصحاب وتلى على مسامعهم تضاربت آراؤهم وانقسموا الى شطرين فشطر قال: (بما ان رؤساء الدولة يطلبون الصلح ويبغون السلم فحرى بنا التسليم واجابتهم لما طلبوا واعتزال القتال وايثار الراحة والسلامة) وشطر آخر لم يثق بكلام الخصم وشام منه برق المكر والختال وقال (يجب علينا أن لانعتمد على عهودهم ومواثيقهم وماشروعهم هذا الا خدعة يبغون من ورائها أن يسفكوا دمنا دون تجشم تعب ولاتكبد عناء)

اما «ديعمحمد» فشرع في نصحهم والقاء المواعظ عليهم قاصداً ارشادهم الى الاصلح ولكن لم يكن لكلامه وقع في نفوسهم وباتوا منقسمين الى فريقين فريق اصر على اعتزال القتال والجنوح الى الدعة والاستسلام وآخر رأى الاصرار على المدافعة والاستمرار

على النضال والخصام

واتفق في ذلك اليوم ان الجو تلبد بالغيوم، والرياح اختلفت والزوابع اشتدت واكتنفت البلدة من جميع الحواشي والاكناف، فانتبه بضع من الذين عولوا على وجوب الذود لهذه الحال والتفوا حول الذين ازمعوا اغماد السلاح وتجنب الكفاح قائلين لهم: (ان النبأ الذي سبق من الحجة التنبؤ به قد اخذ يتحقق الآن وها نحن نرى الرياح المختلفة تهب علينا من كل نحو وصوب، فاذا ثبتنا كما قال نلنا الفخر والسؤدد وان تزلزلنا فسنقع في خسران مبين وماهبوب هذه الرياح من جهة الاعداء الا نذير ينبهنا ويرشدنا الى سبيل الصواب، فهلموا بنا ننبذ هذا الخلاف ونجيب على هذا الخطاب بأننا مستعدون للدفاع مابقى فينا رمق من الحياة الى ان نحتسي كأس الشهادة ونموت موتة الرجال الذين يقدرون الحق والحقيقة قدرهما)

بيد ان الضعفاء الذين تملكهم السأم والملل وهمدت فيهم العزائم بعد شهادة الحجة لم يفد فيهم هذا المقال بل لجوا في غلوائهم وركنوا الى الانسحاب من الحصار قائلين: (انما كان الغرض الدفاع لا النزاع وبما ان القائد العام أظهر كراهية الحرب والمطالبة بالسلم والهدأة فلالزوم اذن الى المقارعة والمناخة) وبدأوا يزايلون القلعة أفواجا ويعودون الى المنازل

وكان (دبمحمد) من فريق المتحمسين الحازمين الذين

لم يغترّوا بوعد العدو ولم يركنوا الى الدعة والهدوء فجدد العهد معهم بالمثابرة على المدافعة والمناضلة حتى النفس الاخير. وكان من بينهم قبيل مالوا الى مزايلة الانحصار والعودة الى الدار والقرار غير انهم لم يطمئنوا لوعود اولئك القواد فقر قرارهم على البقاء في القلعة ريثما يرون صنف المعاملة التي ستسلكها الحكومة مع الذين تركوا السلاح ونزلوا على حكم الطاعة والانصياع

وما أسرع ما انكشف الستار عن كيد أولئك القادة فان امتطاءهم متون الطيش والرعونة والخفة وشرودهم عن الصبر والانتظار والتؤدة ريثما يخرج باقي المحصورين من انحصارهم جر عليهم الويل والخسر وأخر عنهم قضاء الارب الذي اشرأبوا اليه من وراء مكيدتهم. وذلك انهم لم يكادوا يرون أولئك الجمع خارجا من الحصن حتى أمر القائد العام بالقاء القبض عليهم وشرع مسارعة بعض الرؤساء في تنفيذ الامر وبايماء أهل البلدة اليهم وقع البعض منهم في الاسر والتجأ البعض الآخر للدفاع ولكن لم يكن ثمة حصن يحوطهم ويحميهم فقتلوا الا قليلا منهم نجوا بارواحهم هربا.

وبارتفاع الضوضاء في البلدة أدرك الذين صغوا الى الاخذ بالحزم والتثبّت سر المسألة فكان لهم من ثباتهم على البقاء بالقلعة باعث على السرور رغما عن علمهم علم اليقين ان مصيرهم الى الشهادة، لكنهم أضحوا في ارتياح وانشراح عظيمين. فلما استأنف الجند الحملة على القلعة أجابهم أولئك الرجال الذين نفضوا اليد

من الحياة وقطعوا الامل من الدنيا بنار حامية وحيث كان فكرهم محصورا في الدفع والمنع صرفوا كل الهمة اليه مستميتين فيه ، لذا فتكوا بالجنود فتكا ذريعا . ولقد دام القتال سبعة أيام متواليات لم يذق في خلالها أحد الفريقين طعم الراحة وما حل اليوم السابع الا وكانت قوة المتحصنين قد انتهكت وصاروا في ضعف جسيم فوقعت القلعة في يد المهاجمين وقتل بعض من الاصحاب وأسر بعض آخر ونجا قليل . والذين وقعوا في الاسر سيموا العذاب والاعنات ولم ينالوا راحة الا بعد ان باعهم القواد لمن رام شراءهم

وكانت جماعات من النسوة مع رجالهن بالقلعة فساقهن الجند أسيرات الى منازل العلماء ليستتبن ويعترفن بذنبهن ثم يطلق سراحهن. ولما وصلت النساء الى منازل السادة أخذوا يلحظوهن شزراً وينظرون اليهن بعين الازدراء والجفاء بدلا من ان يرثوا لحالهن ويبدوا لهن من الشفقة ما يخفف ويلاتهن بل جعلوا يتفلون فى وجوههن ويسمعوهن من واخز التوبيخ والتعزير ولادغ الشتم والسب ما فتح جراحهن المندملة

ثم بعد ان قرئت عليهن آيات الاستتابة مثلوا فيهن أدوار النهب والسلب والاستعباد والعسف، فمن كان منهن متحليات بالحلي والثياب الغالية الثمينة جردوهن منها وأبدلوهن باثواب رثة ممزقة ثم طردوهن من البيوت، واللاتى كن عاطلات عن ذلك ضربوا عليهن قباب الرق والملك، وسجنوهن بالمنازل حتى اذا ظهر راغب

يبغى شراء هن باعوهن اليه وعلى هذه الصورة كن يظفرن بالنجاة

وبالجملة فان الفظائع التي ارتكبت والفضائح التى وقعت في ذلك الوقت كانت من الكثرة بحيث لا يأتى عليها الاحصاء، وبلغت من القبح والشناعة حداً يدمي وصفه القلوب لذا ضربنا صفحا عن ذكرها واجتزأنا بذلك البلاغ .

ومما يجب علينا التنويه به ماقامت به نساء الاصحاب في تلك الحادثة من الخدمات وما قدمنه من المظافرات والمعاضدات في مهام الدفاع أثناء الحرب والنزاع .

وقد جاء في بعض اسفار التاريخ غرائب الروايات والقصص عن سيدة شابة كانت آية في الشجاعة والاقدام حتى لقبت باسم (رستم) وأثبت المؤرخون في دواوينهم رسمها (عكسها) وهي متزينة بالسلاح والحربة والترس، ولكن ما ورد في رواية أولئك القصاص غاية في الغموض والالتباس وهي الى الاستحالة أقرب منها الى الامكان بل لا يعلم على التحقيق : هل وجدت امرأة هناك بهذه الاوصاف أم تلك الروايات المختلفة أحاديث خرافة

وروى بعض أهل السير والقصص ان تلك الفتاة التى حازت لقب « رستم » شابة كانت مخطوبة لباسل من بواسل الاصحاب يدعى « صهر على » وان جناب الحجة الزنجاني كان قد عقد لهما عقد الزواج في أثناء الموقعة وأمرهما بامضائه (الدخول) وان تلك

السيدة لم تكن ترضى بمفارقة بعلها لحظة من الزمن لولوعها وشدة شغفها به بل كانت على الدوام الى جانبه تسنده وتشد عضده على الدفاع والقتال

ولما ظهر عنها ما ظهر وبرز ما برز من البسالة التى بهرت عقل القريب والغريب لقبت باسم (رستم) هذا . وكان اختتام هذه الواقعة في أوائل سنة ١٢٦٦ ﻫ

أما تعداد القتلى من الاصحاب فيها ، فهو موضع اختلاف واضطراب وليس بايدينا احصاء صحيح يمكننا الوثوق به والاعتماد عليه ولكن الضحايا على كل حال لا يقلون عن الف نسمة .



الوصل الرابع

فى حادثة نيريز

وشهادة (وحيد)

ان ثالثة الحوادث المهمات أهمية ، هي حادثة نيريز وابتدئت وقعاتها في أدراج الايام التى استشهد فيها حضرة السيد الباب ، وكانت من حين لآخر تنقطع ثم تتجدد ولبثت على هذا الى ان انتهت كلية في عام ١٢٦٨ ﻫ ، وكان الاليق ان نؤخرها في البيان لتأخر ميقاتها ، ولكن ما بينها وبين اختيها (حادثة مازندران وحادثة زنجان) من وجوه الشبه وتقارب المدد التى بينها اذ لا تبعد كل واحدة منها عن الاخرى الا بثلاثة أعوام أو أربعة خطر ببالنا ان ذكرها هنا لا يخلو عن مزيد افادة فهذا ماحدا بنا الى التعجيل بسرد بيانها

(نيريز) نيريز قصبة تتبع مدينة شيراز وموقعها لا يبعد عن مركز الايالة أكثر من مائة ميل وفي تلك القصبة آمن بالامر الجديد فريق من الناس مذ طلع فجر ظهور حضرة الباب واستقاموا على مهيع الايمان أعجب استقامة ثم بذلوا تضحيات قويمة في سبيل نشر الامر وترويج الكلمة ، ولكن أعمالهم هذه كلها لم تنتشر وخدماتهم لم تشهر الا بعد ان التحق بهم السيد يحيي الدارابي الملقب « بوحيد » وبعد هذه التوطئة فلنشرع في تدوين ما تسنى لنا جمعه من وقعات هذه النابغة فنقول :

أشرنا في عقود الوصول السالفة الى ان وحيداً بعد اقباله على الامر واعتناقه اياه وامتلائه حبا خالصا ويقينا صادقا ، برح عاصمة فارس وشخص الى بروجرد حيث أبلغ والده واقع الحال ثم استمر في تجوله ودخل مدينة قزوين وصعد المنابر فيها وأعلن الناس بظهور المهدي وكتب الى طهران تفاصيل هذه الحركة والآن نقول :

انه تلو ذلك حظى بلقاء حضرة بهاء الله وأقام في كنفه برهة استفاد في احيانها من بحر عرفانه غرر الفوائد ودرر الفرائد وقابل أيضاً قرة العين الطاهرة ، وهناك قول بأنه شهد مؤتمر « بدشت » ولما تفرق الاحباء وسافر كل واحد منهم الى ناحية ليستنهضوا همم الاصحاب للاجتماع بماكو من أجل زيارة الحضرة كان هو أيضا ممن يمم شطر يزد وشيراز لهذا الغرض . ومهما يكن من أمر فان صفحة سيرته لناصعة بيضاء وأعماله ثابتة نقية غراء منذ قدم يزد

ومذ وافى هذا البلد طفق يلهج بذكر الامر ولم يمل لحظة الى الصمت ، بل ثابر على دعوة الناس في السر والجهر ، ولم يرتق منبراً ثم ينزل عنه الا بعد أن يكون قد رفع الصوت جهرة مناديا بهذا الشأن كما انه لم يخرج من مسجد كان قد دخله الا بعد أن يبشر بالظهور . وفي ذات يوم دخل مسجد «ريك» الشهير وقد اجتمع به اناس كثيرة ينوف عددهم عن الالف فأبلغهم حديث الامر علانية .

وعنـد ما جاوزت أعماله وندا.اته حد احتمال العلماء أخذوا ينوحون ويبكون على الدين والشريعة . ولما كانت براهين البابية ظاهرة القوة ازاء ما كان يورده اولئك العلماء من الاحتجاجات والمستندات الضعيفة الواهية لجأ هؤلاء الى باب الحكومة وطالبوها بزجر المبلغين عن أعمالهم حتى يرتدع الناس عن سماع بلاغهم وبيانهم ثم ألحوا أغلظ الالحاح على الحكومة قائلين: (ان السيد يحيي الدارابي عالم فاضل قوي الحجـة يغش الناس ببليغ تبيانه ويضلهم بباهر برهانه، لذا يجب على الحكومة اخراجه من البلد حتى نستريح من هذا العناء والشقاء) فاجابتهم الحكومة الى سؤلهم وتدخلت في البين ، وبعثت ببـلاغ الى السيد يحيي حتمت عليه فيه الجلاء عن البلد والا عرض نفسه للخطر، ولكن السيد يحيي لم يهتم ببلاغها هذا واستمر في طريق التبليغ والترويج، فاضطر الحاكم لانفاذ حاجبه اليه كي يقبض عليه ويذيقه مر العقاب هو وأصحابه اذا اقتضى الحال ذلك. فلم يرض وحيد بأن تقع الابرياء بين مخالب الظلمة وعول على الهجرة من نيريز

وبينما هو يهيىء أسباب السفر اذ أصدر الحاكم الامر القاضي بوجوب القبض على كل من يقابل السيد يحيى الوحيد وسوقه الى دار الحكومة. فمن أجل ذلك خلا الاحباء بعضهم ببعض وتشاوروا في الامر وبعد المذاكرة والمفاوضة رأوا خروجه من البلدة ليلا ، وسلموا جواده الى خادمه المسمى « حسنا » وخرجوا هم أيضا لوداعه الى

ضاحية البلد ، وبعد ما شيعوه وودعوه عادوا اليها . وفي اليوم الثاني اتصل ذلك بمسامع الحاكم فاستدعى اليه أولئك المشيعين فحضروا ودون سؤال ولا جواب أمر بقتل اثنين منهم فنفذ الامر وربط أحدهما بعمود أمام فوهة المدفع ثم اطلق عليه . واجتذوا رأس الآخر . أما سائر من قبضوا عليهم من الاحباب فانهم قدموا أموالهم فدية عن مهجهم وظفروا بالنجاة من براثن الغشم والظلم .

وولى «وحيد» وجهه ، وهو فريد وحيد ، شطر وطنه (يزد) حيث كانت فئة من أعضاء اسرته مقيمين . وقد ثبت لدى المؤلف بعد استقاء الانباء الصحيحة من أشياخ البهائيين القاطنين الآن بمدينة يزد والذين كانوا جيراناً في المساكن لذلك السيد — وان كانت عامة التواريخ والسير صفراً من ذلك — أن وحيداً بعد ان قدم يزد سكن منزله الخاص مع زوجه وولده . وكان بناء شامخاً كائناً بمحلة (شعرباز) وما زال هذا البناء المشيد الباذخ الذرى ، وكذا شارعه المفضي اليه ، معروفاً باسم (وحيد) حتى هذه الايام .

ولم يلق «وحيد» عصا التسيار بسكنه حتى أخذت الحكومة تتصداه (بما لم تأت التواريخ على معشاره) فانها أمعنت في التصدي وأوغلت في التعدي ، حتى انها أتت ببضعة مدافع ونصبتها تجاه منزله ابتغاء هدمه وتقويضه ، فاضطر هو وولده وبعض صحبه للمرور

من نفق تحت الارض متكبدين أفدح المصاعب وأشق المتاعب ، وبعد انسلاله من ذلك الحرج وخلوصه من الخطر، اودع أولاده منزلا من منازل الاحباء ابقاء عليهم وصيانة لهم ، وخرج في جنح الليل متيمماً وجهة (نيريز) على مامر ذكره

ولم تتصرم البرهة التي قضاها « وحيد » في « يزد » سدى بل كان لمقامه أنجع الاثر في العلماء، فانه الفى من بينهم من حفل به جد الاحتفال ، وعني بشأنه كنه العناية ، واجتذب قلوب قبيل من نبهاء المجتهدين النبلاء ، فاعتنقوا النداء ، وأمسوا في بعض الاحيان والآناء هدفاً للملمات والنائبات رغماً عن ايثارهم التقية وكتمهم لجوهر ايمانهم وايقانهم .

ولما ورد « وحيد » على نيريز التف حوله جمع من الصحب ، وكانوا بين قديم العهد بالايمان وحديث الاتصال بالايقان، وجميعهم راسخون في عقيدتهم ، وندبوه لامامة مسجد البلد والاشتغال بمهام الوعظ والدرس، فلبي انتدابهم ، وقام به خير قيام . وأخذ يرفع الستائر عن الاسرار شيئاً فشيئاً حتى برح الخفاء، وأعلن الادعاء، ومزج التبليغ الامري بالتعاليم الاسلامية وما جاء طيها من البشائر. فتقبل قبيل من أهل هذا الموطن نداء الامر بقبول حسن . ونأوا بجانبهم عنه آخرون، فنبت الجدال، ونشب الحوار ، حتى اختتم الحال بخاتمة القتال والجلاد ، وسفح الدماء والاستشهاد، على ما ستقف عليه في مضامين الحلقة المقبلة .

نائب الحكومة

(زين العابدين خان في نيريز)

كان اول من تصدى لمقاومة السيد يحيي الدارابي ومناوأته زين العابدين خان نائب الحكومة في نيريز. وأساس ذلك ان النائب المذكور لما علم من طريق الاخبار المتواترة بان الحكومة حانقة ناقمة على طائفة البابية وان « وحيداً » فر من يزد ولجأ الى نيريز خشي من ان تسيء الحكومة الظن به إن هو سالم وحيداً وأحجم عن نيله بالاذى والضرر ، بل خال انه اذا لم يعلن سخطه على البابية عد متخلفاً عن قافلة المعترضين عليهم وركب المنازعين لهم فيتهم بفساد العقيدة وقلة الحزم وعدم الكفاءة . لذا فتح باب الكلام الذي هو الخطوة الاولى نحو النزاع والقتال ، فبعث باعلان الى السيد يحيي يقول له فيه :

(ان قيامكم في نيريز سيكون داعية الى وقوع الحرب والقتال ومجلبة لحدوث القلق والشجار ، فيجب عليكم ان تغادروا نيريز الى بلد آخر تقيمون فيه حتى تسكن الفتنة وتخمد الضوضاء المزمعة القيام . فان أنتم ائتمرتم بالامر وخرجتم أضرب عن مناوأتكم من شمر عن ساعد الجد لمناصبتكم العداء. فلا يجسر امرؤ اذن على الوقوف في وجهكم والسعي وراء قتلكم)

ولما وصل هذا البلاغ الذي لم يكن منتظراً الى وحيد رد عليه بقوله :

(أي أمر فرط مني يدل على الوقاحة ، أم أي عمل بدر عني ينم عن القباحة حتى يتقاضاني بان أترك قصري وأنأى عن وطني ، بينما تراني عائداً من سفرة طويلة لم أذق في يوم ما من أيامها طعم الراحة . فها أنا ذا جالس في داري نافضا يدي من كل الاعمال كما ترون ، لا دخل لي في المرافعات ، ولا صلة بيني وبين القضاء الشرعي والرئاسات ، ولا طماح لي الى رشاء أحد من المخلوقات ، ولا الى تعظيم وتبجيل امرىء من البريات ، فما الوجه الذي يلزمني بهجرة الوطن والتنائي عنه ؟ والخلاصة ان سفري من هذا النحو ليس من الممكنات ، لذا أرى نفسي معذورا في قعودي عن الائتمار بأمركم ، وعلى كل حال فانني متوكل على الرب الغفور — ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً)

ولما تراءى في نظر زين العابدين خان حسبما يعتقد مخالفة هذه الاجابة لمنهاج الاصابة فار فائره وملىء غيظا وحنقا ، وقرر وجوب قتله . فأخذ يفكر في احداث الفتن والشغب والضوضاء ، وتحريض الدهماء والغوغاء ، واستحضر رؤساء القبائل والقى عليهم من الكلمات ما يدل على ارتداد السيد وحيد عن الدين وكفره وأشار عليهم باحداث المشاغبات ، وارتكاب الفظائع والشائنات ،

والفتك بالسيد وحيد وبمن يميل اليه ويواليه . فارتفع الصخب واللجب من كل الانحاء . وراجت أسواق الفوضى والاخلال بالامن في جميع الارجاء .

وفي أثر نجوم هذه النواجم غدا السيد وحيد الى المسجد حيث أدى فريضة الصلاة ، ثم صعد المنبر وخطب في الناس مفصحا لهم عن أحواله قائلا :

(أيها الناس كلكم ذو علم بانني ووالدي واخوتي كنا قبل هذه الايام موضع احترام القريب والبعيد والغنى والفقير والظاعن والمقيم ، وكان الجميع لاسيما أهل هذه البقاع يفضلون أقوالنا على أقوال غيرنا ، ويعملون بموجب فتاوينا وأحكامنا التى كنا نصدرها بكل ضبط واحكام . واننا نرى اليوم من زين العابدين وأعماله ما كشف لنا الستار عن سوء سيرته وأظهر ما تكنه سريرته . ولكن ما لرؤسائكم قد عقدوا الخناصر معه على مناضلتي ومناوشتي وايقاع الضر والاذى بي ؟ فأى حلال حرمت أم أى حرام حللت ؟ حتى اعتقدوا بردتي وضلالي . نعم كل جريمتي التى لا انكرها وكل ما ينقمون منى اني بذلت لكم الارشاد والهداية ، ولم أكتمكم الحق ولم ابع الدين بالدنيا كما صنع كثير من الناس ولم أتخذ الدينار قبلة التمس فيها الخير والسعادة وآمل الجاه والفخر ، ولم ألبس رداء الرياء والختل ، ولم أصغ للاقاويل والتقاليد الباطلة بل فهت بما علمت وجهرت بما فهمت ، دون خوف ولا وجل ، واستبدلت

الاجتهاد اللساني الشفوي بالاجتهاد الحقيقي العملي فعرفت مولاي وايقنت به وشرعت في ترويج أمره واعلاء كلمته . ولم يكن بعد ذلك كله الا ان اصبحت الآن بينكم مورد الجور والمغاشم وهدفاً لسهام كل معاند ظالم - وما أشكو بثي وحزني الا الى الله -)

فلم ينته من الكلام والخطاب الى ما انتهى به حتى أغرورقت عيون بعض الحضور بالدموع ، واستولت الاشجان على آخرين ، ورفع معشر ثالث أصواتهم معلنين له الاخلاص والولاء والمحبة والصفاء والطاعة والوعد بالمعاضدة والوفاء ، قائلين : (اننا ما بقي باجسادنا رمق من الحياة لانخذلك ولا نتركك منفرداً وحدك أبداً) فتضرع السيد وحيد الى باب الكرم بالدعاء لهم ، ثم هبط عن المنبر واستدعى لفيفاً من خاصته وخاطبهم بقوله :

(بما ان الواجب الضروري يقضي علينا باجتناب اي عمل ينجم من ورائه نجوم الفتن والقلاقل والاضطرابات والزلازل ، لذلك ينبغي لنا أن ننبو عن هذا البلد ، ونسافر مؤقتاً منه ، عسى ان يستريح العدى ، ويخمد ضرام هذه الفتن .) فوافقوه على مقترحه وأجمع سبعة منهم على السفر في رفقته . وما أسرع ما قاموا بامضاء العزم وخرجوا من البلد .

ولما اتصل هذا النبأ بمسامع الحاكم « زين العابدين خان » أسرع فدعا عصابة من الرعاع وأمرهم ان يلحقوا بالراحلين ويهجموا عليهم من كل الاصواب واباح لهم قتلهم ونهب أموالهم واسلابهم .

وبناء على هذا الامر نفر من البلد نيف وخمسون نفسا من المتشردين وتسلحوا بالحصباء والمقاليع وجدوا في السير مقتفين آثار السيد وحيد ورفاقه ، فصادفوهم نازلين في ظل قلعة متخربة لا تبعد عن العمران أكثر من ميل ، وهنالك أبرزوا للسيد ورفقته من جفاء الطبع والشراسة مالا يطاق وأسمعوهم من الفحش والسفه والبذاءة مالا يليق بنا ذكره . ولبثوا يصارحونهم البغضاء والخصومة .

أما السيد وحيد فانه قابلهم في المبتدأ بكمال الرفق واللين والمسالمة ، وجعل ينصحهم ويعظهم ، وهم لا يزدادون الا غواية وغرة . فلما رأى أخيراً ان هذه الطريقة لا تجدى بطائل ولا تأتي بجدوي معهم ، أصدر الامر بالمقاومة ، وقام هو وصحبه قومة واحدة . وحملوا على المشاغبين بقلوب أقوى من الحديد واصطدم كل واحد منهم مع عشرة من الصائلين ، فلم تكن الا هنيهة حتى تشتت شمل المهاجمين ، ورجعوا القهقرى الى البلدة . وهم بين آنين مما نالهم من خطير الضرب والطعن وجرحى كثيرين . هنالك تفاقم الامر ، وأقبلت النجدات على السيد وحيد وصحبه حتى بلغ عدادهم الثمانين فتحصنوا بالقلعة ثم جاءهم زين العابدين خان بالجموع الكثيفة والعدد والاسلحة .

الامير فرهاد ميرزا

كان الامير فرهاد ميرزا هذا من نبلاء الامراء، وأفراد الاسرة المالكة الاجلاء، عماً لجلالة ناصر الدين شاه، لذا أسندت اليه ادارة ايالة فارس لما لها من المكانة لدى جلالة الشاه.

ومن غرائب الصدف والاتفاقات ان كان وصول الامير فرهاد ميرزا الى تلك الايالة واستلامه أزمة الحكم فيها، بعد تولد فتنة نيريز ونشوئها. فتواردت عليه من حاكمها زين العابدين المذكور عرائض التظلم والتذمر من السيد وحيد وأصحابه مصوراً له الواقعة في صورة مزعجة، مجسما اياها، مبديا عن عظيم خطورتها. فتراءى للامير فرهاد ان يستعمل صوارم الصرامة والشدة لحسم تلك الغائلة وقمعها، وأصدر الامر بتنظيم حملة تؤلف من فوج كامل [1] وتجهز بوافر الاسلحة والذخائر، وناط قيادتها بمحمد على خان دوبندكي بن الحاج شكر الله خان يوزي، وادارتها (بمصطفى قولى خان السرتيب) [2] وأمرها بالتوجه نحو نيريز

وتوافق وصول الحملة المذكورة الى جبهة القتال بعد مصادمات عديدة وقعت بين السيد وحيد وأصحابه. ورجال نائب الحكومة زين العابدين. وكانت تنتهي حركات المهاجمين فيها بالانهزام

«١» يتألف الفوج في نظام دولة الفرس من ٨٠٠ جندي ومئتي موظف

«٢» السرتيب رتبة عسكرية قريبة من رتبة «اليوزباشي»

والاندحار وانتكاس أعلامهم وسقوطها في كل اصطدام . حتى اضطروهم أخيراً الى ان يقفوا بمعزل ومزجر من القلعة ينظرون الى البابية والوجل ملء قلوبهم وأفئدتهم ، بعد ان سلب منهم من العتاد الجم ، والسلاح العد ما سلب

وفيما هم على تلك الحالة اذ وردت الحملة العسكرية فتخفض من جاش الحاكم ورجاله وروعتهم بعض التخفض، وخف بلبالهم واطمأن بالهم ، وهبوا مع كبراء البلدة ، واستقبلوا قواد الحملة أحفى استقبال ، وتلقوهم بكل احتفال واجلال ، ثم أخـذوا يسردون لهم ما جرى من المناوشات ، ويبثونهم الشكوى من أصحاب القلعة وفعالهم ، ويكبرون من شأن شجاعتهم وبسالتهم وباتوا يرددون لهم الاقرار والاعتراف باقدامهم وجسارتهم قائلين اننا نحن الالى أضرمنا نيران الفتنـة بايدينا فوقعنا في حفرتها واصطلينا بضرمها وشعلتها ، ولما التوى علينا اطفاؤها استنجدنا بالدولة ورجالها .

فأثرت تلك الروايات والحكايات عن وحيد وصحبه في أفكار رؤساء الحملة أشد التأثير وملأت قلوبهم رعبا وذعرا حتى تنازل مصطفى قولى السرتيب عن جواد غروره وكبريائه ،وعدل عن اخذ القوم بالشدة والقوة ، وركن الى باب الاحتيال والمحال ، ودعا رؤساء الجند وحاكم نيريز الى منزله ، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم فعرض عليهم مصطفى خان اقتراحه قائلا :

(اننا اذا عاملنا هؤلاء الناس بالشدة وهجمنا على مواقعهم للاستيلاء عليها عنوة لا يبعد ان نقع فيما لا نحمد عقباه ، ونصاب بما أصيب به حضرة الخان من الخسائر الجمة ، ونفاد المهمات بالكلية ، وبهذه الاسباب يطول أمد الحرب والضراب ، ونلاقي من المشكلات والاهوال ما يجر علينا البلاء والبأساء فمن ثم أرى من الواجب ان نتذرع بكل الحيل لنوقعهم بسببها في أيدينا دون مشقة نعرض بانفسنا لملاقاتها ونصل الى البغية عفواً)

فشرع الجميع في الدعاء له مستصوبين أفكاره ووافقوا على قراره واقتراحه .

هنا لك أمر السرتيب باحضار القلم والقرطاس وحرر خطابا الى السيد وحيد ، ضمنه من الاطراء والامتداح للسيد ما يذهل الالباب ، ومن القدح والطعن في شخص نائب الحكومة مايقضي بالعجب العجاب ، ودعا نفسه بين سطور عبارات كتابه «بالعبد» وأقسم بأغلظ الايمان قائلا : ليس لهذا العبد من مأرب الا اصلاح ذات البين ولا وطر الا اسبال الخير على العموم . وقال : (انني لا أحب النزول الى ميدان الحارب ، ولا اجاهد الا في سبيل العدل والحق ، وطريق البحث عن الفيض الالهي المطلق ، وانني منذ ظهر حجة الله وامره تائه حيران ، مضطرب ولهان ، متعطش الى معرفة الحقيقة . لذا ينبغي لكم ان تشرفوا منزلي وتتفضلوا بارشاد غلامكم ، أما اذا رفضتم مرتجاي هذا فانكم تكونون قد أهملتم

فريضة القيام باقامة الحجة على العباد واتمامها وفرطتم في رعاية واجب الاقدام على هداية الانام . وانني اعاهدكم العهد الصحيح الاكيد على انكم اذا شرفتم منزلي لن يمسنكم ولا يصيبن شخصكم المبارك ادنى ضير ولا اقل اذى ، بل يؤول الحال الى السلام والوئام ، ويتم وفق المنى وطبق المشتهى ونمسي جميعا في رغد من العيش وراحة من البال ذلك حيث أعلم بانكم لا تريدون الا راحة الخليقة وما كان قيام نائب الحكومة على مضادتكم الا لجهله المطبق وقلة درايته بحقيقة امركم ، اما انا فأملي وطيد انكم ستصفحون عن ذنبه ، وتعفون عن جرمه مراعاة لنا ، ثم تكفون عن الخصام وارادة الانتقام كي نستريح جميعا من عنت الحرب ويحل محله التفاهم والتباحث والاخذ والرد في الامور الروحية ونستوضح من جنابكم واضح الحقيقة الجلية في كل مبحث ومقال) اه

ولما ورد هذا الخطاب على السيد وحيد دعا الاصحاب اليه وقال : (اني ذاهب الى معسكر الجيش فاثبتوا انتم في مراكزكم الى ان ابعث لكم بكتاب او خبر) فاستنكر الاصحاب ذلك واخذهم الاضطراب الشديد وافصحوا له بأن هذه الدعوة مبناها المكر والختال ، ولا نتيجة لها الا الضرار والوبال، فكان جواب السيد على مقالهم هكذا :

«اننا لم نعتمد ولم نرد الا ابلاغ الناس امر الله لينتبهوا من الغفلة ويطلعوا على الحقيقة ، فلما عاملونا بالقوة ونحن في طريق ارشادهم

قابلناهم بمثل سلاحهم . أما الآن وقد القوا السلاح والتمسوا منا العدول الى البحث والمناظرة ، فلا مناص لنا من قبول دعوتهم ، واجابتهم الى طلبتهم ، وان نسلك معهم سبل التسامح والتساهل ، ونستعيض عن المكافحة والمقاتلة باللين والمجاملة . ولو ان كل ما تظاهروا به في خطابهم خدعة ورياء ، وما دبجوه مكر واحتيال . وان من مقتضيات الدعوة في كل حين من الاحيان ان يحدث مثل ذلك ، فلا بد لنا ولا مفر من اجابتهم الى سؤلهم حتى نرى منهم ما سيبدو لنا من وراء حجب الغيب وننظر الى مقدورات الامور التي ستطرزها يد القدرة على صفحات الكون »

فهذا ما أجاب الاصحاب به السيد غير أنه لم يأت باقناعهم وأعربوا عن عدم رضائهم قائلين :

(لا تتعب نفسك عبثا ، ولا تلق بنا في لجج الهم والغم ، فانه لا اعتماد على وعود اولئك الاناس ولا يبرون بأيمانهم ، فيجب ان لا نركن الى مواثيقهم وأقسامهم ، بل علينا ان لا نرتاب في انهم قد وضعوا المكايد والتدابير ونصبوا أشراك التدليس والتزوير كي يتمكنوا من التقاطنا بسهولة ثم يجعلونا علفا لسيوف انتقاماتهم)

فأجابهم السيد بقوله :

(لنفترض ما تقولون حقا ولكن الواجب يقضي علينا بقبول دعوتهم وتحسين الظن بدعواهم حتى تمسى الحجة البالغة قائمة

عليهم ، ويتبين غث مزاعمهم وزيغها ، وذلك ما لا يدع أحداً من رجال الدولة أو الملة يقول فيما بعد ان هذا الحزب كان يقصد البغي والطغيان لا أمور الدين والايمان)

وبالجملة فان وحيداً صمم على قبول تلك الدعوة وقام فودع الاصحاب فرداً فرداً واختتم وداعه بهذه الآية (انا لله وانا اليه راجعون) ثم اتجه جهة المعسكر يرافقه صاحب واحد تاركا البقية في القلعة وقلوبهم توشك ان تنفطر من شدة الحزن واللأواء . أما الجنود فانهم حينما رأوا السيد وحيداً ميمماً معسكرهم فرحت قلوبهم علماً بانه قد وقع في فخهم فتسابق قواد الحملة ورؤساؤها وخرجوا من الخيام مسرعين لاستقباله ، ثم ادخلوه الخيام بالعز والاكرام وجلسوا يحادثونه في مسائل شتى لا تعلق لواحدة منها بالدين بل من ساعة ورود السيد على المعسكر حتى صباح اليوم الثانى كان كلما هم السيد بالبحث في الامور الدينية اظهروا استنكافهم من استماع تلك الابحاث ، ومطلوا بها وأخذوا يخوضون في شئون ومهام أخرى ، فلو فرض أن السيد وحيداً كان بادي ، بدء يتردد في خداعهم ومكرهم فقد انجلت سحابة الشبهة بعد ذلك وأصبح موقنا جد الايقان بغدرهم وحنثهم وبات مرتقبا ما ستبديه الايام من غريب النتائج على ذلك الغدر والحنث فاعتزم الاوبة الى القلعة ليرى ماسيكون . وعند الصباح وبعد اداء فرائض الصلاة شرع في الاياب الى الحصن فاعترضه العسس وحالوا بينه وبين الخروج وصرحوا له بانه أضحى أسيراً لديهم ،

حملة اصحاب وحيد

بعد ان شاع وذاع بين الخاص والعام من رجال الجيش ان السيد وحيداً أضحى أسيراً لديهم وسمع بذلك خادمه الذى جاء معه الى المعسكر صمم الخادم المذكور على الفرار من المعسكر والذهاب الى القلعة لابلاغ هذا النبأ الى آذان الاحباء. فأتيح له ذلك وذهب فعلا الى القلعة وعندما اتصل هذا الخبر بالاصحاب وتناهى اليهم أمر الاسر نفض كل واحد منهم يده من الحياة ، ووطد العزيمة وضرب على أمر الفداء جروته وهبوا من القلعة الى حامة الوغى ومعترك النزال. وما كادوا يقتربون من الجند حتى صاحوا بصوت واحد رنان (ياصاحب الزمان) ثم ارتموا على الجند وفي يد كل واحد منهم حربة لامعة وحملوا على المعسكر حملات دهماء. فتكوا فيها برجاله فتكا ذريعا ، وقلبوا المعسكر رأساً على عقب ، فوقع الخوف والاضطراب ، وانقذف الوجل والارتعاب في قلوب الجنود ، حتى أوشكوا ان يتشتتوا فى الصحراء. فعندذلك تراكض الرؤساء الى السيد وحيد وتقدموا اليه بقولهم :

(أين ما كنا اتفقنا عليه من العمل ؟ ألم نقرر فيما بيننا ترك الحرب والخصام ؟) فأجابهم بقوله :

(لقد أثمر بهذا الامر غرس عملكم وما نبغ هذا النابغ الا لايقافكم اياي عن مبارحة المعسكر)

فاقسم مصطفى قولي خان السرتيب على انه لا علم له بامر التوقيف وانه ليس الا من تصرفات الحرس الخصوصية أو ربما كان من أقرباء من قتلوا في خلال المعارك التي دارت بينكما لذا تصدوا من تلقاء أنفسهم لعمل مثل هذا . وعلى كل حال وكيفما كان ، اصدروا أوامركم الى معشر الاصحاب بان يكفوا عن القتال ، حتى نستطيع اجراء الترتيبات اللازمة لعقد الصلح والسلام

فأرسل السيد وحيد الى اصحابه قائلا لهم أسكتوا أصوات القتال وارجعوا الى القلعة ، وانتظروا ما أزودكم به من الاخبار . فما أسرع ما استجاب الاصحاب لامره وفاؤوا الى القلعة بجرحى من بينهم قلائل بينما كان التالف من رجال الحملة يعد بالمئات ، واحتمل الاصحاب في طريق رجوعهم الى القلعة المقـــدار العظيم من الاسلحة والمهمات الحربية وجلسوا في القلعة منتظرين ما ستلده صروف الزمان .

فعقد رؤساء الحملة اجتماعاً آخر حضره السيد وحيد ابدوا له فيه من التبجيلات والتوقيرات ما تحفى الاقلام دون استيفاء وصفه ثم رغبوا اليه في ان يعتزل أمر القتال اعتزالا نهائيا وأقسموا له بأغلظ الايمان قائلين ليس لنا من أمنية الا ان تضع الحرب أوزارها وتنجلي شوائب الاكدار ، ولا نقصد الا راحة الطرفين واصلاح ذات البين . ثم قالوا : ثقوا بانه لا يؤخرنا عن اجراء الصلح دون قيد ولا شرط سوى شيء واحد وهو استرداد أصحاب الاسلاب التي سلبتهم

اياها أيدى أحبابكم لاسلابهم فتفضلوا باصدار الامر الى الصحب بأن يأخذوا أموالهم وأمتعتهم ويخرجوا من القلعة تاركين فيها تلك الاسلاب ويعودوا الى منازلهم حتى يتسنى لنا ارسال أصحاب تلك الاموال لاستلامها من اماكنها دون أن يتقابلوا مع اصحابكم، وبذلك ينقضي أمر النزاع والجدال، وينتهي الاعضال والاشكال. ثم اننا نعلم علم اليقين بانكم رجال لا مطمع لكم في أموال الناس أيا كانت)

فلما وصل الحديث بهم الى هذا الحد لم ير السيد وحيد مناصا من اجابة ملتمسهم وقبول مقترحهم فتناول اليراعة وكتب للاصحاب:

(اتركوا ما غنمتموه من الغنائم في مواضعها واذهبوا الى منازلكم وتوكلوا على الله تعالى حتى يتسنى لاصحاب تلك الغنائم دخول القلعة لاخذها ولا يليق بكم ان تلوثوا مقصدكم المقدس بشئون أخرى وقوموا على اقدام الانتظار لما سيتمخض به الغيب فانه عين الخير وصميمه ومأمول الحق والسالكين في سبيل الايمان والايقان)



تفرق الاصحاب

وادراك الجند لاوطارهم

بعد أن ورد كتاب السيد وحيد الذي نوهنا عنه آنفاً على جماعة الصحب في القلعة ووقفوا على مضمونه ، انصرم حبل آمالهم في الحياة ونفضوا اليد من عالم الدنيا، ذلك لان نوايا رجال الحكومة وما يقصدونه بهم اذا تفرق بعضهم عن بعض لم تكن لتخفى عليهم ولكن لما كان أمر السيد لديهم أمراً مقدساً أجابوه بكمال الخضوع والطاعة وأخذوا يعانق بعضهم بعضاً وهم يذرفون الدموع على الخدود، ثم جمع كل منهم ما يخصه من حطام الدنيا وخرجوا من القلعة جميعاً تاركين بها ما كانوا غنموه من الغنائم فى أماكنه .

أما الجند ورجال نائب الحكومة زين العابدين خان فانهم دخلوا القلعة بعد خروج الاصحاب منها مهللين مكبرين ثم أخذوا يجمعون ما تركه الاصحاب لهم ، ولم يقف بهم الامر عند هذا الحد لان فكرة الاثار لم تزل لائحة الشبح في مخيلة رؤساء الجيش والاهلين ، لذا بعد ما علم الكل بأن البابيين وصلوا الى منازلهم وأمسوا في راحة وهناء ملقين أسلحتهم متجنبين التعرض للدفاع والذود ، ثابت الى الجند شجاعتهم وجرأتهم وأصبحوا كأنهم الوحوش الضواري فأول عمل أتوه أن ألقوا القبض على السيد

وحيد الذي كان معتقلا عندهم . وبعد أن فوقوا اليه جميع ضروب السباب وأفانين الشتائم سجنوه في المعسكر ثم ضموا صفوفهم وهجموا على منازل الاصحاب ليلا والقوا القبض على كثيرين منهم وعذبوهم أليم العذاب، وبعد التعذيب قادوهم الى ساحة الشهادة وهناك قطعوا رأس أحدهم وبقروا بطن الثاني ومثلوا بثالث ما استطاعوا من فظاعة وبشاعة وأحرقوا جثة رابع بعد ما أهدروا دمه وأذاقوا آخرين من الاصحاب ألوان العقاب ثم باعوهم لمن أراد شراءهم بيع العبيد . وبعد أن مثلوا بهم هذه الفظاعات كلها دخلوا بيوتهم ونهبوا كل ما بها ثم صبوا كأس نقمتهم أخيراً على المباني فدكوها .

ومن بعد أن تم لهم الفتح والنصر بتلك الوسيلة وعلى هذه الكيفية هنالك جاء دور السيد وحيد، فأتوا به الى ساحة الشهادة فاذا هو رابط الجأش طلق المحيا منشرح الصدر، فصدر الامر من الرؤساء الى الجلاد بقتله ولكن الجلاد ما كاد يسمع كلمة الامر الصادر اليه من أولئك الكبراء حتى تقهقر الى الوراء محجماً عن تنفيذ ذلك الامر لان ما كان باديا على سيماء السيد من مخايل الشهامة والنجابة والكمال وما تألق على محياه من الجلال والوقار أثر على الجلاد أعظم تأثير ومنعه عن اجابة رؤسائه الى ما طلبوا . وبالرغم من الحاح اولئك الرؤساء عليه ومابرز عليهم من بوادر الغضب لتخلفه عن تنفيذ أوامرهم لم يطعهم فيما أمروا وأصر على الامتناع من

قتل ذلك السيد العظيم . ولما رآهم يزدادون غضباً وحنقاً ويشتدون في اللجاج والالحاح لم يلبث أن تمالكه الغضب منهم فوجه الى عموم الرؤساء قوله: (انه لن يمكنني أن أمد يدي الى هذا السيد المجنون أو ألوثها بدمه الطاهر ولو أمرتم بتقطيع جسمي ارباً . انكم أولا أرسلتم اليه تخاطبونه باسم الدين والشريعة وأقسمتم له بأغلظ الايمان حتى خدعتموه ثم حنثتم في أيمانكم فألقيتم عليه القبض)

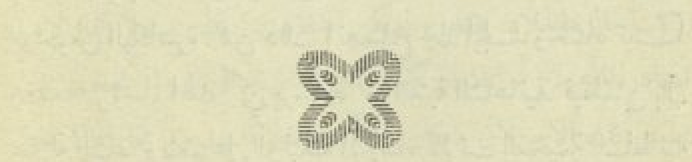
وهلم طفق الجلاد يمطر القوم بقوارص الكلم ولواذع التأنيب حتى ثار غضب مصطفى خان السرتيب وأمر بمعاقبته فوضعوا رجليه بالفلق وانهالوا عليه ضرباً حتى أشرف على الهلاك ثم أمروا بطرده من خدمة الدولة

وبعد وقوع هذا الخطب تطوع أحد رجال نائب الحكومة بقتل السيد وتقدم الى تنفيذ الامر بمنتهى الجرأة والجسارة حتى انه لم يكتف بمجرد القتل بل مثل بالجثة تمثيلا فاحشاً تأبى اتيانه نفوس الوحوش الكاسرة . فمن ذلك انه سلخ جلد الجسد وحشاه تبناً وقدمه لرؤساء الحملة كي يرسلوه الى العتبة الشاهانية فيطمئن بال جلالة الشاه وينعم على أولئك الرؤساء بالرتب الفخيمة السلطانية والمناصب السامية السنية

كل ذلك قد كان وجرى ما جرى ونفوس رجال نائب الحكومة لم ترو من الدماء بل أعادوا الكرة على المنازل التى خربوها وألقوا القبض على النساء وقطعوا أيديهن وفتكوا بأطفالهن

ثم ساقوهن الى شيراز في قافلة زينوها بجماجم الاطفال والرجال وليتهم بذلك اقتنعوا ، بل حينما وصلوا بالنسوة الى تلك المدينة ارتكبوا معهن من الوحشية ما تشيب لهوله النواصي وتتفتت الاكباد وتنشق المرائر ويستنكف التاريخ من أن تدون تلك الشنائع والكبائر بين طيات صحفه

وبالجملة فان صحيفة تاريخ الفرس اسودت من نتائج تلك الاعمال التي ارتكبها رجال الحملة في تلك الواقعة . وقد عن لنا من المناسب أن نختتم المقال في ذلك المجال ونعطف زمام القلم على شرح الحادثة الثانية



مقتل زين العابدين خان

في طريقه الى الحمام

وحدوث الحادثة الثانيه

لقد تصور كثيرون من الناس بعد وقوع تلك الحادثه (الاولى) ان البابية قتلوا عن بكرة أبيهم وان الحكومة استأصلت شأفتهم ولم تذر أحداً منهم في قيد الحياة في بلدة نيريز ولكن لم تنصرم برهة من الايام حتى اتضح ان هذا التصور كان خطأ وان البذور التى سبق للبابيين بذرها نبتت ونمت بسبب الحادثة الاولى ، دع ما كان هناك من وجود جموع عديدين من أصحاب حضرة الباب يعتقدون بحقيقة دعوة جنابه ويؤمنون بها وان تلك الاعمال البربرية والتعاسيف الوحشية التى أتتها الحكومة والخارجة عن حدود العقل وكل شعور انسانى سببت رسوخ العقيدة بقلوب البقية الباقية من الطائفة حتى جدّ أفرادها في سبيل ترويج الكلمة ، ولم يألوا جهداً في تبليغ صوت النداء وقالوا ان ما قامت به الدولة نحوهم من المغاشم والمظالم الباهظة إن هو إلا برهان قاطع على صدق دعوى الباب وحقيقة شريعتـــه ، فأخذوا يعملون على نشر الامر بما أوتوا من استطاعة وراء ستر الخفاء الى أن فشا أمرهم ثانياً ووقعت واقعـة الحال الثانية وجدير بنا أن نسرد للقراء خلاصة ماجرياتها فنقول :

بعد ما تحقق لافراد الطائفة في بلدة نيريز الذين لم يشتركو في الواقعة الاولى وماعرفوا بأنهم من شيعة أصحاب السيد وحيد واتضح لديهم ان ما أصاب السيد وحيداً وصحابته وما وقع على رؤوسهم من النائبات والملمات ليس الا من زين العابدين خان نائب الحكومة — وبعد ماثبت لهم ان ذلك الخان لم يزل جادا وراء وسائل يتشبث بها لايقاع الاضرار بسائر الطائفةويجدد عهد الفساد وينهب الاموال ويهتك أعراض النساء . بعداطلاعهم على ذلك كله جاء لفيف منهم وقرروا وجوب قتله

ففي الفترة التي فصل فيها الامير فرهاد ميرزا عن منصب رئاسه الحكم بايالة فارس وعين بدله الامير معتمدالدولة طهماسب ميرزا ، والتى مرت قبل أن يصل الحاكم الجديدلتبوءمنصبه تسلح نفر من بقايا الامر والاستشهاد ببلدة نيريز وأخذوا يتحينون الفرص لقتله فبينما كان زين العابدين خان ذات يوم في طريقه الى الحمام إذ تمكنوا منه وقتلوه ثم قفلوا راجعين الى منازلهم

ولما كان أمرا ضروريا أن تنشأ فتنة جديدة من جراء هذا القتل احتشد سواد عظيم من البابية وأخذوا يتأهبون لما عساه يطرأ من الطواريء ويهيئون أسباب الحماية والدفاع ووقفوا مرتقبين ورود الجيش المزمع أن تأمر الدولة بسوقه اليهم من شيراز ، أما معتمد الدولة حاكم فارس الجديد فانه ماكاد يتبوأ منصبه حتى كان أول ماطرق سمعه من الاخبار خبر مقتل زين العابدين خان .

لذلك انبرى على الفور وقام وقعد لهذا الحدث وأمر بتنظيم حملة مؤلفة من أفواج عدة ومجهزة بالبنادق والمدافع وعين لها الرؤساء والقواد وأمرها بالجد في المسير نحو نيريز .

فلما تناهى الى مسامع البابيين خبر هذه الحملة استعدوا للمقاومة وحولوا ذخائرهم الى جبل قريب من البلدة، وشادوا فيه الحصون والمتاريس . وبمجرد قدوم الجيش الى البلد ووضعه فيها أول قدم بدأوا بمناوشته ومهاجمته . ولقد ابرزوا في هذه الواقعة من الحماسة والاستبسال والاستماتة في سبل الدفاع والقراع ما بعث الاعجاب والاندهاش في الناس قاطبة

ومن غرائب الكوائن التي كانت في هذه النائبة ان زمرة من البابية فارقوا متاريسهم وزايلوها فى جبهة القتال وتقدموا بالاغارة على المعسكر وهم ينادون بصوت واحد نداءهم المعروف (ياصاحب الزمان) رامين بأنفسهم على الجند . وكان بيت القصيد من هذا الهجوم هو فصل المدفعية عن الحملة فبعد أن دقوا رؤوس رجال المدفعية ظفروا بنيل المرغوب واستولوا على جملة من المدافع فحمل كل واحد منهم على كاهله مدفعاً وسار به الى سفح الجبل وعند وصولهم جاء قبيل منهم بحبال ربطوا بها المدافع ورفعوها الى قمة الجبل ووقف قبيل آخر من ورائهم للدفاع عنهم وصد حملات الجنود في أثناء عمليتهم هذه .

وبعد أن رفعوا المدافع الى قمة الجبل شدوها ببعض الشجر

وصوبوا فوهاتها نحو المعسكر وأخذوا يصلونه ناراً حامية الى أن أصبح الجيش على خطر عظيم فاضطر الجند للارتداد على أعقابهم والتجأوا الى منازل البلدة للامتناع بها .

عنـــد ذلك ازداد البابيون شجاعة واشتد عضد تحمسهم وهجموا على البلدة منادين بصوت واحد (يا صاحب الزمان) وأحاطوا بالمنازل التي أوى اليها الجنود وأحرجوا بذلك مواقفهم . ودارت رحى القتال والنضال بينهما الى قبيل الصباح، وفي الآخرة آب البابيون الى مواقعهم من الجبل وتحصنوا بمتاريسهم وكانت النتيجة من هذا الهجوم ان البابية فقدوا شرذمة قليلة من رجالهم وتركوا عدداً عديداً من الجند طرحى على الثرى ما بين قتيـــل وجريح .

وفي ثاني يوم من تلك الوقعة حول الجيش مركزه الى غرب البلدة وضرب خيامه فيه ثم أصدر الرؤساء الامر الى مرؤوسيهم باقامة الحرس للمحافظة على الذخائر والمهمات وأخذوا هم (أي الرؤساء) في ارسال الدعوة الى كبراء القبائل والعشائر التي في جوار تلك الانحاء والتمسوا منهم النجدة والامداد وبهذه الوسيلة تجمع لهم جم غفير وهم عدد من المقاتلة قدره بعض المؤرخة بعشرة آلاف . هنالك قرر أولئك الزعماء والقادة وجوب الهجوم على الجبل على أن يكون في طليعة الجيش ذوو الخبرة بمسالك الجبل وفجاجه ثم يتبعهم الجيش، كما قرروا أيضاً محاصرة الجبل من جميع أقطاره لكي تغلق

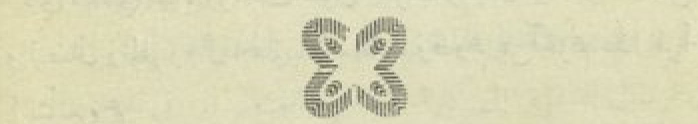
في وجوه البابيه جميع منافذ الفرار وتنقطع عنهم الذخائر

وبعد أن نفذوا خطتهم هذه قاومهم البابيون مقاومات عنيفة صدوا بها حملات الجيش في عديد المرات واحتفظوا بمواقعهم برهة مديدة حتى نفد ما كان عندهم من مؤنة وأصبحوا ولا قوت لهم الا مابالجبل من حبوب وأعشاب ، على ان كفتهم بقيت راجحة مدة بقاء الذخائر متوفرة لديهم ولكن بعد أن نفدت تلك الذخائر أيضاً أخذ نجم انتصارهم يميل الى الافول وتبدت عليهم معالم الضعف فوقف على تلك الحالة رجال الجيش وتحققت لهم بانقطاع النار الحامية التي كان البابية يصلونهم بها من أفواه بنادقهم . هنالك اضطرمت بقلوبهم نيران الانتقام وأخذوا يتقدمون نحو الجبل حتى اشتبك القتال بين الفريقين بالسلاح الابيض . ثم تكاثرت الجموع على البابية وزحزحوهم عن المتاريس والاستحكامات ، عندئذ نادى منادي المنايا وراجت سوق الحرب والقتال واحتدم الطعن والنضال وظفر رجال الحملة بالاصحاب وقتلوهم عن آخرهم عدا نفراً استأسروهم

وكان غب أن حاز الجند وأحرزوا هذا الانتصار أن مضوا الى البلدة وهدموا بيوت الصحب وقتلوا أطفالهم وذبحوا نساءهم .

أما تعداد القتلى من البابية فانه وان لم يكن معلوماً بالضبط واليقين ولكن أغلب الظن والتخمين يحكم بأنه كان عظيما . ومن الشواهد على ذلك ان رؤساء الحملة ورجال الجيش ساقوا معهم الى

شيراز مقداراً عظيما من الجوالق المفعمة بجماجم الشهداء وعند وصولهم الى هذه المدينة قرروا ارسالها مع جمع من الاسرى الى طهران لتكون شهوداً لهم بعظيم ماقاموا به من الاعمال. فأرسلوها غير انه حين الورود على بلدة «آباده» مات الاسراء، وأصبح نقل الجماجم أمراً عسيراً ، لذا قام المأمورون بتوصيلها فكتبوا الى رجال الحكومة بطهران يطلبون منهم التعليمات اللازمة للسير بمقتضاها ، فصدر مرسوم سلطاني يأمر بدفن الاسرى ورؤوس القتلى في تلك البلدة (آباده)



بلدة آباده

وأهميتها لدى البهائيين

أما هذه البلدة فهي اليوم أحد مراكز البهائيين المهمة ولا يخلو الامر من وجود مناسبة وارتباط بين الاسرى المظلومين ورؤوس الشهداء الفدائيين وبين اقبال أهل هذه البلدة على الايمان والايقان .

ان هذه المقاطعة الصغيرة الواقعة بين مدينتي شيراز واصفهان رغماً عن صغرها يوجد بها الآلاف المؤلفة من البهائيين المخلصين الصادقين الذين قابلوا كل ماحل بهم من البلايا وانتابهم من الرزايا بصادق العزم والحزم وكمال الشجاعة والهمة والصبر عاضين على عقيدتهم بالنواجذ محافظين على أمور دينهم بكل استقامة وشهامة .

ولم يمض على دفن رؤوس الشهداء وجثث الاسراء في تلك الجهة ردح من الزمن حتى أصبحت قبلة يحج اليها أفراد البهائية من كل فج وبذلك ارتفع شأنها وعظم عزها وشرفها حتى صارت اليوم تعرف باسم مزار رؤوس الشهداء

ومن أغرب الغرائب ان الناس بعد هذه الواقعة الثانية وان يكونوا قد بقي لديهم مسكة من الشك في انقراض البابية بنيريز وفنائهم بعد قتل أولادهم في الواقعة السابقة ، ولكن زال كل شك

واشتباه منهم ولم يبق عند أحدهم شبهة في امحائهم واعتقد الكل والجل انه لم يبق للبابية في بلدة نيريز بعد الواقعة الثانية من أثر

غير ان الزمن كشف عن خطأهم في هذا الاعتقاد أيضاً كما حصل بعد الواقعة الاولى فان نماء هذه الطائفة وتكاثر رجالها وازديادهم ازدياداً محسوساً استوجب دهشة الناس عموماً .

وبعد ما انقضى على هاتين الكارثتين زهاء خمسين عاماً نبغت نابغة أخرى استشهد فيها تسعة عشر مؤمناً من البهائية وسوف نأتي على شرحها في الموقع المناسب ان شاء الله .

ومع ذلك المصاب العظيم وكل هذا البلاء المبين فان البهائية لم تفتر لها همة ولا كلت لها عزيمة ومابرح البهائيون منذ البدء الى اليوم متفانين في بذل كل ماعز وهان في سبيل قضية الامر والايمان ورفع رايات الروح والايقان .

وكان مبتدأ الواقعة الاولى سنة ١٢٦٦ ومنتهى الثانية سنة ١٢٦٨ ومن ذلك يتضح انهما دامتا نيفا وعامين. وينبغي أن يحيط القارىء علماً بأن لوقائع مازندران وزنجان ونيريز تفاصيل ضافية الذيول وروايات مسهبة مطولة ضربنا صفحا عن بعضها لضعف سندها وأعرضنا عن ذكر البعض الآخر ايثاراً للايجاز والاختصار

الوصل الخامس

في

شرح أواخر أيام حضرة الباب

وسائر حالاته

من حين أن صار اعتقاله بقلعة ماكو على وشك الانتهاء الى يوم شهادته

لقد أودعنا ما أتينا عليه في الوصل الاول من هذا الفصل افصاحا عن وصول المأمورين ورجال الدولة بالسيد الباب الى قلعة ماكو وانهم عهدوا بأمر المحافظة على حضرته الى علي خان الماكوئي وألمعنا هناك الى ان علي خان المذكور أصبح محبا للحضرة جم الحب مخلصاً له جد الاخلاص بحيث انه كان يفتح الطريق في وجوه القاصدين من الاحباء الذين كانوا يفدون من مختلف الارجاء لزيارته والاحتظاء باللقاء ويأذن لهم بالدخول الى القلعة والتشرف برؤية الحضرة، وعلاوة على ذلك كان ينزلهم على الرحب والسعة.

ولم يبق علينا لاختتام هذا الفصل وتكميل عقده الا ان نعطف بالقلم على سائر حادثات تلك القلعة وماقد كان من انتقال حضرة السيد من ماكو الى چهريق ثم استحضار الحكومة واستقدامها له من چهريق الى تبريز وايقافه أمام مجلس ضم نخبة

من رجال الحكم وأعلام أبناء العلم رميا الى تحقيره والتنديد به الى غير ذلك من الخطوب والكوائن الاخيرة حتى النهاية . وبما اننا قد أتينا على ايضاح الوقائع التي وقعت في عهد سلطنة محمد شاه وولي عهده الذي كان إذ ذاك متقلدا حكم تبريز فحري بنا الآن أن نشرح أخريات حياة حضرة الباب وشهادته مما وقع في عهد سلطنة ناصر الدين شاه وذلك بعد نبوغ نابغتي مازندران وزنجان

أجل . ان في غضون الاشهر التسعة التي قضاها حضرة الباب سجينا بقلعة ماكو نزل كتاب البيـــان والدلائل التسع وبعض التوقيعات وقد خط ذلك كله بقلم آقا السيد حسن الكاتب وأيضا حظيت أفواج من الاحباء بلقـاء حضرته حتى لقد غلب على ظن سواد من الناس ان الشيخ (عظيما) الذي كان من أكابر المجتهدين كان في عداد المتشرفين الذين حظوا باللقاء والحضور المبارك

أما ناظر القلعة على خان الما كوئي وما كان منه فانه لبث في غداة كل يوم يصعد الجبل لتأدية مطالب الحضرة وبعد أن يقوم بما يلزم من واجب الخدمة يقفل راجعاً الى منزله .

ولما شاعت وذاعت الانباء عن زيارة الاصحاب لحضرة الباب وطرقت أذن الصدر الاعظم الحاج ميرزا اقاسي كتب الى على خان قائلا : (يجب عليك أن توصد الابواب في أوجه أصدقاء حضرة الباب عند قدومهم لزيارته وتمنعهم عن مقابلته وتقطع جميع سبل المواصلة بينه وبينهم) فأجابه علي خان بالاعتذار عن عجزه

عن تنفيذ أوامره هذه . فلما وصل هذا الرد الى الوزير الكبير قرر تبديل سجن الحضرة ونقله الى مكان آخر فأصدر أمرا يقضي بنقل حضرة الباب من قلعة ماكو الى قلعة چهريق وأن يناط أمر المحافظة عليه بيحيي خان الكردي. ففي جمادى سنة ١٢٦٤ هجرية خرجوا بحضرة الباب من ماكو الى جهريق وأودعوه سجيناً بقلعتها . هذا وقد ذهب أناس الى القول بأن البرهة التي أمضاها حضرة الباب في قلعة ماكو تزيد كثيرا عن تسعة أشهر داعمين قولهم بما ورد في التوقيع الذي نزل باسم الصـدر الاعظم الحاج ميرزا أقاسى من مخاطبة الحضرة له بقوله: (انه قد مضى من اليوم الذي كتبت لك فيه بحق حاكم فارس الى الآن أربعون شهرا) قالوا فلو فرض ان هذا التوقيع صدر من الحضرة قبل سفره الى مكة المكرمة وقبـل صدور الخطبـة القهرية الصادرة في قلعة ماكو لـكانت مدة اقامة حضرة الباب بتلك القلعة ثمانية عشر شهرا على أقل حساب ولـكن هناك من الشواهد والامارات ما يدلنا على ضعف هذا الاستناد . من ذلك ما جاء صراحة في كتاب « مقالة سائح » من ان المدة التي مكثها حضرة الباب معتقلا بقلعـة ماكو هى تسعة أشهر ومنها ما أثبت في سجلات الحـكومة التى دونت فيها الوقائع اليومية مما ينطبق على تصريح المقالة الى غير ذلك من بينات شتي تبرهن على صحة هذا التاريخ

فمن ثم يتأتى لنا أن نقول واليقين ملء قلوبنا ان شكوى حضرة الباب من حاكم فارس كانت قبل سفره الى مكة والامر الذي لامرية فيه ولا شبهة تعتريه هو ان حاكم فارس اتصلت به بعض كلمات عن حضرة الباب قبل شخوصه الى الحجاز ومع ان ذلك الحاكم عرف ماتسفر عنه حالة الحضرة والمقام الذي يرمي اليه لم يتعرض له بشيء الا بعد أوبته من تلك السفرة . ومما يعزز هذا القول ان الحاكم المذكور ما كاد يسمع بعودة الحضرة من حجته حتى أنفذ نفراً من المأمورين والفرسان لاحضاره محفوظاً من بلدة « بوشهر » الى مدينة شيراز أفلا يستدل من هذا الصنع على وجود نزاع سابق بينهما والا فليس من المعقول أن يسرع الحاكم الى التعرض لسيد عائد من زيارة البيت الحرام بمجرد رجوعه دون أن يكون قد سبق له معرفة شيء عنه . ومن الجهة الاخرى لا يمكن الاستدلال بتوقيع الخطبة القهرية على ان حضرة الباب مكث بقلعة ماكو ما يربي على تسعة من الشهور .

والخلاصة ان انتقال الحضرة من تلك القلعة الى قلعة چهريق كان بعد أن أمضى تسعة أشهر بها . واتفق أن كان هذا الانتقال في أوائل ماتولى ولي العهد « ناصر الدين » ادارة مقاطعة تبريز وهو اذ ذاك في سن لا تتجاوز حد البلوغ ففي ادراج هذه الظروف والصروف أصدرت الحكومة الاوامر الصارمة الى ناظر قلعة چهريق يحيى خان الكردي باستعمال أساليب الحزم والشدة لسد

جميع السبل على الواردين لزيارة الحضرة والحيلولة التامة بينهم و بين التشرف به والاحتظاء بلقائه .

ولقد ذهبت الظنون ببعض الناس الى القول بأن حضرة الباب بعد ما وصل الى قلعة چهريق وقضى بها هنيهة تبدل حال يحيي خان المذكور وتغير من القلى والجفوة الى الولاء والمحبة فاصبح من المحبين طبق ما وقع لعلي خان الماكوئى وتنكب طريق الاساءة الى التفاني في الخدمة . بيد أن هذا القول لم يحرز نصيبامن الصحة بل الامر الثابت ان يحيي خان لم يصر في يوم ما من الايام مؤمنا بالحضرة ولا محبا له ، ومما يثبت لك ذلك ان المؤمن الهندي الذى كان أحد أعلام زمانه المعروفين بالعرفان وارشاد الانام لما اعتزم زيارة حضرة السيد فى چهريق ووصل اليها بعد ما تكبد في هذا السبيل من المشاق والمصاعب المقدار الذى لا يوصف ، لم يتح له مع ذلك كله أن يحصل على اجازة التشرف من يحيي خان المذكور ولم يظفر منه باذن رغما عما تشفع به لديه وتوسل به اليه من الوسائل والوسائط فبالقسم من ذلك لم يمكنه الخان المذكور من أن يفوز من حضرة السيد ولا بنظرة واحدة



المؤمن الهندي (١)

كان المؤمن الهندي من عظماء العرفاء وجهابذة العلماء المعروفين لدى أهل الهند بالتنبؤ والمكاشفة وصفاء الضمير ونقاء القلب والفؤاد وطهارة الوجدان قدم من بلاد الهند الى بلدة جهريق للحظوة برؤية طلعة الباب ولما استحال عليه الظفر ببغيته جعل ديدنه الوحيد المرور في كل يوم من خلف باب القلعة . وكان في أثناء طوافه يرتل الاشعار ويذرف دموع الشجى الغزار وفيما هو يتردد كعادته ذات يوم وينشد الشعر ويذرف الدمع مرسلا نظره نحو سطح القلعة اذ اطل عليه حضرة الباب فلما ان وقع بصره على طلعته خر ساجدا الى الارض وهو يقول (هذا ربى) وكان من نتائج ذلك ان اضطرمت به جمرات الغرام وتلاطمت فيه أمواج الصبابة والهيام حتى أصبح كالمجنون وجدا وعشقاً . وطفق يتردد في انحاء البلدة يبلغ الناس ويدعوهم الى الايمان عن ولوع فائق أدي الى ظهور حركة خارقة للعادة فلم يكن يلاقي أمرءاً الا ويبحث معه عن ظهور الموعود ولم يتحادث مع انسان الا دعاه الى الايمان بامر باب

ولقد نجم عن ذلك ان اختلفت في شأنه الظنون فمن رام له بفقدان الوعي والشعور الى آخر اتهمه بتعاطي المخدرات والمغيبات

« ١ » يعرف عند بعض الناس بالدرويش الهندي

فبينما هو يتردد ذات يوم بطرق البلدة اذا بالحكومة قد القت عليه القبض وفتشت حقيبته فلم تجد فيها شيئاً من هاتيك المواد المخدرة التي رماه بتعاطيها هذا الفريق من الناس. وآل الامر في حقه الى عكس هذا الظن حيث اتضح لدى الكافه انه انسان مقدس بعيد عما يرتكبه الدراويش من الفعال وعن المسالك التى يسلكونها فمن ثم اعتقد كثير من الناس انه شخص روحاني مشتعل بجـــذبات الملكوت

وروى معشر ممن كانوا يراقبون أحواله انه لم يكن يتناول فى خلال أربعين ساعة من الطعام والشراب الا قدراً من السكر وماء الورد وأخيراً انتشرت الاخبار بين الخاص والعام بانه رجل متبتل الى الله منقطع عن الملاذ والاهواء



الاشخاص الهنود الثلاثة

ومن المحقق انه قد ظهر فى طي تلك الظروف ثلاثة أشخاص من عرفاء الهند وعلمائها آمنوا بحضرة الباب وعرفوا بذلك بين الناس وقاموا بما وجب عليهم من جلائل الخدمات نحو الامر واليك أيها القارىء أسماءهم : الصائن الهندي الذي سبق لنا ذكره ضمن ابحاثنا عن أحوال الحاج سيد جواد الكربلائى. والسيد بصير الذي جاء حديثه في سالف مقالاتنا . والسيد سعيد الهندى المنظوم في سمط حروف الحي والذي سنأتي على ذكره في كلامنا عنهم .

أما هذا الانسان المدعو بالمؤمن الهندي والذي نحن بصدد ذكراه فهناك غموض وابهام فى حقيقة شخصيته فلا يدرى هل هو أحد الرجال الثلاثة أم شخص رابع كما لم يعرف هل لفظ المؤمن الذي اشتهر به كان اسمه الاصلي أم لقب به بعد الايمان فكل ذلك لم تتناوله موازين التحقيق ولبث غير معلوم باليقين

على أن الامر الذي لا يختلف فيه اثنان انه قد وجد في الواقع ونفس الامر انسان يدعى بذلك الاسم قدم من شقة شاسعة الى جهريق وتشرف برؤية الباب وهام بحبه وأولع بتبليغ أمره وترويجه بين الناس حتى اكتسب شهرة عظيمة . وقد ذكره المؤرخة وأهل السير في صحفهم . ومن ذلك ماجاء في تاريخ النبيل الصحيح من العبارات المضاهية لما رويناه ، ولا بأس من أن نسرد للقراء مقالته

في ذلك قال : (ان المؤمن الهندي بعد ان اشتهر أمره في مقاطعه تبريز وعلى الاخص في بلدة چهريق و نواحيها واصل السير حتى وصل بلدة « خوى » ولم يوشك ان تطأ قدماه تلك البلدة حتى انبرى له حاكمها ومد إليه أيدي الاذى والاعنات . ولم تكن علة ذلك إلا خوف الحاكم من الصدر الاعظم الحاج ميرزا أقاسى لكونهما كانا اخوي بلد واحد فحبا لارضائه وتنفيذاً لامره أمر بالقاء القبض على المؤمن الهندي ورجلين آخرين أحدهما أحد الاحباء العرب والثاني المدعو بملاحسين من أحباء خراسان

وكانت مهمة هؤلاء الابطال الثلاثة فى ذلك الميقات هي السعى في سبيل التبليغ ونشر الامر دون اخفاء عقيدتهم . وبعد ان ألقى الحاكم القبض عليهم أمر بسجنهم ثم نهض فكتب الى رجال الدولة بطهران يستعلم عن التعليمات التى يلزمه اتباعها نحوهم فصدر اليه الامر بارسالهم الى العاصمة مكبلين بالحديد تحت الضغط الشديد فكان ذلك ونفذ الامر . وعند وصولهم الى العاصمة كان أول ماوقع عليهم من الجزاء ، بلاسؤال ولاجواب ، ان انهال عليهم رجال الحكومة بالضرب المبرح حتى مات العربي من فادح الالم فلم تتحمل بنيته النحيفة ذلك العقاب فمات من ساعته وكان أول رجل عربى ضحى بحياته في سبيل دين ظهر من بلاد فارس . أما المؤمن الهندي وملا حسين الخراساني فانهما بعد أن أشبعا وأوسعا ضربا حلقوا شعري رأسيهما ووجهيهما وفي رواية أخرى نتفوا ذلك الشعر

نتفاً حتى سال الدم من منابته . وفي غب ذلك طردوهما من المدينة . ومذ خروجهما عنها لم يعلم أحد عن مصيرهما شيئاً . ولكن يغلب على الظن ان المؤمن الهندى بعد ان خرج عن ذلك الشطر لم يلبث ان وقع طريحاً على الارض لان جسمه لم يعد فى طاقته احتمال ما أصابه من العذاب الكثير ومات) اه

وعلى هذه الرواية يكون المؤمن الهندي هذا أول هندى استشهد فى سبيل ذلك الامر . وللمؤلف وطيد الامل بان الذين سيعنون بسد انقاص هذا السفر فى مؤتنف الدهر سوف يؤيدونه ويمدونه بالمعلومات التي تكون أكثر أحياء لذكر المؤمن الهندي مما أتينا نحن به



استقدام حضرة الباب الى تبريز

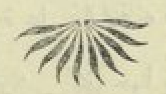
وإحضاره مجلس ولي العهد وجدل العلماء ولددهم

لما لم يظفر العلماء بالغاية التى كانوا ينشدونها من وراء اعتقال حضرة الباب بقلعة چهريق تراءى لهم ان سجنه بتلك القلعة أفضى الى عكس المرام الذي كانوا ينتظرونه وان دعوى حضرة الباب وأمره ما برحا على ما كانا عليه حالة وجوده بقلعة ماكو وان الاقبال عليه سار فى سبيل النماء والازدياد وأمره كل يوم فى اكتساب ربح ورواج لذا عقد كبار علماء تبريز ندوة تداولوا فيها ما يجب عليهم اتخاذه من التدابير نحو حضرة الباب وبعد التداول والتشاور قر رأيهم على رفع عريضة الى طهران

فكتبوا الى الصدر الاعظم قائلين (انكم اذا لم تستعملوا السياسة الحازمة مع حضرة الباب وصحبه فستغدو هذه الفتنة فى اشتعال خطير يصعب على أي انسان اطفاؤه ويخشى على الشريعة الاسلامية من ان تقع بها ثلمة ينتج من ورائها ان تصاب فرقة الامامية بلطمة تهد أركانها وعلاوة على ذلك فانه اذا كثرت فئة البابية واتسع نطاق نحلتهم خيف من أن يخرجوا يوما على الدولة ويدكوا أساسات السلطنة الفارسية)

فاتفق ان وردت عريضتهم على الصدر الاعظم وجلالة الشاه قد غمرته اعراض داء النقرس واشتد به المرض الى ان أخذ يبتعد به عن الحياة يوما فيوما ويقرب به من الاحتضار فالموت . لذلك كان جلالة الشاه مشغولا بنفسه وبما دهاه من المرض مصروفا عن النظر في أمور المملكة وسياسة الرعية ووقعت أزمة الامور وسياسة الجمهور بيد الوزير الكبير، وامسى يتصرف فيها كما يشاء تصرفا مطلقا وبات يتلون في سياسته نحو الباب فتارة يتراءى بمرأى اللين والرأفة واخرى يبرز في مظهر الشدة والجفوة

ولقد ظن هذا الوزير ان سلوك طرائق التشدد والارهاق يطفىء من لهب هذه النار المتأججة فتخفت تلك الاصوات المرتفعة بنداء الحقيقة لذا اصدر امرا صارما جازما الى حكومة تبريز يقضي باحضار الباب من جهريق الى تبريز واستعمال ضروب الجفاء معه. فلم يصل هذا الامر الى ولي العهد وهو حاكم تبريز وقتئذ حتى انفذ بضعة من المأمورين الى جهريق لاحضار الباب فمضوا واخرجوا الحضرة من القلعة وجاءوا به الى عاصمة الولاية



مرور الحضرة ببلدة (أرومية)

وتكريم حاكمها له وتيمن الاهلين بآثاره

وفي أثناء طريق مسير المأمورين بالباب الى تبريز اجتازوا بلدة (أرومية) وعند ورودهم على مشارف تلك القرية الصغيرة دعاه حاكمها الامير قاسم ميرزا الى مجلسه وسلك معه مسالك العدل والنصفة ذلك انه لم يصل الباب الى مجلس الامير حتى أحله المقام الاول وارتفع به الى مكان فوق مكانه وجلس بين يديه في كمال أدب واحترام ثم أخذ ينصت الى ما صار يصدر عن حضرته من البيانات . والخلاصة ان الامير المذكور أبدى لحضرة الباب من علائم المحبة والوداد والحفاوة والاكرام ما يفوق حد التصور ثم فتح في وجوه طالبي المثول بين يدى حضرته أبواب الوصول واللقاء وقام بجميع ما يلزم من الخدمات والتكرمات . ومن الروايات التي غدت شهيرة بين الخليقة والتى لاتحتاج منا الى شرح وايضاح بل نسردها مختصرة ان حضرة الباب في حين وجوده بتلك البلدة ذهب يوما من الايام الى الحمام فلم يكد يخرج منه حتى تقاطرت الاهالى يزاحم بعضهم بعضا على الدخول اليه واختطاف مياه الحوض التي اغتسل بها يقصدون بذلك التماس اليمن والبركة

وصول الحضرة الى تبريز

على ان تلك الراحة والحفاوة لم تدم لحضرة الباب الا أمدا قصيرا فلم يصل الى مدينة تبريز حتى أخذت المصائب تنصب على رأسه انصباب السيول من رؤوس الجبال واحتاطت به النوائب من كل جانب وكان أول تلك الارزاء ان المأمورين بمجرد وصولهم الى المدينة خلعوا العمامة عن رأس ذلك السيد العظيم وجردوه من ثيابه الخصوصية وعوضوه عنها البسة اخرى ولم يكن اقدامهم على هذا الا لما تلقنوه من الاوامر

وعلى هذه الحالة والشارة أدخلوه الى مجلس ولي عهد السلطنة حاكم تلك المقاطعة ثم عاملوه معاملة يخجل قلم أي امريء من تسطير ذكرها لما تضمنت من الاعمال الشائنة الخارجة بالكلية عن دائرة الآداب والتى تنم عن انحطاط الاخلاق . ولم يدر لهم بخلد ولا خطر ببالهم ان هذه الافعال التى أتوها وظنوا ان فيها تصغيراً من قدر الباب لهي الاهانة الكبرى لهم عند كل ناظر منصف .

ولكن ماالعمل اذا كان الامر والنهي موكولين الى ارادة متعصبة العلماء والفقهاء وأغرار الشبان وأغمارهم حتى لم تكن حداثة سن ولي العهد الذي لم يظهر كفاءة في ادارة ولاية واحدة هي السبب وحدها في نشوء ما نشأ من الاضرار وانما كان اعتلال

ادارة العلماء وطيش ولي العهد هما جملةً الامران اللذان أنتجا نشاط أمر حضرة الباب واشتداد ساعده وارتفاع شأنه .

ولو ان العلماء تركوا التعصبات الدينية جانباً وسلكوا مع حضرة الباب طرق الادب والاحترام وطرقوا أبواب المباحثات العلمية عن جد واعتدال ولم يستبدلوها بالسخرية والاستهزاء لما أخذت أوامر حضرة الباب ودعوته هذه السعة في الارتفاع والاشتهار ولما وقعت وقائع مازندران وزنجان ونيريز على الصورة التى سمعنا بها تلك الصورة التى سردناها لك فيما سلف ، لان اقدام أصحاب حضرة الباب على استعمال السلاح لم يكن الا بعد أن وقع على حضرته ماوقع فى هذا المجتمع أما ما أتينا على شرحه سابقاً من القرار الذي أصدره أصحاب حضرة الباب في مؤتمر بدشت والقاضي بوجوب التجمع في ماكو فلم يكن معناه سوى التجمع السلمي ولم يتقرر فيه شيء ذو مساس بالتسلح للمناضلة والكفاح ، ولكن تبديل الحكومة سجن حضرة الباب من قلعة ما كو الى جهريق واستبدال العلماء البحث والتحقيق معه وسلوك جادة الانصاف بالسخرية والتكدير والاستخفاف غيرا مجرى الافكار في الاصحاب وتسببا في نجوم مانجم من النوابت التى سردناها والتى سنأتي على شرح البقية الباقية منها .

أجل . ان المفهوم مما أدرج في كتابي ناسخ التواريخ وروضة الصفا هوان المنهج الذى انتهجه الرؤساء وعلماء الدين مع حضرة

الباب حالة وجوده في مجلس ولي العهد لم يكن فقط خارجاً عن حدود الادب والاحترام ومنافياً لآداب البحث والتفاهم من الاخذ والرد بالاسئلة العلمية والدينية لاقامة الدليل والبرهان بل كان بشكل لايستطيع اي انسان وصفه لما فيـــه من الشواهد والعلائم التى تشف عما كان عليه القوم من درجات الانحطاط في الاخلاق كتجرؤهم على التافظ بسافل الـكلمات

وقد جاء في اكثر كتب المؤرخين ان ذلك المجلس ضم بين جدرانه كثيراً من أفاضل العلماء مثـل شيخ الاسلام ميرزا على اصغر والحاج ملا محمود الملقب بنظام العلماء وملامحمدالممقانى وامام الجمعة وغيرهم من كبار العلماء وان الاسئلة التى وجهت الى حضرة الباب خارجة بالمرة عن الموضوع الذي اجتمعوا من أجله وملقاة على المسئول بكل فظاظة وتعنت واستهزاء

وليت المؤرخين اكتفوا بتدوين الاسئلة اللامشروعة الموجهة من العلماء بكل تهكم على حضرة الباب والـكلمات المستهجنـة القبيحة التى تلفظوا بها بل أضافوا اليها من عندياتهم الشيء الـكثير من كلمات السخرية والاستهزاء وحذفوا كل ذي علاقة وارتباط باثبات دعوة حضرته وأهميتها بل الـكلمات التى تفوه بها والخطب التى ارتجلها مقتصرين على تدوين مالفظتـه ألسنة العلماء من ألفاظ السخرية والاستهزاء

ومن الامور المتفق عليها بين الخاص والعام الثابتة المحققة عند المحب والمبغض والمقبل والمعرض ان حضرة الباب عند ما دخل المجلس احتقره الجالسون واستخفوا به حتى انه لم يتقدم أحد من الحاضرين لارشاده الى مكان يجلس به فجلس في مؤخرة القوم غاضاً بصره غير ناظر الى الحضور شاغلا قلبه بترديد ذكر الحق . وبعد أن جلس هنيهة وجه اليه رجال المجلس السؤال عن حقيقة دعواه طالبين الافصاح، فأجابهم على الفور ان دعواه هي انه المهدى المنتظر ثم طفق يشرح مقصده وما يرمي اليه من دعواه هذه دون أن يتسرب الى لبه شيء من الخوف والوجل

ولا يخفى على ذي حجى عارف بأحوال العلماء والمجتهدين ما لهذه الدعوى من الاهمية والمكانة وما لادعائها من الوقع في مجمع كهذا . فما كاد العلماء يسمعون آخر حديثه وبيانه حتى فتحوا افواههم بكلمات السخرية والطعن والقدح ، وتقدم أحدهم فطلب منه ان يصرّف له كلمة (قال يقول) وسأله آخر عن سر مرض التخمة في الانسان — وهذا طالبه بالكشف عن بعض أسرار مسائل الدراويش . وذاك استفصحه عن الامثلة وشرحها — ومن هنا طولب بحل بعض المسائل المتعلقة بعلم الرمل والشعوذة . ومن هناك عرض عليه حل بعض الالغاز والمعميات من الكلمات — وجمع استفسروه عن علم الطب والبيطرة . وآخرون فاجؤوه بالاسئلة من الميمنة والميسرة وليتهم بذلك اكتفوا وعلى هذا اقتصروا بل

أخذوا يتقلبون في أشتات الاحاديث منتقلين من واد الى واد حتى أفضى بهم الحال الى سؤاله عن شأن الكلم التى ينطق بها ومنزلتها فأجابهم (انها آيات منزلة و كلمات فطرية) فانبرى لتكذيبه وتجبيهه أحد العلماء فقال: إن هي إلا كلمات ملفقة وعبارات مختلقة . وعلى هذا النمط لبثوا يجادلون ويمارون . وتمادى بهم الحال الى أن طلبوا منه أن يرتجل لهم خطبة من تلك الآثار الفطرية التى يدعيها فلم يتلعثم أن أجابهم الى طلبتهم دون تردد ، وشرع في ارتجال خطبة استهلها بهذه العبارة (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) ونطق بلفظ السموات مفتوح الآخر فقاطعه بعض العلماء ، واعترضه بالاعتراض على هذا الفتح قائلا ان لفظة السموات تكون مكسورة في كلتا الحالتين النصب والجر وعزز اعتراضه ولي العهد ناصر الدين واستشهد بما ورد في ألفية ابن مالك من قوله

(وما بتا وألف قد جمعا — يكسر في الجر وفي النصب معا)

فأجابهم عن هذا الاعتراض بقوله ان كثيراً من الآيات الشريفة القرآنيـة نزلت بخلاف قواعد القوم وأمست لذلك هدفاً لسهام الانتقاد من علماء النصارى وموضع تنديدهم وكتبوا في ذلك المؤلفات المملوءة بالردود والمطاعن الكثيرة وحكموا عليها بالغلط والخطأ ولكننا لو نظرنا الى الحقيقة لتراءى لنا ان الآيات السماوية لم تكن في يوم من الايام تابعة لقوانين البشر وقواعدهم وانها الاصل الاصح وكلمات الناس هي الغلط والخطأ والواجب

على الناس أن يطبقوا كلماتهم على مثال الآيات الالهية وقاعدتها . وما تقييد الكلمات الربانيــة بالقوانين البشرية والحــدود الاصطلاحية الا الضلال البعيد والخطل المبين الذي لا يحل بوجه من الوجوه ولا بحال من الاحوال . وفى الختام انفض ذلك المجلس الغريب الشكل باللغط والجلبة والضوضاء الفارغة . وبعد أن تفرق العلماء وذهب كل منهم الى منزله أعاد رجال الحكومة حضرة الباب الى مسجنه . وفي مجارى تلك المجادلات والمناوشات كانت الناس تنتظر ماذا ينجم من النتائج في عقبى ذلك المجلس



الاقدام على الاعتساف

والاحجام عن الانصاف

بعد تصرم يومين او ثلاثة على انفراط عقد ذلك المجمع وثب العلماء فعقدوا اجتماعاً آخر قرروا فيه عقد الخناصر على المضى الى باب ولي العهد والتقدم اليه بأن يستعمل مع حضرة الباب نمط التشديد والتطرف ويصدر الامر بتعذيبه واهانته واقترحوا عليه أن يأمر باحضاره من السجن وشد رجليه بالفلق وضربه علناً على رؤوس الاشهاد عسى أن يعود ذلك بالخير والجدوى وتخرج تلك الاوهام والتصورات من رأسه ويرجع عن الدعوى بأنه المهدي المنتظر ويتوب عن انتحال ذلك المقام فيصمت بعد ولا يعود يتكلم عن الحكمة ولا عن الاخلاق ولا يعد نفسه مربيا ويبقى كسائر الانام لايفوه بشيء يراه من شئون رؤساء الدولة والملة

ولما ذهبوا الى ولى العهد ناصر الدين وعرضوا على جنابه هذه الفكرة أجابهم اليها وأمر باحضار حضرة الباب لتنفيذ ذلك الاحتكام وعند ما سمع بذلك الفراشون (الخدمة) الذين سيسند اليهم مباشرة الضرب صمموا باجماع على الامتناع من تنفيذ ذلك الحكم. وقد أجمعت روايات المقبلين والمدبرين ونص أيضاً تاريخ روضة الصفا على ان الفراشين الذين كلفوا بضرب حضرة الباب امتنعوا عن حمل هذا التكليف وانهم بالرغم من خطاب الناس لهم بأقرص

الفـاظ التوبيخ والتقريع والتنـديد وتسميتهم اياهم بالاوباش والاجلاف لم يعبئوا بذلك وكانوا يجيبونهم بالسخط على سوء فعلهم واستهجان عملهم قائلين (اننا على الحياد التام ازاء هذا العمل ولانقبل بوجه من الوجوه أن نباشر ضرب هذا السيد الجليـل ونرتكب مايلصق بنا العار والشنار الى الابد بل يجب أن يستقر ويثبت في علمكم انا لايمكننا أن نمد الايدى الى مسه بأذى مادمنا بعيدين عن معرفة الحقيقة . ألم يسبق من العلماء القول بأن الناس لعدم معرفتهم بقدر الائمة من آل الرسول صلى الله عليـه وسلم نالوهم بالاذية وارتكبوا معهم جميع الجرائم قتلوا بعضاً وساقوا آخر الى سجون أعماق الارض مكبلا بالسلاسل والاغلال وانهالوا على بعض ثالث ضرباً بالعصي والسياط . فلتلك الاسباب نرفض نهائياً أن نسير على مسير الاولين ونتبع سنن الاقدمين بأن نضرب هذا السيد ونجنى على أنفسنا من جراء عملنا وبأيدينا لعنة الابد ثم نمسى مواقع النكبات التى لاتحول ولاتزول)

ولما وصل الخبر برفض الفراشين أمر القيام بضرب حضرة الباب الى مسامع النـاس وتقديمهم الاعذار المعقولة أرسل شيخ الاسلام تابعاً من اتباعه الى ولي العهد ناصر الدين ليبلغه عنه قوله (انى بنفسى سأقوم بتنفيذ هذا القرار وانى لعـلى أتم استعداد لاجراء كل جزاء يتقرر على ذلك السيد . ومامنشأ امتناع الفراشين وتقهقرهم أمام التنفيذ الا افتكارهم بسيادته وشرفه . أما نحن معشر

العلماء فاننا لانفكر فى أمر كهذا لان أثر السيادة هاهو موضوع فوق رؤوسنا ونطاق الحسب والنسب ممنطق بوسطنا فأرسلوه لنا حتى نؤدي له حق القرابة ونقوم له بواجبات الاحترام والنقاية)

وهنا يوجد غموض فى ان ولي العهد هل كان في وفاق على رأي شيخ الاسلام أو لا وفى انه هل كان مقصده من تسليم حضرة الباب الى شيخ الاسلام هو مجرد ارضائه وتكميم فمه حتى ينقضى بذلك ما أحدثه العلماء من الشغب والهرج والمرج . وعلى كلتا الحالتين فانه أمر بتسليم حضرة الباب الى شيخ الاسلام . وبمجرد وصوله اليه انهالت على حضرته أمطار التعسف والحيف، وكان أول مابدأوا به من العمل أن وضعوا رجليه بالفلق وضربوه بالعصى على مرأى ومشهد من جماهير الناس ، ولقد اختلفت بالناس الآراء عند ذلك المشهد فمن تال لآية (قل أعوذ برب الفلق) الى آخر يجيبه بالآية التالية (من شر ماخلق) ومن محبذ مادح الى آخر قادح .

وكان من الناس فريق أخذ يتشفع الى ذلك الزعيم النسيب في الكف عن ضرب الحضرة ، على ان تلك الاعمال والفعال الوحشية التي شهدوا بها على أنفسهم لم تصل بهم الى مراميهم ولم تفض الى قضاء لبانتهم ووطرهم بل أدت الى عكس ما كانوا ينتظرون ويظنون ، وكان من ورائها أن اتسعت شهرة حضرة الباب وطار صيته في أقاصي البلاد بين العباد وارتفع أمره ونداؤه

وراج ، وغدت احدى الوسائل التي توطدت بها أسس الحركة البابيــة واستحكمت دعائمها ، وما ألطف ماقاله الشاعر فى مثل هذاالمعنى :

ستذكر بالذى ضيعت منى اذا برز الخفي من الحجاب
وتعلم ان ربحك كان خسراً اذا فكرت في أصل الحساب



اتمام حضرة الباب جميع اموره

واستعداده للورود على مشهد الفداء

من بعد أن أتم العلماء تأدية جميع مراسم الضرب والاهانة وتنفيذها على حضرة الباب أمرت الحكومة برده ثانياً الى سجن جهريق ، وزودت مأمور السجن بالاوامر المغلظة بأن يوصد جميع أبواب المواصلة بينه وبين أصحابه وأن يفتح جميع سبل الاضطهاد والاعنات، ولم تمض على هاتيك الاعمال الا عشية أو ضحاها حتى شاعت وذاعت فى جميع البلاد الايرانية ووقف على نبئها القاصي والداني ، فتأججت نيران الحركة بالتالي وانقسم الناس الى فريقين فريق صار يحبذ تلك الاعمال والافعال وآخر أخذ يقدح فيهـــا ويطعن عليها وأصبح الناس ولا حديث لهم الا التكلم عنها نفيـاً أو اثباتاً مدحاً أو قدحاً

ولم تكد تتصل بمسامع الاصحاب الاخبار عمـا فعله شيخ الاسلام وأتاه من الشائنات والاستبداديات الخارجة عن حدود كل عدل وانصاف والدالة على منتهى الغشم والاجحاف بضربه واهانته حضرة الباب حتى عولوا على تضحية النفس والنفيس في سبيل حضرته وصمموا على ذلك تصميما أكيداً

وبينما كان الاصحاب وقد تملكهم الاسى الذى لامزيد عليه

واشتعلت بأحشائهم نيران الكدر والاسف وصاروا في هياج ليس بعده هياج ، واذا بالاخبار تفاجئهم بارتحال محمدشاه فازدادت الاحوال وخامة وتوترت العلائق ، حتى اقتضت الحالة وقوع واقعتي مازندران وزنجان

وكان من وراء ارتحال الشاه أن انشلت أيدي الوزير الكبير من الحكم بل تقلص ظل حياته من الارض طبق ماأنذر به حضرة الباب في خطبته القهرية التي وجهها اليه ، ولكن مع هذا كله لم تنته الحالة الى السكينة والهدوء ، وما اتجهت الامور في مجرى التحسن بل أضحى ذلك عاملا جديداً في استنهار الفتق وتضاعف الضيق واتساع الخرق واشتداد حلقات الضنك على حضرة الباب وصحبه وأفضت الامور أولا الى التزام الصحب واجب العود الى خطة مقابلة القوة بالقوة والدفاع عن أنفسهم وتضحية أرواحهم في سبيل الامر ، وأخيراً الى شهادة الباب

ولم يكن حضرة الباب مهتما بأمور هذه الدار الفانية التي هي محض الغرور ، بل كان في كل حين على أتم أهبة لمفارقتها ، ومنذ دخوله الى قلعة ماكو كان مشغولا بترتيب كتاب البيان الذي صار المرجع الوحيد لأمور الاصحاب ، فعين فيه مقام حروف الحي والمرايا والادلاء والشهداء ، ثم عهد بحقوق التذييل على كل ماأسسه بنسخ أو تأييد الى (من يظهره الله) واشترط في اعتبار ماوضعه من

الاحكام والشرائع أن تحوز توقيعه وامضاءه ، ومابقى من الاحكام اللازمة أناطها بمن يظهره الله

وبالجملة فان حضرة الباب كان متوجها بكليته الى بهاء الله الذي وضع اسمه في أم الكتاب وعبر عنه (بمن يظهره الله) ، وأمر كل من أذعن لدعوته بوجوب طاعته والاخذ بآداب الانقياد لارادته

وبعد أن أتم حضرته كل هذه الشئون أخذ يمعن في الانقطاع عن الدنيا شيئاً فشيئاً مبدياً ارتباطه بالجمال الابهى ، وكان ورده هو ذكر اسمه ، وغذاء روحه في سجنه التحدث به ، ولبث على الدوام والاستمرار يترنم بترديد هذه الجملة (يا سيدنا الاكبر ، يابقية الله ، قد فديت بكلي لك وما تمنيت الا القتل في سبيلك والسب في محبتك)

ورتب كتاب البيان على تسعة عشر واحداً وقسم كل واحد الى تسعة عشر باباً ووصل في كتابته الى الباب التاسع من الواحد التاسع ، وترك كتابة البقيـة الى الظهور اللاحق أي الى حضرة بهاء الله

ولم يكن المرمى من ذلك والمغزى إلا التنويه بأن ذينـكم الظهورين ليسا الا ظهوراً واحداً لاينفك أحدهما عن صاحبه أصلا

أما حضرة بهاء الله فانه (كما سيمر بك في الجزء الثاني من هذا الكتاب) قد اكتسب شهرة عظمى واهميـة كبرى لدى

الانظار ، ولقد شاع وذاع ذلك بين القاصى والداني وعرف لدى الجميع (سواء المقبلون والمدبرون) بالمقام الاسمى الاسنى ، والمنزل الاوحد المستثنى وانه هو نفسه الذى أشير اليه فى جميع كتابات الباب ، ولما كان لحضرته من الآثار الفعالة والكلمة النافذة بين البرية ، ومن الجلالة والوجاهة والوقار ماهو معلوم عند العموم ، أحاطت به جميع الاخطار التى كانت محدقة بحضرة الباب ، لذلك نهض لفيف من كبار الاصحاب الذين وقفوا على أن مصير حضرة الباب الى الشهادة وخشوا على حياة حضرة بهاء الله فكتبوا عريضة رفعوها الى حضرة الباب ، وهو إذ ذاك في سجن ما كو ، يتقدمون اليه فيها بأن يتخذ التدابير اللازمة لتحويل الانظار عن بهاء الله حتى تصان حياته وتنجو من الاخطار ، ولكن حضرته لم يجبهم على ذلك الغرض بالفعل الا في أواخر أيامه بما كو وجهريق ، ففي تلك الايام الاخيرة بدت آثار تلك العريضة إذ وضعها حضرة الباب في حيز العمل ، وكانت الخطة التى رسمها لحفظ بهاء الله هي ان لقب (ميرزا يحيى . الاخ الغير الشقيق لبهاء الله) بألقاب الازل والوحيد والمرآة ونعته بتلك النعوت والسمات ثم أمر بعض الاصحاب بأن يشهروا اسمه بين عامة الصحب لتتحول الانظار نوعاً اليه ، بيد انه مع هذا لم يهمل مايجب ويلزم من التحفظ لكي لايتمكن ميرزا يحيى هذا من الادعاء لمقام الاصالة . وذلك انه لم يعطه ألقاباً صريحة من مثل الشمسية والمظهرية والمختارية بل أعاره

ألقاباً ذات معنيين متباينين ككلمة (وحيد) فانها تفيد معنيين متناقضين (الوحيد في الايمان . والوحيد في الطغيان)

وعلاوة على ذلك ان حضرته أبان في كتاب البيان الذي هو المرجع الوحيـــد ، وفي كثير من التوقيعات عن لقب المرآة وقال (لايمكن للمرآة التجلى الا في ظل من يظهره الله) يعني بذلك ان ميرزا يحيى اذا استقبل شمس ظهور من يظهره الله وأقبل عليهـا يكون كالمرآة التى تواجه الشمس فتصبح مضيئة نورانيـة تحكي بنورهـا نور تلك الشمس ، أما اذا انحرفت عن سمت الشمس فانها تمسى جماداً ومثالا للظلام ليس إلا

وبالجملة فان النتيجة التى أتت بها تلك الترتيبات ان حضرة بهاء الله أضحى في مأمن من الخطر والضرر بانصراف الانظار عنه ، وان جرت وراءها (أى هذه التدابير) أن تحركت بميرزا يحيى المطامع والاماني وأخذ يطمح الى مقام الرفعة والتعالي ، وكل هذه الشئون والامور جرت بينما كان حضرة الباب في ما كو وأ كمل بعضها وتممـه وهو في جهريق ، وهكذا سارت الاحوال وجرت الشئون في مجراها ، الى الوقت الذي نفذ فيه حكم الجلد على حضرته بتبريز .

ومن ذلك الحين ظل حضرته مرتقباً ساعة الشهادة التى تكلم هو بنفسه عنها مراراً وتكراراً وأعرب عنها كناية واشارة ، ولمـا أحس بدنو الميقات لم يكتف بمـا كتبه في كتاب البيـان وسائر

التوقيعات من الاخبار عن الظهور اللاحق والانباء بظهور (من يظهره الله) بل قبض على زمام اليراع كرة أخرى ورقم لوحاً مطولا بخط جميل في غاية الرقه واشتق فيه من كلمة بهاء الله ثلثمائة وستين اشتقاقاً وأودعه جعبة ووضع معه فيها دواته ومقلمته وخاتمه وبعض الآثار ، وأرسلها الى ملا باقر الذي هو أحد حروف الحي لايصالها الى معتمده الوحيد ملا عبد الكريم القزويني وأمره بتقديمها الى حضرة بهاء الله . أما مفتاح تلك الجعبة فان حضرته وضعه طي ظرف وبعث به رأساً الى الحضرة وفي ختام هذا العمل جلس ينتظر القضاء السماوي وبروز السر المستتر من ضمير الغيب والكتمان الى باحة الشهادة والعيان .



كتاب البيان

أبنا في سالف المقال ان حضرة الباب وضع كتاب البيان ورتبه على تسعة عشر واحداً، وقسم كل واحد الى تسعة عشر باباً، والآن نقول :

ان أبواب هذا الكتاب تكون إذن من حيث الجملة والمجموع ثلاثمائة وواحداً وستين باباً ، وهذا العدد ينطبق على مجموع أعداد حروف كلمة (كل شيء) اذا استخرجت بحساب الجمل ، وقد خصص حضرته الواحد الاول لنفسه ، والثمانية عشر واحداً الباقية لكبار أصحابه لكل منهم واحدا ، ولما كان حاصل جمع أعداد حروف (حى) اذا استخرجت بحساب الجمل ثمانية عشر لذلك سمى أصحابه المشار اليهم (حروف حى) ونسب انتشار الحركة الروحية ونفخ الحياة الايمانية التى برزت وظهرت تحت ظل البيان الى تلكم الاصحاب ، ولكن حضرته لم يكمل بقلمه كتابة جميع هذه الابواب ، وانما تمم كتابة آحاد ثمانية ، وتسعة أبواب من الواحد التاسع فقط تاركا كتابة البقية الباقية

ويتضح لكل من يطلع على كتاب البيان ويتصفح ما كتبه الحضرة ، ان حضرته عهد بمهمة اتمام بقية الكتاب الى حضرة بهاء الله وكذلك كل من طالع كتاب البيان ودرسه بامعان وسبر غور مطالبه ، تبين له ان الكتاب لا يرمى الى تشريع كامل مستقل

بنفسه ولا الى أحكام قائمة على حدة دونت لتقوم باحتياجات أمة في دورة كاملة من دورات الزمن ، وانما يفهم منه أمران (الامر الاول) حل نظريات اعتقادية اسلامية ، ومشكلات مهمة أصولية من مثل (الرجعة) و (الساعة) و (القيامة) و (الحياة. والموت) و (الجنة . والنار) ونحوها . وغير خاف ان هذه المواضيع من حيث التفسير والفهم كانت منذ القدم موضع مباحثات علماء الاسلام ومجادلاتهم ومنشأ اختلافهم في الرأى ، مثال ذلك ان جمهوراً فهموا من القيامة أنها هي حشر الموتى بأجسادهم الاولية بعد قيامهم من هذه الاجداث الترابية ، وذهب آخرون الى تفسيرها بظهور المهدى المنتظر واحتشاد الناس تحت لواء أمره ونيلهم الحياة الايمانية من الايمان به والايقان بصدقه والتخلق بالاخلاق الفاضلة الالهية وكذلك اختلفوا فى معنى الرجعة فذهبت قبائل الى انها عبارة عن رجعة الائمة السابقين بأجسادهم ، ولم تزل هذه القبائل تتصور ذلك الى اليوم ، وآخرون توصلوا الى خرق حجب الظواهر واماطة البراقع عن وجوه الحقائق والسرائر واعتقدوا ان المغزى من الرجعة هو رجوع الآثار والصفات التى كانت كالمعنى الذى يفهم من قول القائل عند امتداحه فتى بالشجاعة — ان فلاناً رجعة رستم [1]

---

(١) رستم هو فارس شديد البطش تضرب به الامة الفارسية المثل كعنترة بن شداد عند العرب

وبالاجمال فان حضرة الباب فسر المسائل التى هى معارك الآراء ومصادم الاهواء بين علماء الاسلام كالتى من قبيل تلك المذكورات ، في كتاب البيان ، وفيه أبان ان ظهور حضرته هو يوم القيامة واشبع رجعة الصفات والآثار شرحاً وكشفاً

(وأما الامر الثاني) من مفهومي كتاب البيان فهو مسألة (من يظهره الله) وهذه المسألة بل هذه البشارة العظمى هى أس أساس مواضيع البيان ، حتى لم يكن من بين مسائله المندرجة في أبوابه مسألة أخذت اهتماماً في التوضيح كهذه المسألة ، لاغرو وقال عنها حضرة الباب إنها ثمرة جميع الاحكام ونتيجتها وغاية المسعى ، ومن أجل إعداد النفوس وتأهيل العقول لقبول دعوة (من يظهره الله) كان حضرته يبذل سعيه وجده ، ولبث سائراً في سبل الكد والاجتهاد يعتنى بتربية الامة ، وتثقيف ألباب رجالها وتقويم أفكارهم حتى لايغرروا بأنفسهم ويعرضوها للحرمان من معرفة هذا السيد المقصود ، ويستدل من أوضاع كتاب البيان ، ومما أقسم به حضرة الباب من الايمان بمن يظهره الله ومن عدم اتمام الحضرة للكتاب وبقائه ناقصاً ذلك النقصان ، ومن اسناد تتمته لارادة من يظهره الله ، على ان حضرة الباب أقر واعترف انه هو نفسه مؤمن موقن بمن يظهره الله ، ويوجد لهذه الادلة نظائر كثيرة تدلنا على ان الظهور الذي كان يشير اليه حضرة الباب ، والذي كان الملحظ الوحيد لنظره ليس ظهوراً يتوقع بعد مرور ألف أو ألفين

من سني الزمان وعلى ان الحضرة كان ينظر الى شخص صاحب الظهور كموجود وبعد ظهور نفسه مع ظهور من يظهره الله ظهور توأمين حاصلين في زمان واحد ، وجعل يأمر أصحابه وأتباعه بالايمان به ضارباً لهم المواعيد للتشرف به والحظوة بخدمته

وبالجملة فان حضرة الباب لم يستعمل الرمز والكناية في التعبير عن الظهور الابهى الا لحفظ وصون كيان البهاء ووجوده وفي الحقيقة كان مراده الوحيد من كتاب البيان ، ومرامه الفريد من جميع التوقيعات ، ومقصده من تضحية نفسه ، وتقديم حياته على مذبح الشهادة هو التفاني في خدمة ظهور (من يظهره الله)



حروف الحى

وهنا يجدر بنا ان نأتي على ذكر اسماء حروف الحي حسبما ذكر في البيان انجازا لسابق وعدنا بذلك فنقول :

حروف الحي كناية عن ثمانية عشر انسانا (١) الاول جناب الحاج ملا على محمد البارفروشي الملقب بالقدوس وهو الذي أتينا على ترجمته في الوصول السالفة (٢) الثاني جناب ملاحسين البشروئي الملقب بباب الباب والذى سبق لنا أيضا شرح حاله وما وقع له من الوقائع (٣) والثالث جناب آقا محمد حسن أخوه (٤) والرابع جناب آقا ميرزا باقر الصغير ابن خاله (٥) والخامس جناب ملا على البسطامى الذي كان الواسطة في اهتداء الحاج سيدجواد الكربلائى الى فردوس الايمان ورقيه الى الملكوت وصاحب اليد البيضاء في نشر الامر واعلاء كلمته بقطر العراق العربي وقد سبق لنا الافصاح عن شذرة من ترجمة حياته (٦) والسادس السيدة قرةالعين الطاهرة التى سبق لنا شرح بعض أخبارها وسنأتي على بقية ترجمتها في مستأنف الكلام (٧) والسابع جناب الشيخ محمدابدال الذي أودعنا ذكره طي وقائع قزوين (٨) والثامن كاتب وحي الحضرة جناب اقا السيد حسين اليزدي بن آقا السيد احمد (٩) والتاسع جناب ميرزا محمد روضة خوان اليزدى [1] (١٠) والعاشر السيد سعيد

(١) روضة خان بمعني قاريء الروضة : والروضة هى عبارة عن مراثى تقرأ من أجل واقعة كربلاء

الهندي (١١) والحادي عشر جناب ملا محمد الخوئي(١٢) والثانى عشر جناب ملا خدابخش القوجاني المعروف بملاعلى الرازي لغزارة علمه وسعة اطلاعه وقد استشهد أحد أنجاله ببلدة قاين التى كان حاكمها اذ ذاك مير علم خان (١٣) والثالث عشر جناب ملا جليل الارومى الذى أنبأنا بشأنه وما وقع عليه من الضرب عند وروده على قزوين حينما كانت الطاهرة بها (١٤) والرابع عشر جناب ملا باقر التبريزي الذى حمل الى ملا عبد الكريم القزوينى جعبة حضرة الباب لتوصيلها الى حضرة بهاء الله وهو ممن وعدهم حضرة الباب بلقاء (من يظهره الله) ولما تشرف بحضرته تحقق له عيانا صدق الاقوال التى سمعها من حضرة الباب وعرف انه المراد بكلمة (من يظهره الله) فآمن به وعاش بعد لقائه لمحة من الدهر(١٥)والخامس عشر جناب ملا يوسف الاردبيلي الذى نوهنا بذكره في غير هذا الموضع (١٦) والسادس عشر جناب ميرزا هادى القزوينى (١٧) والسابع عشر شقيقه ميرزا محمد على القزوينى وقداستشهدالاخوان في واقعة قلعة الطبرسى (١٨) والثامن عشر جناب ملا حسين البجستانى الذي لم يستطع صبرا على احتمال انتقادات العلماء والاحبار بعد شهادة الباب حتى ضعضع ذلك من رسوخه وأوهن من جلده ولما سئل عن ذلك قال مجيبا : (انتى لم أكن جديراً بان اعد من حروف الحي لان هذا المقام فوق كفاءتي وجدارتي)

وهؤلاء الآحاد الامجاد والافراد الاوتاد تشرفوا جميعاماعدا

الطاهرة بلقاء حضرة الباب ونظروا باعينهم تلك الطلعة النورانية العليا وسمعوا بآذانهم نغماته اللطيفة الشجية والحانه البديعة الشهية فنهضوا بأعلى همة الى خدمة أمره واعلاء كلمته منجذبين الى ذلك انجذاباً عجبا وفدوا بانفسهم في سبيله . أما قرة العين الطاهرة فانها رغماً عن طرقها ما طرقته من الابواب للوصول الى حضرة الباب والاحتظاء باللقاء لم يتح لها ذلك لان موانع حالت بينها وبين هذه البغية وكل ما علمته وعرفته عن الامر وصاحبه كان صادرا عن قوة ذكائها وذوقها وشدة ولوعها وشوقها بما طالعته واطلعت عليه من بيانات الحضرة وتوقيعاته المباركة



اصدار الامير الكبير ميرزا تقي خان امره

بقتل حضرة الباب

واعتذار حاكم تبريز الامير حمزة ميرزا عن تنفيذ أمره

يجب ان نقول في فاتحة الكلام عن هذا الموضوع وقبل الخوض في عبابه ان حادثتي مازندران وزنجان كانتا من جملة الاسباب التي أكدت لدى الوزير الكبير ميرزا تقي خان وجوب اصدار الامر بقتل حضرة الباب ، نعم سبق من هذا الوزير أن جهر بوجوب قتل الحضرة من قبل ان تقع أية واقعة من هاتيكم الوقائع ولكن لم يكن جهره هذا الا لما تصور انه اذا أقدم على ذلك أرضى سواد الشعب واكتسب ميل العلماء فتثبت وزارته ويتوطد له السيطرة والحكم طول حياته

ومع هذا لبث حيال هذا الامر متخبطا وصار يقدم رجلا ويؤخر اخرى ، وبينما كان على هذا الحال من التردد والارتباك والاضطراب اذ وقعت وقعات مازندران وزنجان وكشفت الايام عن استبسال الاصحاب في الدفاع والنضال مما أخذ بالابصار وبهر الانظار ، وترك مركز السلطنة والوزارة في حرج ووجل واندعار هنالك شدد من عزيمته واكد من نيته وقر رأيه على وجوب الاعدام فقام مسرعا دون ان يستصدر أمراً شاهانياً ويتقاضى أمراً سلطانياً

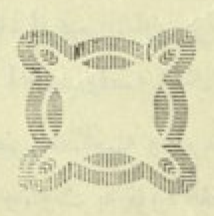
وكتب الى حاكم تبريز الامير حمزة ميرزا مرسوما يقضي بقتل الحضرة منيطا تنفيذ هذا التكليف بالحاكم المذكور قائلا له : (يجب ان تستحضر الباب من قلعة جهريق الى مدينة تبريز وبعد صلبه تنفذ فيه حكم الاعدام رميا بالرصاص امام جماهير الناس حتى تسكن هذه الفتنة وتخمد هذه القلاقل والمشاكل ولا يبقى لها من أثر فيما بعد)

ولما كان الامير حمزه المذكور رجلا ميالا الى العدل والنصفة سليم القلب حسن الظن بحضرة الباب لم يرقه ان يباشر عملا كهذا ورآه متنافياً مع شرفه فاستهجنه وقام ففاوض ميرزا حسن خان شقيق الوزير الكبير في هذا الشأن مفضياً اليه برأيه مخاطباً له بقوله (لقد كنت على حسن ظن باخيك الامير ، ولكن خاب ظني وطاش أملي حيث كلفني ان أقوم بعمل تافه سهل المنال لا يصعب على أقل جندي من الجنود ولا على أي فراش من الاوباش النهوض بتنفيذه وما كنت أتوقع من همة حضرته الا ان يأمرني بفتح حدود بلاد الروم أو محاربة الروس وأمثالها من الدول العظام)

وسيعلم القارىء مما سنتلوه على مسامعه في مستقبل القول ان احجام الامير حمزة وتنصله عن القيام بتنفيذ الامر بقتل حضرة الباب كان عن سلامة ضمير نحو الحضرة وحسن اعتقاد له فيه ، وكيفما كان الحال فان ميرزا حسن خان أرسل الى شقيقه الوزير الكبير يعلمه باعتذار الامير حمزة وتنصله عن تنفيذ أمره ويعرض

عليه تطوعه طالباً منه ان يرسم الخطة اللازمة التى يجب السير على مقتضاها ليقوم هو نفسه بالتنفيذ والامضاء ، فلما علم الوزير بذلك وغدا شاعراً بما هنالك أرسل أمره القاضى بقتل حضرة الباب الى شقيقه المذكور واسند اليه امر التنفيذ قائلا له : (يجب احضار السيد الباب من جهريق الى تبريز والاستحصال على فتوى شرعية من العلماء الاعلام بجواز قتله وعقيب الحصول على الفتوى يجب صلبه واعدامه رميا بالرصاص)

فبناء على هذا الامر ورغبة فى التبرع بتنفيذه أرسل ميرزا حسين خان من أتى بالسيد الباب ومن معه من جهريق الى تبريز وأمر بسجنهم وايداعهم تحت المراقبة فى مكان حصين الى ان يتم له الحصول على فتوى العلماء بشرعية هذا المشروع وصحة ذلكم الحكم



مجلس الامير حمزه ميرزا

والتقاؤه بحضرة الباب سرا

كان للامير حمزه ميرزا (كما قدمنا) حسن ظن وسلامة نية نحو حضرة الباب ، ثبت ذلك من العدد العديد من الشواهد التي يجمل بنا ان نأتي على ذكرها ولكن بما أنها وافرة الكثرة يطول المقام بتعدادها لذا نجتزي، بحادثتين من الحوادث التي وقعت لحضرة الباب في تبريز اذ هما من عداد تلك الشواهد

(الحادثة الاولى) في خلال ما كان حضرة الباب سجينا بقلعة ما كو كتب توقيعاً الى أحد علماء تبريز وأمر شابا نجيبا من اسرة شهيرة بتبريز يدعى ميرزا محمد على الزنوزي بحمل التوقيع الى هذا العالم فقام الشاب من وقته وساعته وتحرك نحو تبريز ، ولما القى بها القدم أخذ يسأل عن ذلك العالم الرفيع الشان حتى دل عليه فلما حضر لديه سلم اليه التوقيع فتناوله المجتهد وفضه وأخذ يتلو ما رقم به ، فما أوشك ان يطلع على بعض مضامينه ويقع نظره على امضاء حضرة الباب حتى تغير مزاجه وثارت به ثورة الغضب وكاد يتميز من الغيظ ووصل به التهيج والغليان ان أمسى في حالة من جرع السم الناقع وبدون ان يمضى فى تلاوة التوقيع الى نهايته أو يفكر فى معانى عباراته اندفع يوسع الرسول شتما ولعنا ثم أمر خدمه وتبعه فألقوا

القبض عليه وساموه هائل الضرب والسب والطعن واللعن ، وبعد ان أشبعوه عقابا وعذابا ساقه المجتهد بقيادة نفرين من حاشيته الى سراي الامير وطالبه بقتله بعد القصاص والتنكيل . ولكن الامير أمسك عن اجابة طلبه رغما عن لجاجه والحاحه ، وكان جل مافعله أن امر بسجن الرسول المذكور ارضاء لخاطر المجتهد وكما نفمه اما الحادثة الثانية التى كانت شاهد عيان وبرهنت على حسن ظن الامير بجناب السيد الباب فهى كما يلى :

حينما جاءوا بالحضرة من جهريق الى تبريز للمرة الاخيرة وزجوا به في السجن مكبلا بالسلاسل والاغلال مع ميرزا محمد على المذكور وآقا سيد حسين كاتب الوحي اعطى سمو الامير حمزة أمرا مبرما يقضى باحضار السيد الباب الى داره ، وما كان منه هذا الطلب الا اشتياقا لرؤيته وميلا الى لقائه بعد ان اطلع على ما اطلع عليه من بعض كلم الحضرة ، ولقد أعد الامير استعدادا فخما بما أقام من أفخر أنواع الزينة في غرفة الاستقبال وما علق بها من المصابيح العديدة التى سطعت بالانوار العظيمة فأنارت الغرفة أيما إنارة ، وبما وضع من أجمل وأثمن أنواع الاثاث من حراير ورياش ونحوها حتى أصبحت الغرفة نزهة الناظرين ، وبعد ان أتم كل استعداد أتوا بالحضرة في خفية ليلا ، وصحبته ميرزا محمد على والسيد حسين كاتب الوحي ، ورغما عما كان على الحضرة من الثياب الخلقة التى البسه اياها مأمورو الحكومة بعد ان نزعوا عن رأسه العمامة التى كانت رمز

السيادة وعوضوه عنها قلنسوة كانت من ملابسهم حال النوم. واخذو جبته المعروفة (بالقباء) وعوضوه عنها ثوباً خلقاً ممزقاً قصد الاهانة والتحقير. رغما عن ذلك خف الامير الى باب الغرفة لاستقباله وأخذ بيده مقدماً له نفسه في حال السير وأجلسه فى صدر المجلس

وبعد ان اطمأن بهم المقام وأدى الامير لجنابه كل تجلة وتبجيل واحترام تقدم الامير الى الحضرة وهو في كمال أدب وسأله بكل لطافة وظرف (أيها السيد الجليل ما هذه الحالة التى أقتموها على ساق وقدم) فأجابه الحضرة : ان هذه الحالة هي نفس الحالة التى برزت الى عرصة الشهود عند ظهور جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبله عيسى بن مريم وهكذا حال كل ظهور من الظهورات حتى الظهور الاول البديع ، وانني لم آت عملا اداً ، وما ارتكبت خطيئة وجل ما هنالك انى قمت بما يلزمنى من واجب ولم أكتم الاوامر التي أمرت من جانب الحق سبحانه وتعالى ان ابلغها الناس بل وضعت كل شيء فى موقعه من الاجراء والعمل على ان الذين كانوا ينتظرون الظهور بدلوا الجهاد والاجتهاد في هذا السبيل بالعناد والتعليل ثم قاموا يسعون الى سجنى واناله الاذية بي (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)

فطلب منه الامير برهانا على صدق مدعاه فأجابه بعين الجواب الذى اجاب به العلماء في مجلس ولي العهد وقال : (ان برهان الوحي والالهام هو الظاهر في كلماتى الفطرية التى هى آيات فطرية).

ومن البديهيات التي لا مراء فيها ولا امتراء ان اخصام الحضرة أشاعوا من المفتريات والمختلقات في حق الحضرة ما أشاعوا بغية التفنيد والتكذيب لمدعياته وصد الناس عن قبول أوامره والاصغاء اليها ومن جملة ما قالوه — ان الخطب الارتجالية التى كان يلقيها حضرته والبيانات التى كان ينطق بها دون تفكر ولا تلكؤ ماهي الا كلمات حررها من قبل وحفظها عن ظهر الغيب وصار كلما اقتضى الحال أمراً يجيء منها بما يناسب وقت الاقتضاء ، هذا ما قاله معشر وأشاعه حتى اعتقده بعض الناس وذهب القول بمعشر آخر الى ان كل ما كان يقوله الحضرة ويفوه به هو غلط وشطط أو جمل لا محصول لها ولا معنى تحتها بيدان الاصحاب والاحباب كانوا يقولون ان أقاويل الناس هذه منبعثة عن قصور ادراكهم عن فهم مرامي تلك الآثار التى هى آيات فطرية وكلم جوامع للمعاني الغزار والمقاصد المعقولة المقبولة وان مثلها مثل الآيات القرآنية من حيث الاصل والاثر ويضربون بالفرقان المثل قائلين : (ان في صدر الملة الاسلامية حينما كانت الآيات تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وبالاخص التى من قبيل (القارعة ما القارعة) و (النازعات غرقا) وأمثالها المتكاثرة كان فصحاء العرب يعدونها من الاقوال المجردة عن المعنى بتاتاً والمفعمة بالاغاليط المتضاعفة وأما المؤمنون فكانوا يعتقدون انها من الفصاحة والرجاحة في الدرجات العلى ومن الافاضة بالمعاني القيمة في الاوج الاسنى

وبالجملة فان الامير حمزة كان من جملة الناس الذين سمعوا بالشيء الكثير عن حضرة الباب وأنبائه وعن خطبه البليغة التى القاها بالعربية والفارسية دون تأمل ولا تكاف وكانت تحمل بين طواياها المعاني العلمية البديعة الدالة على ما لصاحبها من الاذكار السامية والعقل المحيط لذلك صار الامير متشوقا الى ان يمتحن حضرة الباب ليتحقق بنفسه أتلك الخطب كما تقول العلماء يحفظها ثم يلقيها أم هي طبق ادعاء حضرته آيات فطرية تنزل على قلبه وحيا لذلك سأل الحضرة ايها السيد انني استحسن من حضرتكم القاء خطبة تصفون بها هذا المكان وما عليه هذا الايوان من الزينة والانوار كى يتبرهن لنا ان أقوالكم فطرية وا كتسابية وانها بريئة من التصنع والتحضير فأجابه الحضرة الى طلبته وجلس بكمال الجلال والوقار واضعاً يده اليمنى على اليسرى وأخذ يلقى الخطبة التى اقترحها عليه الامير ، وفي حين ذلك كان فى حالة تستلفت الانظار وهيئة تأخذ بالابصار

وبعد ان مضت الاعوام العديدة على هذا الاجتماع روى الامير حمزة فى بعض المجالس هذا الحديث (حينما كان حضرة الباب يلقي الخطبة التى استدعيتها منه كانت جميع أعضائي ترتعش وترتعد من مشهده ولقد نسيت بالمرة ذلك السيد السجين بسجن الدولة والبغيض المضطهد من رجال الحكومة والملة المكتسى بالالبسة البالية والمجرد الرأس من العمامة وكان يظهر أمام ناظري كانه

سلطان ذو عظمة وجلالة وشوكة جلس يعاتب الناس بشهامة لا شهامة فوقها

اجل ان حضرة الباب حينما كان يتلو الآيات كان يتلوها دون تأمل ولا تردد وكان الكاتب سريع القلم يثبت ما يقوله عن قرب الا ان الحضرة كلما رأى الكاتب وقد أخذه بعض التقصير والابطاء تأنى في التلاوة وأخذ في اعادة بعض الجمل والعبارات ، ولقد أجاد فى وصف زينة المكان فى تلك الخطبة المرغوبة ووصفها وصفا شائقا بديعا وجاءت على نمط سورة النور التي هي احدى سور القرآن الشريف وأكبر منها حجما ولا غرو فان زينة تلك الغرفة وما فيها من الزجاج والمصابيح والاضواء العديدة كانت على ابهى ما يرام

وليس يخفى على متمعن ان الفاظ تلك الخطبة وان كانت في ظاهر المعنى متفقة مع ترتيب المكان وأوضاعه الا انها كانت من حيث المعنى الحقيقي ترمي الى ظهور الانوار الالهية والاسرار الربانية في كل كور ودور

وبعد ان أتم الحضرة خطابه طلب الامير من الكاتب تلاوة ما كتبه ولما ان تلاه كان له أعظم وقع فى نفس الامير بحيث لم تبرح ذا كرته طول حياته ، وجعل يرددها على الدوام ويلهج بها . غير ان أمر هذا الاجتماع والتلاقى لم ينته عند هذا الحد ، لان

الوسواس دخل على فكر الامير وخطر بباله ان يعمد الى امتحان آخر للحضرة فتقدم اليه بانه يستحسن ان يسمع منه الخطبة ثانية كى يرى ما سيكون من فرق فلم يخيب الحضرة التماسه وأدار وجهه في هذه المرة الى جهة الكاتب آقاسيد حسين وأمره ان اكتب ثم أخذ يملي عليه وهو يكتب الى أن أتى على آخرها وإثر ذلك قارنوا الخطبتين احداهما بالاخرى فالفوهما متحدتين مآلا ومعنى ، وأما في العبارات فيوجد بينهما بعض اختلاف ، عند ذلك ازدادت الوسوسة بالامير فخاطب الحضرة قائلا : (ياسيدي انني طلبت منكم ان تكرروا عباراتكم الاولى بنصها ولكن بعد ان اعدتموها لحظت انه يوجد في العبارات تفاوت) فاجابه الحضرة : (لقــد نزلت في هذه المرة على هذا النمط) ثم أدار وجهه المبارك وأطرق الى الارض وسكت

ولقد وقع فيما بعد ان أحد مبلغى الامر القائمين بنشر لوائه سمع الامير حمزة ميرزا يروى ببعض المجالس هذه القصة ثم قال فى نهاية روايته (ان هذه الوسوسة هي التى سدت على طرق الجزم فلم أقدم على قبول هــذا الامر ولا على رفضه) فأجابه المبلغ المذكور (لو ان حضرة الباب أعاد العبارات بعينها دون تغيير ما في اللفظ لعن لسموكم وسواس آخر فقلتم (اذا كانت هذه الكلام آيات سماوية فلماذا تكون طوع ارادة الناس ولماذا لا يبدو فيها تغيير بل لتراءى لظنكم ان الحضرة سبق له ان كتب شيئا مشابها لسورة

النور واغتنم هذه الفرصة فتلاه في حضوركم ولكن اذا رجعنا الى الحق نجد انه لا بد من ان يكون هناك تغيير في بعض العبارات والالفاظ ،ولا يخفى على سمو الامير ان المرء اذا استسلم لوساوسه وأوهامه وأرخى لها العنان لوجد امامه متسعا هائلا ولتاه في واد من الظنون لا قرار له ، وهنالك لا يتسنى له الوصول الى مقصود بدا ولن تنتهي به الافكار الى حقيقة واضحة فيصبح ومثله مثل بعض السوفسطائيين الذين هاموا وراء التصور والخيال فحكموا على كل شيء بالنفي والبطلان

والخلاصة ان الامير من جهة لم يصل الى مورد الايقان والايمان ، ومن الاخرى لم يتغير حسن ظنه بالحضرة بل شيعه الى باب المنزل وودعه بكل اجلال واكرام ، ثم قفل راجعا وهو غريق في لجة الحيرة والاندهاش وبقى أمد أيامه ملتزما جانب الصمت والسكوت لا ينبس في حق الحضرة بكلمة لا ايجابا ولا سلبا

﴿ ميرزا محمد على الزنوزي التبريزي ﴾

قبل أن ننبيء حضرات القراء كيف تطلبت الحكومة ميرزا محمد على المذكور وسجنته مع حضرة الباب وكيف نال كأس الشهادة مع ذياكم الجناب يجب علينا ان نوافيهم بما أحطنا به خبرا من ماضى أحوال هذا الشاب

كان محمد على المذكور وشقيقه الاكبر (ميرزا عبد الوهاب) من نجباء مدينة تبريز وخيرة رجالها المعروفين بالتقوى الموصوفين بالزهد والورع ، وقد وقف كلا الاخوين الشقيقين على دلائل هذا الامر وبراهينه الحقيقية فاصبحا أصدقاء رفقاء لاصحاب حضرة الباب

غير ان الاخ الاكبر ميرزا عبد الوهاب كان ميالا الى الدنيا وملاذها يصبو الى خدمة النفس وأهوائها ، لا غرو لم يسر بقدم ثابت في هذا السبيل الصعب ، على ان شقيقه الصغير ميرزا محمد على بمجرد اطلاعه على الامر أبدى من ثبات القدم والاستقامة والتفانى والانقطاع ما أدهش الناس وأوقعهم في الذهول والانبهات وقد تشرف بخدمة حضرة الباب فى ماكو وجهريق حسبما أشرنا اليه فيما سبق ، وكان هو الرسول الذي حمل توقيع حضرة الباب الى مجتهد تبريز ومن جراء ذلك وقع أخيرا تحت السلاسل والاغلال وطار صيته وارتفع اسمه في جميع الاقطار حتى أصبح حديث الرفيع والوضيع من الناس

وفى الايام الاخيرة التى بدأ ظن الناس يزداد تأكدا باقتراب يوم شهادة حضرة الباب وأخذ الجمهور يكثرون من اللغط به . نبض في جسم الشقيق عبد الوهاب عرق الاخوية وحن قلبه الى الحصول على أخيه واستخلاصه من ورطة الهلاك الذى وقع فيه، فكتب الى شقيقه خطابا أوصله اليه وهو في السجن بكل عناء ومشقة وضمن ذلك الخطاب من آيات النصح ما ليس عليه مزيد راغبا اليه في ان يرجع عن هذا المسلك المحفوف بالمخاطر والمهالك وهدده بقرب وقوعه بيد الجلادين فى القريب العاجل ان هو أصر على معتقده هذا ولم يعد الى معتقده الاول ، فأجابه ميرزا محمد علي قبل شهادته بيومين برد وجيز هاك نصه :

(هو العطوف)

قبله گاه[1]

ان أحوالى والحمد لله لا عيب فيها ولكل عسر يسرا ، وأما من خصوص ما تفضلتم بترقيمه من قولكم ان هذا العمل لا فائدة منه ولا عاقبة له ، فأقول لكم . اذن لاى عمل تنسبون الخير والفائدة .

أجل . اننا على رضى عن حالتنا ، ولا يمكننا ايفاء الشكر لله تعالى على انعامه علينا بهذه النعمة العظمى ، وانا لنعلمكم ان غاية

(١) كلمة تعظيم بالفارسية تكتب في مخاطبة الوالد والاخ الكبير والمعلم .

ما في هذا السبيل هو سفك دمائنا فى سبيل الله فيالها من سعادة ، وان قضاء الله سينفذ على عبيده ، ولا راد لقضائه وتقديره ، فما شاء كان ولا حول ولا قوة الا بالله ، اليست عاقبة الحياة الدنيا هى الموت ، وذلك بموجب الآية الشريفة (كل نفس ذائقة الموت) فاذا أدركنى الاجل المحتوم الذى قدره لى الله عز وجل كان هو الخليفة على أولادى ، وأنت الوصى عليهم ، فاجر على النمط الذى يوافق رضاء الله . واني أرجو العفو عن كل عمل صدر من أخيكم الصغير يشتم منه ما هو خلاف الادب نحوكم واطلبوا لي من أهل البيت المسامحة ثم استودعونى الله وهو حسبي ونعم الوكيل

﴿شاهد من شواهد التضحية الصادقة الكاملة﴾

وقبل ان نعود الى سرد حديثنا الاول نختتم هذا الموضوع بهذه الحادثة الصغيرة : كان من المعلوم لدى الخاص والعام من أهالى مدينة تبريز ان ميرزا محمد على المذكور قريب العهد بالاقتران وانه رزق ابنا بهي الطلعة جميل الخلقة . ففى يوم شهادته وحينما ربط مع حضرة الباب جاء أقرباؤه ومعهم الطفل ابنه حتى اذا صاروا على مقربة منه رفعوا الطفل على أيديهم حتي صار نصب عينى والده ظنا منهم ان جمال ذلك الطفل يؤثر في والده ويرجعه القهقرى عن

محبة السيد الباب فيتوب ويتبرأ منه . ولكن الامر جاء على عكس ما كانوا ينتظرون ، فان ذاك الوالد بدلا من ان يتأثر برؤية طفله تبسم ثم أدار وجهه الى جهة أخرى ، ولما يئس أقرباؤه وفشل تدبيرهم أخذوا الطفل وعادوا الى منزلهم بالبكاء والعويل وشق الجيوب . أما من شاهد من الناس عمل ميرزا محمد على فانهم كانوا يعدونه مجنونا ومسحورا



اليوم السابع والعشرون من شعبان

سنة ١٢٦٦ هـ

وليلة الثامن والعشرين منه

بعد ان وصلت أوامر الوزير الكبير ميرزا تقي خان القاضية باعدام حضرة الباب الى يد شقيقه الذى كلف بتنفيذ تلك الاوامر أصدر الخان المذكور امره القاضي باخراج حضرة الباب بملابسه الرثة وصحبه السجناء معه من سجنهم الى احدى غرف ساحة الثكنة، وبعد ان اخرجوا الى تلك الغرفة حسب الامر أقام عليهم حراسا أربعين جنديا من جنود تبريز الارمن

وفي اليوم السابع والعشرين من شعبان سنة ١٢٦٦ الهجرية جاء ميرزا حسن خان المذكور ومعه رئيس فراشيه وأخرج حضرة الباب من سجنه وسلمه ليد الرئيس المذكور آمرا إياه بالتوجه والطواف به على منازل المجتهدين والعلماء ليصدروا الفتوى بقتله ويمهروها باختامهم وارسل معهم أيضا بضعة من موظفي الاتراك لاستلام تلك الفتاوي

وفي ذلك الوقت كان عدد المجتهدين والعلماء في مدينة تبريز نيفا ومائتين ، وعند ذهاب رئيس الفراشين والموظفين الاتراك بحضرة الباب الى بيوت اولئك العلماء لاستلام الفتوي بجواز قتل الحضرة منهم كان جواب الاكثرية الاعتذار والاحجام عن هذا

الافتاء، وكانت اعذار المعتذرين على أنواع شتى منها قول بعضهم (انه ربما كان مجنونا ولا يجوز شرعا الافتاء بقتل المجنون) ومنها قول بعض آخر (ان السيد الباب من اولاد الرسول وبيت آل هاشم)

وكان من بين المحجمين من رفض الافتاء رفضاً باتاً بلا تعلل بعلة ولا تنصل بعذر

وهكذا رفض المعظم من علماء ومجتهدى تبريز الافتاء بجواز قتل حضرة الباب

بيد ان المجتهد ملا محمد الممقانى أقدم على ذلك دون ان يستفتي ضميره ولا يراعى وجدانه وكتب متن الفتوى بنص صريح هذا مضمونه (بما ان حضرة السيد الباب ادعى مقام المهدوية وعمل تغييرات عظيمة فى الفروع الاسلامية لذلك وجب ولزم قتله) ووافقه على هذا الافتاء المجتهدان ملا باقر وملا مرتضى قلى ووقعا على فتواه

وفي أثر ذلك عاد رئيس الفراشين بالحضرة الى سجنه واودعه فيه ثم ذهب الى ميرزا حسن خان وقدم اليه الفتوى التى استحصل عليها من بعض ارباب الغايات ، وبناء على هذه الفتوى المهورة من تلك الاقلية والمفتية بجواز اراقة دم السيد الباب قرر ميرزا حسن خان ان ينفذ حكم الاعدام في اليوم التالى اي في اليوم الثامن والعشرين من شعبان سنة ١٢٦٦ الهجرية وذلك بان يؤتى بالحضرة

من السجن ويعدم رميا بالرصاص .

وقد روى كاتب الوحي آقا سيد حسين هذه القصة وقال (لما أعيد حضرة الباب من الطواف به على منازل العلماء الى السجن اقتربنا انا وشقيقي آقا سيد حسن وميرزا محمد على وجلسنا في حضوره المبارك ، وكان حضرته متغير الحال على خلاف المعتاد غائصاً في بحر عميق من الافكار لذلك لم يجسر احد منا نحن الثلاثة ان يسأل حضرته (ماذا أصدر العلماء في حقه من الحكم ومايقصدون منه) وكان المانع لنا من الاقدام على هذا الاستفهام أمرين أحدهما التغير الذى عرض في احوال حضرة الباب ، والثاني تشدد الحرس في أمر المراقبة ومنعهم ايانا من ان يتكلم بعضنا مع بعض .

وقد لبث حضرة الباب على هذه الحال حتى منتصف الليل ، وكان فى بعض لحظات تلك البرهة يخرج من الغوص فى بحر الافتكار ويتلو بعض العبارات والاشعار ، وطفق من آن لآخر فى طول هذه المدة يأخذ بذلك وقد سمعته في احدى المرار يترنم بترتيل هذه الابيات تاليا اياها الى آخرها وهى :

اما والله ان الظلم شوم ولا زال المسىء هو الظلوم
الى الديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم
ستنقطع المسرة والتهاني من الدنيا وتنقطع الهموم
لأمر ما تصرمت الليالى لامر ما تحركت النجوم

تروم الخلد في دار المنايا فكم قد رام مثلك ماتروم
تنام ولم تنم عين المنايا تنبه للمنيــة يانؤوم
لهوت عن الفناء وانت تفنى فما شيء من الدنيا يدوم

وفي مدينة طهران توفق المؤلف للعثور على صحيفة (ورقة) من آثار حضرة الباب في احدى صفحتيها هذه الابيات وفى الوجه الآخر مناجاة كتبت بالقلم نفسه، ولكن لكثرة تداول الايدى لتلك الورقة عبثت يد البلى بتلك المناجاة من بعض الجهات على أن هذا الأثر النفيس حفظ بان أخذت صورته الشمسية وهي موجودة لدى المؤلف وأما نوع خط تلك الرقعة وحسنه فهو من أحسن الخطوط واتقنها مع تفوق مدهش حتى لاقيمة بالمرة لخطوط الخطاط (مير)[1] الشهير ازاء ذلك الخط ولقد رقم بقلم غاية الدقة، ويفهم من مضمون تلك المناجاة ان حضرة الباب كتبها بقلعة ما كو واليك أيها القارىء ماستثناه الدثور من تلك المناغاة (يا الهى انت ترى موقفي في وسط الجبل هذا، وتشهد على صبرى باننى ما أردت الا حبك وحب من يحبك فكيف انسى طلعة حضرتك بعد مالاارى وجوداً لنفسى في تلقاء مدين عزتك ولكن لما أرى حزنى فى وحدتى وغربتى اناجيك بهذا، لعل بذلك تطلع على ضجيجي امناءك ويدعونك في حقي وانت تجيبهم رحمة وفضلا

(١) مير عماد : هو اعظم خطاط وجد في اواخر السلطنة الصفوية وجميع خطوطه تعد اليوم من الآثار

فاشهد أن لا اله إلا أنت بما أنت عليه من العزة والعظمة والجلال والقدرة من دون أن يلحظ أو يعلم ذلك أحد من عبادك لانك كما انت عليه لن يعرفك غيرك ولا يوصف أحد . . .

فسبحانك وتعاليت ، قلت وقولك الحق (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وأشهد أن محمداً عبدك الذى اصطفيته لرسالتك وارتضيته وانتخبته لمعرفتك وجعلته. . . وأشهد لاوصياء محمد حبيبك صلواتك عليهم بما قدرت لهم فى عوالم الغيب ونعتّ أنفسهم في كتابك حيث قلت وقولك الحق (عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون) اه

ولنعد الى ما كنا بصدده من قصّ رواية كاتب الوحي آقا السيد حسين فنقول ، قال السيد حسين المذكور (لقد طال افتكار الحضرة في تلك الليلة ولبثت حالته على الطراز الذى شرحناه نيفاً وخمسا من الساعات ولما دخلت السحرة ونام رجال الحرس كان ذلك هو الوقت المناسب لينال جسم الحضرة فيه قسطا من الراحة بالمكان الذي أعده له الاحباب الموجودون معه في تلك الغرفة الظلماء ، ولكن حضرته لم يكتحل بنوم ولم يعول على هجعة وهدو ، بل رفع الرأس بغتة بعد ان كان مطرقا الى الارض قائلا وهو في حالة اشجان ممزوجة بالفرح (انهم فى غد سيقتلوننى بهذه المدينة ، فياحبذا لو وجد من يقتلنى هذه الليلة فى هذا السجن انه لو فعل لكان عمله هذا عين الصواب وغاية القبول)

ولم يوشك الحضرة ان يتفوه بهذه العبارة حتى اجهشنا جميعاً بالبكاء من هذا المقال وكربت سرائرنا تنشق، واكبادنا تنفطر وقلوبنا بنار الاسى والجوى تحترق ونفوسنا تخرج من صدورنا، ولما شاهد الحضرة بكاءنا ونواحنا شاطرنا التأثر والاحزان بدرجة بكى هو أيضا معنا، وفيما كان ميرزا محمد على مستغرقا فى البكاء والنحيب وقد أخذ منه مأخذا عظيما اذ نطق بصوت خافت متقطع قائلا للحضرة (ياسيدي اذا صدر أمركم الى فاني اقتلكم طوعا لامركم ومن بعد ذلك اعمد الى نفسي فاقتلها) فعند ذاك أخذوجه الحضرة يبش ويطفح سروراً وابتهاجا لدرجة لم نعهدها فيه منذ أمد بعيد ثم تفضل بقوله (يالسعادة رجل يطيع امر مولاه الى هذه الدرجة أما انك ياميرزا محمد ستقتل فى بكرة غد معي فيجب عليك ان تعترف بايمانك كى تتم الحجة على عموم أهل الاسلام) فتبدت آيات المسرة والبهجة والهزة على وجه الميرزا، أما أنا وشقيقى ميرزا حسن فقد أخذتنا شجون الاحزان والاشجان غير ان الحضرة استمر فى خطابه قائلا لنا (أما أنتما فلا تحزنا ومن الواجب عليكما ان تنكراني حتى تتوفر لكما وسائط النجاة والخلاص فتذهبا وتشرحا ماقاسيته في السجن وما وقع على من الظلم لعموم اصحابى وتقيما البرهان على ان محبوب العالم امضى حياته فى السجن والعذاب وهذا السجن هو ذاك الذي اخبرت عنه اجدادى فى كتب أخبارهم ورواياتهم فشبهوه بسجن يوسف عليه السلام وعدوه من

جملة العلائم المسلمة التى تدل على الموعود المنتظر)

ثم وجه الحضرة كلامه الى (أى الى السيد حسين كاتب الوحي راوي هذه القصة) وتفضل بقوله (أما أنت فانك ستتشرف بالمثول بين يدى « من يظهره الله » فيجب عليك ان تبلغ وصيتى لاهل البيان وتقول ذلك لهم عساهم ان لا يرتكبوا مع « من يظهره الله » ما ارتكبه أهل الفرقان معى

وبعد أن افاض الحضرة بغرائب الاشارات والبشارات المنبئة عن تدانى ميعاد ظهور (من يظهره الله) والمتناولة لموضوعه بدت طوالع السرور والبشر على غرته المباركه بدرجة غريبة أيضاً وقال (أن بظهور من يظهره الله يثبت الدين وتقوى دعائمه ويروج سوقه وتنتشر تعاليمه)

وبهذه المناسبة يقول المؤلف ان الكراسة التى دبجها آقا سيد حسين بخط يده لاتحتوى على ان حضرة الباب فسر كلمة (من يظهره الله) باسم (بهاء الله) ولم يرد بها ذكر لميعاد الظهور بالضبط والدقة بيد ان البعض من التوقيعات المباركة جاء بها مايسفر عن ميعاد ذلك الظهور وميقاته بالتلميح والتقريب فمن ذلك قوله المبارك (وفي سنة التسع كل خير تدركون) ، وكذلك ذكر حضرته في كتاب البيان كلمة (المستغاث) وقال اذا طرح من جمل هذه الكلمة العدد الذي يحتوي عليه كلمات (اللهم واحداً بعد واحد) فان الباقى هو عدد ثمانية عشر وهو رمز لعدد حروف (حي) وتاريخ

ظهور من يظهره الله ، وقد أشار الحضرة أيضاً في موطن آخر من كتاب البيان الى ان ميقات ذلك الظهور الاعظم مساو لعدد (واحد) والواحد هو تسعة عشر كما شرحنا فى كيفية ترتيب ذلك الكتاب .

وقال أيضاً عن الامد بين الظهورين (ولا يصل الى بحر الكاف) يعني . قدس سره . ان المدة التي بين ظهور حضرته وبين ذلك الظهور العتيد ، لاتصل الى العشرين من السنين ، بل هى بين التسع والتسع عشرة وسنأتي فى المواطن المناسبة على شرح كيفية ظهور مصداق كل واحدة من هذه البشارات والاشارات وبروز مضامين هاتيكم الاستعارات والعبارات الى باحات التحقيق والعيان .

نعم اثبت الحضرة اسم بهاء الله فى بعض المواضع من البيان الذى هو الموئل الوحيد في هذه الابحاث وفي محل آخر كنى عن بهاء الله (بنقطة المشية) ، وبالجملة فالاستعارات التى من هذا القبيل تفوق الحصر والحد ، وتتجاوز الاحصاء والعد ، والشواهد التى حتم فيها الحضرة ان ظهور الجمال الأبهى يكون بين التسع والتسع عشرة لاتستقصى ولا تحصى كثرة ، ولقد افصح جنابه بان ذلك الظهور التالى أعلى وأعظم من ظهوره نفسه ، ومنذ اعلان حضرته المهدوية الى حين الشهادة كان رطب اللسان بذكر الظهور الاعظم والتكلم عنه والافاضة بتوضيحه .

اليوم الثامن والعشرون

من شهر شعبان سنة ١٢٦٦ هـ

وشهادة حضرة الباب

وفى غدوة اليوم الثامن والعشرين من شعبان سنة ١٢٦٦ الهجرية المطابقة لسنة ١٨٥٠ الميلادية كان الحكم الذي أصدره ذلك النفر من مجتهدى تبريز قد حان حين تنفيذه وآن اوان ابرازه ، الى عالم التحقق والوقوع فارسل ميرزا حسن خان، رئيس فراشيه الى الثكنة العسكرية ، واحضر السرتيب سام خان مع جنوده الى الساحة المذكورة التى سجن الحضرة باحدى غرفها المعروفة من قديم العهد لدي الاهلين بميدان صاحب الزمان

وبعد ان طاف الرئيس المذكور انحاء البلد وبيده الفتوى معلنا للناس فحواها وماتتضمنه عاد بها راجعاً الى الساحة ، ولم يكد يذيع اعلانه وينتشر بين الملا ، ويسمع به الورى حتى انقلبت المدينة راسا على عقب ، وكثر الهرج والمرج ، لان السواد الاعظم من السكان كانوا يحبون قتل الحضرة ويرون ذلك من الثواب والصواب أما أتباع الحضرة وأصحابه وهم المكونون للاقلية فاصبحوا وقد تملكهم شجى لامزيد عليه ولم يجدوا أمامهم مايسليهم إلا الاعتصام بالصبر الجميل .

وكان هنـاك جمع وقف على الحيـاد التام لايميـل الى هؤلاء ولا الى أولئك ، وكانوا بين الاقبـال والادبار والاقدام والاحجام لذا أمسوا في حيرة وعجب من أمرهم ، ولقد وصلت الحالة والتأثر بالاصحاب الى مايقرب من حالة أصحاب مازندران وزنجان ونيريز ، لـكن لقلة وثوقهم بالوصول الى نتائج مفيدة لم يقدموا على عمل من ذاك القبيل لأن عواقب تلك الوقائع اسكتتهم اضف الى ذلك ان الحضرة لم يشر اليهم أدنى أشـارة يشم منهـا رائحة الامر بالدفاع والنهوض بحركة ، لذلك أمسوا جميعاً صامتين ساكنين كأن رسول الموت يرفرف فوق رؤسهم فالتزموا البيوت والمنازل ، واشـتغلوا باجراء مقتضيات عقائدهم تحت طي التستر والخفاء ، أما سائر الاهالين فانهم أغلقوا حوانيتهم وعطلوا اشغالهم وهرعوا زرافات ووحدانا الى ميدان صاحب الزمان ، ولما ضاقت الساحة بجموع المتفرجين اضطرت فئات منهـم الى الصعود على سطوح المنازل ورؤس الصوامع والمآذن ، وكان عدد الجمع المحتشد يفوت الحصر والعد

وبعد ان تم التجهيز والترتيب وكمل حضور من أراد الحضور والشهود واتخذت التدابير العسكرية هب " رئيس الفراشين ذاهباً الى السجن وتداول مع الصحب المسجونين مع الحضرة فكانت نتيجة التداول أن أظهر له كاتب الوحي وشقيقه الانكار

وأما ميرزا محمد على فانه أراه الثبات على الايمان والاصرار

على الايقان فتخلى الرئيس عن المنكرين ، ومضى بالحضرة ومعه ميرزا محمد على الى الساحة واوقفهما بجوار عمود اعد لصلبهما وكان عمود من أعمدة الساحة قائما الى جنب غرفة السجن ، ثم جاء الفراشون بمسمارى حديد كبيرين ودقوهما فى العمود ، وأتوا بحبلين متينين ربطوا باحدهما حضرة الباب ، وبالثانى ميرزا محمد على ورفعوهما الى أعلى العمود بحيث تدلى رأس محمد على على صدر حضرة الباب .

وكان يتراءى للناظر من بعد أنهما شخص واحد لاشخصان ، ولا غرو فكما تقاربا اسما وعنوانا تشابها خلقا وايقانا حتى اقدما بكل شهامة واستقامة على تضحية حياتهما فى سبيل العقيدة التي ايقنوا بحقيقتها .

وكان يرى بعض المحتشدين الواقفين على مقربة من الشهيدين ان حضرة الباب يحرك شفتيه كمن يلقى خطابا أو يقول مقالا ، ولكن جلبة القوم المحتشد وضوضاؤهم التى ارتفعت من كل صوب وأرب في ذلك الازدحام الهائل حالت بين صدى الصوت وبين الوصول الى آذان الحاضرين .

وبعد أن احكم الفراشون الرباط وشدوا النياط اصطف فوج الارمن ثلاثة صفوف واستعدوا تمام الاستعداد ، وبمجرد ان رأى الجند أول اشارة تأمر باطلاق النار اطلقوا على الجسدين تماماً ئة رصاصة ، هنالك ساد بالمكان السكون والسكوت ، وخشع

الحضور كأن على رؤسهم الطير ، وصار كل امرىء لا يسمع الا دقات قلبه السريعة وخفقانه الدال على الوجوم والوجل والعيون متجهة صوب العمود الذى تلبد حوله غيوم دخان البنادق المتراكم المتكاثف يرغبون ان تخترق أشعة انظارهم الحادة طبقاته ليروا جسدى الشهيدين وماحل بهما من تمزيق أحدثه الرصاص الذي انهال عليهما حسبما ظنوا ، ولكن سرعان ماخاب ظنهم فانه ما كاد الدخان ينجلي حتى بدالهم مالم يكونوا يحتسبون ، اذ عاينوا ميرزا محمد علي وقد وقف بجذع العمود دون ان يصاب باقل اصابة ، ورأوا ان حضرة الباب قد غاب عن الانظار هنالك وقع الناس فى اللغط ، وتملك الاندهاش رجال الحكومة وكثر القيل والقال واخذ كل أمريء يبدى رأيا فى هذا الخصوص ، واننا نتغاضى عن سرد ماقد قيل في هذا الشان من الآراء ونكتفي بسرد حكاية الواقع ونقول ، عندما عاين جماعة الفراشين هذا الحال تفرقوا في اطراف الساحة يبحثون عن حضرة الباب ظنا منهم أنه قد لاذ بالفرار ، وبعد الامعان فى البحث والتفتيش الفوا حضرته جالسا في الحجرة التى كان بها سجينا ، فالقى عليه رئيس الفراشين القبض ثانياً ، وأتى به الى جهة العمود ، وكان جسم حضرته سالما من كل ضرر حتى ان الحبال التى تقطعت اسلمته الى الارض بلا اذى بدليل أنه لم يوجد بيديه ولا برجليه أثر لرضوض

ثم إن رئيس الفراشين حينما أتى بالسيد الباب عندموقع العمود

خشي ان يعتقد الجمهور المتفرج بان واقعة الحال هذه كرامة ابرزها السيد فيندفع بعامل هذه العقيدة الى استخلاص الحضرة فسارع الى ربطه مع صاحبه ثانيا ، وامر الجند باعادة الرمى فاعتذر السرتيب سام خان الارمنى وجنده عن اعادة الكرة الى ضرب الحضرة وصاحبه قائلين (اننا بما قمنا به في المرة الماضية قد ادينا واجبنا اما الآن فقد جاء الدور لغيرنا) ولما كان الموقف حرجا لايتسع لمناقشة وجدل استدعوا ضابطاً آخر يدعى (آقاجان خمسه ئى) مع فوجه العسكرى المعروف (بفوج خمسة) وامروه باطلاق النار على المربوطين .

وقبل ان تطلق الجند النار عاد اللغط بين الناس ، وكثر القيل والقال وتضاربت الآراء والاقوال ، فذاهب ذهب الى القول بان نتيجة الضرب ستكون كالمرة الاولى ، وآخر رفع الصوت متذمرا وقال (ان العادة المتبعة عند كل دولة وامة أن يخلى سبيل المتهم وتبرأ ساحته اذا هو تخلص من الموت على ذلك النمط الذى تخلص به الباب وصاحبه بل ويعلم ان مقيديهم كانوا على خطأ بين وخطل فاحش) وفريق من الناس اعتقد بعظمة حضرة الباب وقدرته وصفاء سريرته .

ولكن كل هذه الاقوال والاراء ذهبت سدى لان الجلبة والضوضاء التى ارتفعت في عنان ذلك الميدان لم تترك مجالا للتفكر والتمعن ولان الخوف والوجل كانا آخذين مأخذهما من الجموع

والاندهاش والاستيحاش ملكا على الناس أمرهم لدرجه كان من المستحيل الممتنع على أى امرىء ان ينبس بكلمة ، وانما كان الكل مستغرقا في هاجس واحد هو انتظار رجوع النتيجة التى كانت من الرماية الاولى بيد ان الامر جاء على خلاف المنتظر ، فبعد ان اطلق الجند الرصاص على الشهيدين وانجابت ادخنة البنادق رأى الحضور ان الرمي قد أصاب المرمى في هذه المرة وان الرصاص مزق صدرى الشهيدين وجسديهما تمزيقاً غير ان وجه حضرة الباب لم يصب بضرر وبقي صحيحاً سليما كما كان على قيد الحياة

ولقد استولى الحزن على لفيف من المتفرجين كقنصل دولة الروس الذى وصل به الى درجة بكى أسفا وأسى من هول وقع هذه الكارثة

أما الشيعة والمدعون لمحبة آل البيت فانهم ضحكوا من هذه القتلة واظهروا الفرح والمرح وليتهم بذلك اكتفوا بل ختموا الفادحة بان قذفوا من افواههم اقذار السباب وأدناس الشتائم

وبعد أن أتم موظفو الحكومة تأدية مهمتهم انزلوا جسدي الشهيدين عن العمود واخذوا يسحبونهما على بسيط الثرى ذات اليمين وذات الشمال ، على صورة وحشية لاتكون من انسان ثم عمدوا الى احد الخنادق فالقوا بهما فيه وكلفوا بحراستهما عشرة من الجنود ريثما ترسم ارادة العلماء مايجب عمله ، وربما كانت

الغاية والبغية من ذلك الابقاء والاحتفاظ هي التشنيع والتمثيل بهما فيما بعد وأمر الناس في اليوم الثاني بان يعطلوا أشغالهم ويرموهما بالاحجار ، وعقب انفضاض الناس من تلك الجهة جاء قنصل دولة الروس وأخذ صورة حضرة الباب الشمسية وبعث بها الى رئاسة حكومته .

الحاج سليمان خان آفشار

كان لقبيلة آفشار العظيمة زعيم من اكابر الزعماء يدعى يحيى خان وله في نظر الدولة والامة مقام سام رفيع ونفوذ عظيم وله ابن من أحسن الشبان جمالا في غاية من الكمال والادب وعلى جانب عظيم من التدين والورع يدعى (الحاج سليمان خان) وكان يشغل منصباً كبيراً في دائرة الحكومة وله المنزلة الفخيمة بين رجالها

وعند ماتناهت الى مسامعه أنباء النداء الجديد اعتزم لقاء حضرة الباب وقد أتيح له ذلك ففيما كان حضرته بقلعة جهريق شخص هذا الفتى اللوذعي الى ذلك الشطر وحظى بحضور صاحب الامر ورقي ذرى الايمان والايقان

ولما كان جناب الباب أقوى أثراً وأشد سلطاناً على الشبيبة منه على الكهول وأهل المشيب لذا أصبح سليمان خان بمجرد ملاقاته لحضرته ووقوع نظره على طلعته ومعاينته لحالاته وشارته واستماعه لبياناته : المحب المخلص لحضرته بدرجة بذ بها والده في ذلك بمراتب وقد توفق اخيراً للقيام بخدمة عظمى ، وفى خاتمة امره وعقبى عهده نال كأس الشهادة على نمط لم يكن له مثيل فى تاريخ البشر من يوم أن خلق الانسان الاول الى هذه الايام ، وانا لنرجىء التكلم على تلك الشهادة الغريبة الشكل ، الى الموضع الانسب ، ونسرد للقارىء تلك الخدمة العظيمة التى أشرنا اليها فنقول

بعـد أن ألقى رجال الحكومة جسدى الشهيدين في احد الخنادق كما ذكرنا وكانا عرضة في اليوم الثاني لافظع الاعمال الوحشية حتى لقد صمم بعض العلماء على احراقهما — شد سليمان خان وسط الهمـة ونهض الى اسـتخلاص الجسدين الطاهرين وايصالهما الى حرز يناسب ايداعهما فيه وصونهما عن تعدى المعتدين وعبث المجتهدين ويمسيان في مأمن من الافعال البربرية .

وهذا الاقدام من ذلك الهمام معلل بأحد امرين ، أحدهما ان حضرة الباب قد أوحى اليه بأن يستخلص جسده بعـد وقوع شهادته وانتدبه لهذه الخدمة وأمره بالنهوض لتلك المهمة . والامر الآخر هو ان انتداب ذلك الفتى المقدام والايعاز اليه بهذا النهوض والقيام كان من قبـل حضرة البهـاء وهـذا القول أقرب الى التصديق والقبول ، وذلك ان سليمان خان كان ممن يعرفون لحضرة بهاء الله مقامه الاسمى ويعترفون بعظمته المثلى ويبذلون له التجلة والاحترام ويعدون طاعته الفرض الحتم والواجب الاقدس ، ومما يعزز أصحية هذا القول وأحقيته ويدل على ان حضرة بهاء الله هو الذى أصدر اليه الاوامر للنهوض بهذه المأمورية هو شـخوص سليمان خان من نفس طهران حيث كان حضرة بهاء الله مقيما وروده على تبريز في ليلة الشهادة نفسها

أجل . ان سليمان خان لم يبال بما أمامه من المخاطر والمعاثر ولم يحجم عن اقتحـام المصاعب وامتطاء أوعر المواطئ للوصول الى

اربه وتنفيذ ارادة مرسله ، وبدخوله الى تبريز مضى توا الى منزل محافظ المدينة الذى له معه سابق صداقة وود قديم وتعارف صميم وكاشفه بسر أمره وفكره قائلا: (ان من الواجب علينا بمقتضى أوامر ديننا أن نقوم على استخلاص جسد مولانا وقد قطعنا العهود والمواثيق على أنفسنا أن نسير فى هذا السبيل لنصل الى احراز جسد زعيمنا أو نقتل ونصير فداء له)

وكان المحافظ رجلا درويشاً محباً لكل الفرق والطوائف يميل الى معاشرة الاقارب والاباعد بلطف وأنس ويرغب فى الوفاق والوئام ، لذا ساعد سليمان خان للظفر ببغيته وأرسل معتمده الخاص (الحاج الله يار خان) مع نفر من أتباعه وأمنائه وأمرهم باستحضار الجسدين وكان (الحاج الله يار) المذكور رجلا شجاعاً رابط الجأش قوي القلب وبطلا مغواراً منقطع القرين لذلك تمكن من الاستحواذ على الجسدين دون أن يصادف في طريقه مشقة ولا معارضة وأتى بهما الى دار المحافظ ، عندئذ صنع سليمان خان صندوقا واودعه الجسدين ثم احتمله ليلا الى حانوت (الحاج احمد الميلانى) الذي كان مؤمناً صادقا ومحبا مخلصا من صميم فؤاده لحضرة الباب وترك عنده الصندوق وديعة ، وكان ذلك الصندوق مصنوعا على طراز الصناديق التجارية التي ترد من بلاد الروس لذا كان من الصعب المتعذر على أي امرىء ان يتكهن بوجود رفات

انسان داخله ، بل كان كل من يراه لايشك فى انه غرارة بضاعة وردت من روسيا

وكان الحاج احمد المذكور الذي وضع عنده الصندوق امانة من أعيان تجار تبريز المشمولين بالحماية الروسية والى الآن اعضاء اسرته الكريمة من اكابر السالكين في سبيل هذا الامر. وقد تقابل المؤلف مع الكثيرين منهم ووجد الكل على جانب وافر من كمال التدين والادب سائرين السير الحسن المشكور سالكين الطريق القويم المبرور

وبالجملة فان هذا الصندوق بقى تحت الحفظ والصيانة في ذلك الحانوت برهة الى أن صدرت الأوامر من حضرة بهاء الله بوساطة زعماء البابية الى الحاج احمد المذكور بارسال الصندوق الى طهران وعلى ذلك حمل الصندوق اليها وعند وصولهم به اودعوه اولا في مقام (امام زاده حمزه) وبقي محفوظا فيه شطرا من الزمان ثم نقل الى مقام (امام زاده معصوم) وحفظ به مدة أخرى ثم أخيراً الى جهة مجهولة وهنا نقفل باب التكلم على الجسد المطهر ونسدل الستار على بحثه الآن مرجئين تتمة الكلام عنه الى الموقع الانسب ونعود الى الابانة عما كان من أمر الخصوم فنقول :

فى صبيحة اليوم الثانى من شهادة حضرة الباب وميرزا محمد علي استيقظ جنود الخفر ونظروا فاذا الجسدان لاعين لهما ولا أثر

فلجأوا الى تمحل الاعذار للخلوص من المسئولية واعتذروا لرؤسائهم بهذا القول:

(في منتصف الليل جاء سرب من الوحوش الضارية وهجموا على الجسدين والتهموهما مع ثيابهما ولم يتركوا لهما من أثر) وما أسرع ماصدق الناس هذا الاختلاق ، فباشاعته قام نفر من الفقهاء والمجتهدين والعلماء وحبذوا هذه الفرية الغير المعقولة ، ثم اعتلوا المنابر وأخذوا يسهبون القول ويضربون على نغمة الجنود هذه واشتقوا منها نصيراً لمدعاهم قائلين (ان السباع المفترسة لا يمكن ان تفتك بجسد الامام وتأكله ، فبما قد ظهر بطلان ما يدعيه الباب ظهور الشمس في رائعة النهار واننا معشر المجتهدين نؤكد ونثبت نهائيا ان الامام (اى المهدى المنتظر) لايزال باقيا خلف حجب الغيب دون مرية ولاشبهة كما ان الانسان لايقدر ان يشك في النهار عند طلوعه ، فمن من الكفرة الآن يمكنه ان يفتح فاه لاجل التشكيك والتضليل ، أم أى مرتد كافر يجسر ان ينطق بكلمة عن أمر ظهور الباب) هذا ما كان من أمر المجتهدين ، أما اذكياء القوم واكياسهم فلم يخدعهم هذيان الجند بادعاء أكل الوحوش للجسدين بل لازموا اليقين بان الوحوش لايمكن ان تأكل الجسدين مع عظامهما وملابسهما في هنيهة قليلة من ليلة واحدة وبالاجمال والاختصار فان الآراء تضاربت في هذا الشان وذهبت بالناس مذاهب شتى فكنت تسمع من كل حنجرة صوتاً ومن كل

فم قولا ، وكنت ترى من كل جهة توهمات الناس وافتراضاتهم البعيدة عن الحقيقه في ازدياد واتساع . وان المستر جاكسن الاميركي ذهب الى ان البابيين سرقوا الجسدين ودفنوهما في جهة مجهولة ، ويجمل بنا ان نختم هذا الفصل بترجمة شذرة مما جاء في كتاب هذا المؤرخ المتجول ، ونعود في الفصلين التاليين لتتميم البيان عما كان من أمر هذين الجسدين المطهرين



مقتطف من رحلة

المستر جاكسن الاميركي

جاء في الصفحة الثامنة والاربعين من النسخة الانكليزية لرحلة المستر جاكسن المذكور في خلال وصفه لساحة تبريز التي استشهد فيها حضرة الباب ماترجمته :

(لقد استشهد الباب الذي هو مصلح البلاد الايرانية في اليوم التاسع من يوليو سنة ١٨٥٠ ورأيت المكان الذي وقعت فيه هذه الشهادة ، كان للباب مسلك ديني خاص ترمي تعاليمه الى توحيد العالم وهي في أعلى درجات الاخلاق الروحانية .

اجل ان كلمة الباب والبابية تعد لدى الايرانيين كفرا ومحض كفر ، ولكن رغما عن ذلك فان كل الذين كانوا يمقتون استقلال العلماء في الرأي واستبدادهم بالحكم مالوا الى الباب واندرجوا تحت لواء شرعته ، وفي برهة قصيرة التف حوله جمع عظيم وجم كبير من الناس ، وان مبادئه هذه لم تقتصر على بسط نفوذها في البلاد الايرانية بل امتدت الى سائر الممالك والاقاليم الغربية لاسيما البلدان الاميركية اذ أصبح لها هناك شأن غريب ، وان الكل يعترف بان بهاء الله هو بعد الباب مظهر الكمالات

الالهية الجامعة ، ولمريدي هذا المصلح واعضاء فئته في مدينة شيكاغو مجلس خاص

ومن غرائب الصدف وعجائب الاتفاقات أنه بعد ماأتى رجال الحكومة بالباب مع شاب من أبناء أكابر تجار تبريز وعلقوهما بحبال ربطوها بمسماري حديد كبيرين دقوهما بعمود قائم بجانب دكان رأيته بعيني وأتوا بالجنود الذين رموهما بالرصاص بعد ذلك كله وبعد تلاشي الدخان المتصاعد من البنادق ظهر ان الباب بقى سليما لم يمسه ادنى ضرر وان الرصاص قطع الحبال التى كان معلقا بها فهبط على الارض سالما والتجأ إلى حجرة قرب العمود ، وهناك أناس يقولون ان الجزع والذهول احدقا بالباب ولولا ذلك لامكنه أن يتحدى بهذا الخارق ويدعيه معجزة كبرى أمام الحضور وفي المرة الثانية بعد أن علقوه هو ورفيقه الذى لم يصب أيضاً في الاولى ، ورموهما بالرصاص أصاب صدر الباب ومزقه تمزيقا وبعد أن أنزل الجند جسده وجسد رفيقه اخذوا يجرونهما على الارض يمينا وشمالا بحالة وحشية قاسية واخيراً القوهما في أحد الخنادق ، وفى تلك الليلة جاءت زمرة من أفراد البابية الى تبريز وأخذوا الجسدين ودفنوهما فيما لايعلم) اه

ملاحظة للمؤلف:

يقول المؤلف ان المستر جاكسن وان كان فى الواقع قد عثر

على حقائق هذا التاريخ من منابع صحيحة وكتبها بصورة متينة ولكن جاء في كلامه شيء واحد لا ينطبق على الحقيقة وهو عبارة (الدفن) التي أراد الاعراب بها عن أن اللفيف الذى قدم واستحصل على الجسدين الشريفين دفنوهما ، والمرجح عندنا ان المستر جاكسن كتب هذه العبارة عن ارتياء من عنده اذ صعب عليه ان يتصور ان أصحاب حضرة الباب نقلوا الجسدين من تبريز الى بلد آخر ، ولما اختفى الجسدان واستمر أمرهما ، لذلك لم يتسن له الاطلاع على ماصار فى شأنهما

انتهى المجلد الاول ويليه المجلد الثانى

فهرست

الجزء الاول من الكواكب الدرية

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة ﴿الوصل الخامس﴾

﴿تم الفهرست﴾

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٣	١٨	برد	بسرد
٢٥	١٥	لاعلى	الاعلى
٢٧	٠٨	التقيلد	التقليد
٥٣	١١	١٧١٩	١٨١٩
٩٩	١٠	عليها	عليها
١٢٦	١٥	ضعيفاً	ضيفا
١٢٦	١٦	ام	امام
١٢٩	٠٩	نزغ	نزع
١٤٦	١٨	شيراز	سميران
١٦٩	١٨	الماكونى	الماكوئي
١٤٩	١٤	الصوفيه	الصفوية
١٤٠	١٨	افنان	افانين
١٤٢	٢٠	الحرام	الحرم
١٩٤	٠٢	كورمانشاه	كرمانشاه
٣١١	٢٠	دشت	رشت
٣٢١	١٦	دعو	دعواه
٣٥٠	٠٥	٢٥٠	٣٥٠

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٥٠	٥	المهمات	اهمية
٣٥٢	١٥	نيريز	يزد
٣٥٣	٠٧	يزد	نيريز
٤١٥	٠٥	خدا يخشى	خدا بخش
٤١٩	٠٩	حسين	حسن
٤٢٧	٠٥	بدا	ابدا
٤٤٧	١٣	شارته	اشاراته



DATE DUE

